

فِي حَضْرَةِ الطَّرِيقِ

رِسَائِلُ وَمَسَائِلُ

السَّيِّدُ الشَّيْخُ

شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ نَهْرُ
الْكِسْنَزَانِ الْقَادِرِيُّ الْحَسَنِيُّ
رَئِيسُ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ الْقَادِرِيَّةِ الْكِسْنَزَانِيَّةِ فِي الْعَالَمِ

سلسلة إصدارات المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية

في حضرة الطريق - رسائل ومساءئل

اسم المنجز: في حضرة الطريق – رسائل ومسانل
تأليف: السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني

جنس المنجز: تصوف

المساعدة في الإخراج العلمي: د. نضال البغدادي

تدقيق لغوي: د. بكور عاروب

تصميم الغلاف والإخراج الفني: علي كاني

الطبعة الثانية: 2025

القياس : 17 * 24 سم

عدد الصفحات : 411



بطاقة

204,22

ح. 599 الحسيني . شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري
في حضرة الطريق - رسائل ومسانل / السيد الشيخ شمس الدين محمد
نهرو الكسنزان القادري الحسيني – ط2.
بغداد: دار رائد المعنى 2025م
(411ص) – (24 سم)
1- التصوف الإسلامي. - أ- العنوان .

رقم الإيداع - 4834 / 2025م

المكتبة الوطنية / الفهرست اثناء النشر

تنفيذ الانجاز... طباعة وتصميم (دار رائد المعنى) العراق – بغداد
هاتف: 07744608640 (واتساب - تليگرام)

جميع حقوق النشر محفوظة للمؤلف – ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة النسخ أو الطبع أو إعادة إصدار هذا
الكتاب دون إذن خطي من أصحاب الحقوق .

رقم إيداع المكتبة الوطنية دار الكتب والوثائق ببغداد (4834) لسنة 2025

الناشر / دار رائد المعنى / للطباعة والنشر والتوزيع 2025م

تصوف

فِي حَضْرَةِ الطَّرِيقِ

(رَسَائِلُ وَمَسَائِلُ)

السَّيِّدُ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ نَهْرُو الْكَسْنَزَانُ

القَادِرِيُّ الْحُسَيْنِيُّ

رَئِيسُ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ الْقَادِرِيَّةِ الْكَسْنَزَانِيَّةِ

فِي الْعَالَمِ

سلسلة إصدارات المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية

فِي الطَّرِيقَةِ الْكَسْنَزَانِيَّةِ [1]

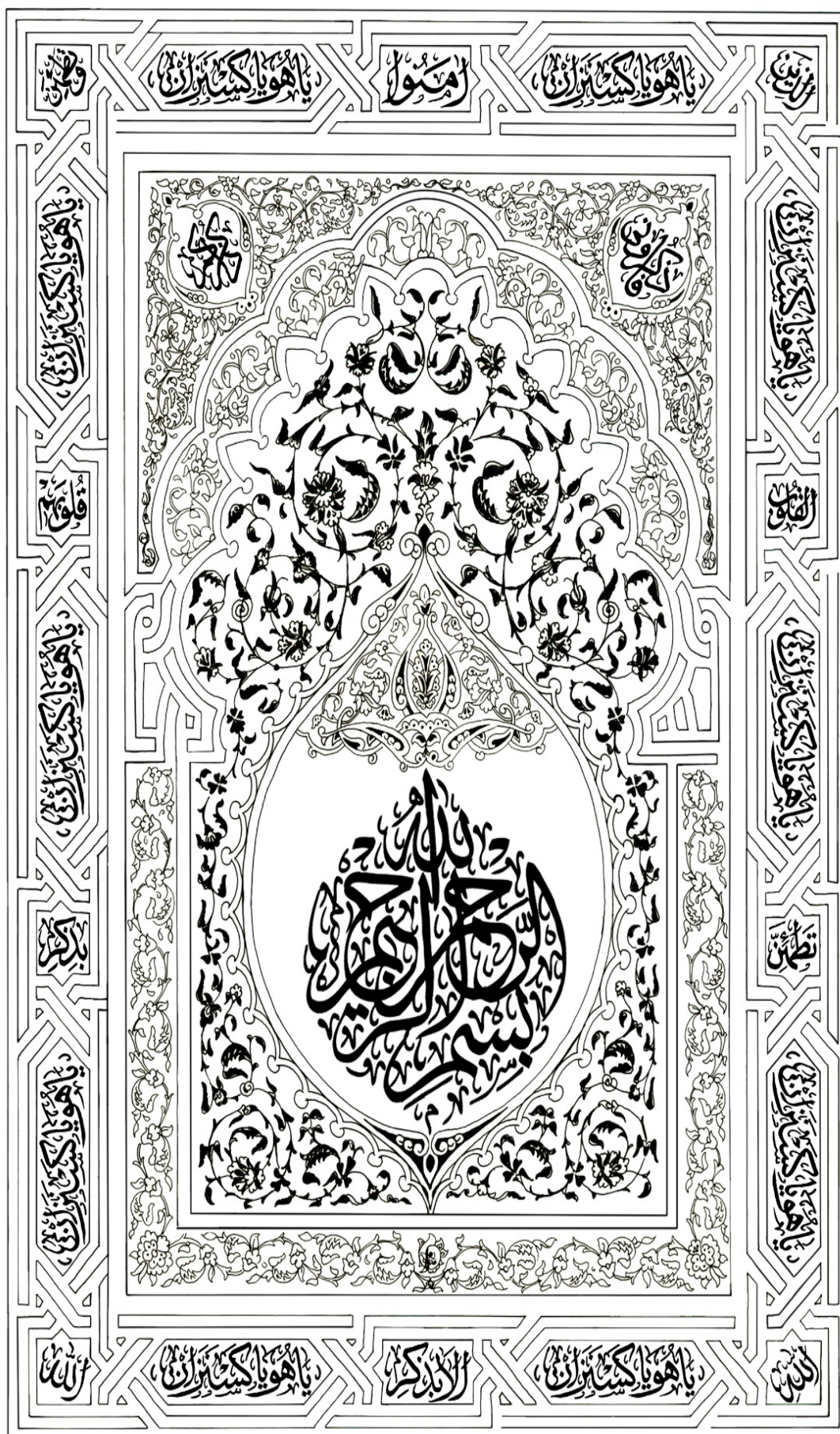
الطبعة الثانية - 2025م

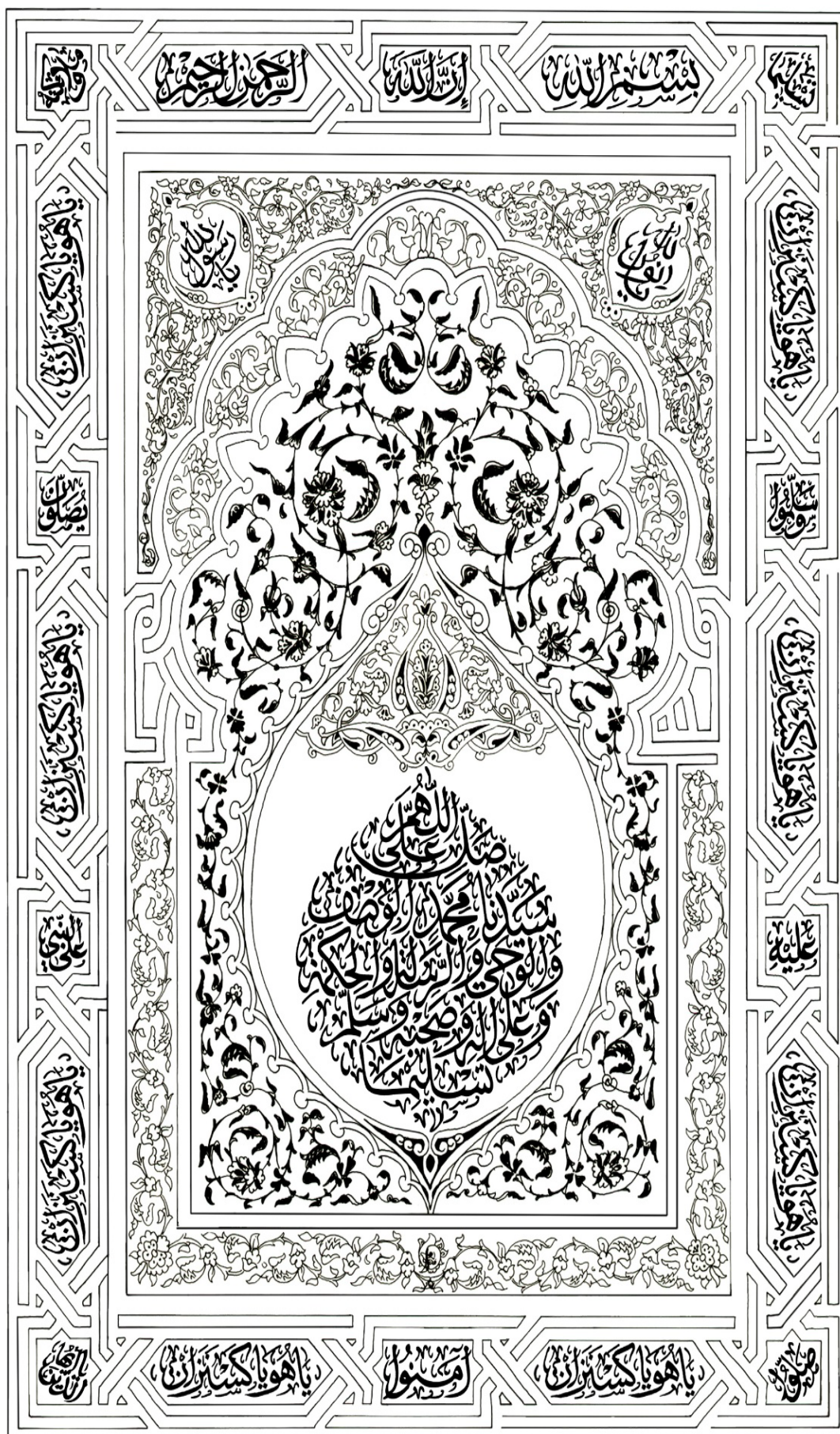


إِهْدَاءُ

يَا سُلْطَانَ الْحَقِّ، يَا حَامِلَ لَوَاءِ الْهُدَى، يَا مَنْ
رَفَعْتَ رَايَةَ الْمَحَبَّةِ فَوْقَ كُلِّ طَائِفَةٍ وَمَذْهَبٍ،
وَجَمَعْتَ الْقُلُوبَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَصَارَ
الطَّرِيقُ بِكَ مَأْوًىً لِلسَّالِكِينَ، وَمَلَذًا لِلْحَائِرِينَ،
وَنُورًا لِلْعَالَمِينَ.

إِلَيْكَ، يَا مَوْلَانَا، أُهْدِي هَذَا الْكِتَابَ...
وَفَاءَ لِمَا غَرَسْتَهُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ مَحَبَّةٍ،
وَاعْتِرَافًا بِمَا أَفَاضَهُ اللَّهُ بِكَ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِ
التَّزْيِينِ، وَعَهْدًا مُتَجَدِّداً عَلَى السَّيْرِ بِنَهْجِكَ،
وَالْوَفَاءِ بِأَمَانَةِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي حَمَلْتَنَا إِلَيْهَا،
حَتَّى نَلْقَى اللَّهَ وَقَدْ صَدَقْنَا مَا عَاهَدْنَاهُ عَلَيْهِ.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ﴾

المُقدِّمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ قُلُوبَ الْمُتَرِيدِينَ عَلَى طَرِيقِ مَحَبَّتِهِ، وَأَلْهَمَ
أَفْئِدَتَهُمْ نُورَ الْهَدَايَةِ إِلَى حَضْرَتِهِ، فَصَارُوا بِذِكْرِهِ أَحْيَاءً، وَبِرَحْمَتِهِ أَصْفِيَاءً،
وَأُصَلِّيَ وَأُسَلِّمُ عَلَى سَيِّدِنَا، مُحَمَّدٍ الْوَصْفِ وَالْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَالْحِكْمَةِ،
وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَسَلِّمُ تَسْلِيمًا.

أما بعد:

فهذه رسائل ومسائل سطرناها بمداد المحبة، ونفس المجاهدة،
لِمَن وُظِنُوا نفوسهم على سلوك طريق القرب، وجعلوا قلوبهم على
نهج أهل الذكر، ورفعوا أكفهم بدعاء العارفين: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾،
فجاءتهم هذه الكلمات زادا للسير، ونورا يهديهم في الطريق.

وهي بعدُ موجهة لكل من أراد من الناس أن يعرف سر هذا الطريق،
ولكل قلب يتطلّع إلى فهم حقيقة السير إلى الله، ولكل روح تشتاق
إلى بصيرة تنير لها دروب المجاهدة والمحبة، فهي دعوة للعالمين،
ورحمة موهوبة لكل من فتح قلبه للذكر، وتعلّقت روحه بالحق المبين.

يا أهل الطريقة.. يا أيّها النّاس، إنّ ما أُتيكم به هاهنا، رسائل
ومسائل في هيئة وصايا حيّة بنور الله تعالى، أريد لها أن تُنقش على
لوح القلب، لكي تترجم إلى حال باطن يقوم بسلوك ظاهر، فتُصدّق
الأفعال الأقوال وتُلازمها تلازم الأسماء بمسمياتها.

لقد جعل هذا الكتاب مرجعاً لِمَن أراد السير بنور اليقين، وتذكّره
لِمَن نوى التزكية والتقرب إلى ربّ العالمين، ودليلاً مرشداً لِمَن

احتاج إلى يدٍ تأخذ بيده في خفايا الطريق. فجمع بين تربية المريدين على الصفاء والعمل، وإرشاد الخلفاء إلى سُبُل التربية والفعل، وتنبيه الناس إلى رحابة هذا الطريق ببركة مشايخه الكُمل. وقد مزج بين نور الشريعة الذي يضيء ظاهر السالك، وصفاء الحقيقة الذي ينير باطنه، مستمداً من معين القرآن الكريم، وهدى السنّة المظهرة، ومن تجارب العارفين بالله تعالى، وسير السائرين إلى حضرته سبحانه. إنّ كتاب لمن أدرك أنّ الوصول إلى الله ليس بالادّعاء، بل بالمجاهدة، وأنّ القرب من حضرته جلّ جلاله ليس بمجرد الكلمات، بل بالصدق والصفاء والمحبة، وأنّ الفتح ليس بالأمانى، بل بالعمل المضني، والمجاهدة الصابرة، والمحبة الخالصة.

نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْكِتَابَ رَحْمَةً تَسْرِي فِي قُلُوبِ الطَّالِبِينَ، وَزَادًا لِلْمُرِيدِينَ فِي طَرِيقِهِمْ، وَنُورًا يَهْتَدِي بِهِ الْخُلَفَاءُ فِي خِدْمَتِهِمْ، وَسَبَبًا لَانْبِعَاطِ الْهُدَى فِي أَرْوَاحِ كَانَتْ حَائِرَةً، وَفَتْحًا، لِقُلُوبِ كَانَتْ مُغْلَقَةً، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْمُجِيبُ، وَهُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرُ.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

السَّيِّدُ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ نَهْرُو الْكَسْتَرَانُ الْحُسَيْنِيُّ
رَئِيسُ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ الْقَادِرِيَّةِ الْكَسْتَرَانِيَّةِ فِي الْعَالَمِ

إرشاد لقراءة الرسائل وميزان للعمل بالمشايل

فيما يلي إرشاد لمن أراد الارتفاع بالمشايل، وميزان لمن التمس العمل بالمشايل، حتى يكون سيره على نورٍ وقلبه على وعيٍ، وعزيمته في سداد:

أولاً: اقرأ الرسائل قراءة تامة من البداية إلى النهاية، من مرة إلى ثلاث مرات . في القراءة الأولى، كن كمن يسير في بستانٍ لأول مرة، ينظر إلى جمال الطريق، ويملاً قلبه بمهابة المقصد. وفي القراءة الثانية، كرر التأمل، لكن اجعل قلبك حاضراً مع كل كلمة، وكأنّها موجهة إليك وحدك، لا إلى غيرك. وفي القراءة الثالثة، اجعل نيتك أن تفهم سرّها العميق، وأحوالها الباطنية، ولا تتعجل الفهم، بل كن كمن يشرب من كوثر الحكمة ليروي به ظمأ قلبه.

ثانياً: لا تُحاول أن تُطبّق جميع الإرشادات دفعة واحدة. فالسير إلى الله درجات، وكل مقام له وقته، وكل حال له نوره. ابدأ بما تجد قلبك إليه أميل، ونيتك فيه أصدق، وسلوكك إليه أحوج، واترك ما سواه حتى ينضج وقته، فإنّ لكل شيءٍ أجلاً، ولكل سيرٍ مسافة.

ثالثاً: اجعل لكل يومٍ، أو لكل أسبوعٍ، رسالة أو بعضها أو توجيهاً خاصاً تعمل به. لا تُكثر على نفسك الأحمال، فإنّ المرید إن شدّ على نفسه فوق طاقتها، ملّ وضعف، وإن قسّم السير على وقته، كان سيره ثابتاً، وقلبه صافياً.

رابعاً: كرّر الرسالة التي اخترتها لنفسك مراراً. تدبّر معانيها، وقف عند عباراتها، وردّها في خلواتك، وكأنّك تسمعها من لسان شيخك، فإنّ الذكرى إذا تكررت، ثبت أثرها، وظهر مددها.

خامساً: إذا احتجت إلى توجيه في حالٍ معين، فاختر الرسالة التي

تخاطب ذلك الحال. اجعلها مرشداً لك في ضعفك، أو قوتك، أو فتورك، فإن القلب يعرف ما يحتاجه إذا خلصت النية، وصَدَقَ العزم. سادساً: لا تقرأ الرسائل بعين المتثاقل، بل بعين المفتقر. فكل كلمة فيها نورٌ موجّهٌ إليك، وكلُّ توجيهٍ فيها وصيةٌ لك، فكن فيها كالظمان إلى الماء، أو كالمريض إلى دواء العارف.

سابعاً: اجعل قراءتك للرسائل خلوة بينك وبين الله تعالى، في وقت صفاء، بعد وضوء، بحضور القلب. ولا تجعلها عادة تُؤدّي دون روح، فإنّك إن قرأتها بنية الذكرى، فتح الله لك من الفهم ما لا تدركه بالاجتهاد.

ثامناً: واعلم أنّ هذه الرسائل لا تنتهي بانتهاء قراءتها، بل تبدأ بها حياتك الجديدة مع الله تعالى. عُد إليها ما حييت، فإنّ مع كل قراءة حالاً جديداً، ومع كل تدبيرٍ فتحاً لم يكن قبل.

تاسعاً: واحذر ثم احذر أن تجعل هذه الرسائل ميزاناً تقيس به أعمال غيرك، أو معياراً تُحاكم به إخوانك. فما أتيتك بهذه الكلمات إلّا لترى بها نفسك وعملك، وتُقوم بها سيرك وسيرتك، وتُزكي بها قلبك ونفسك. لا تتخذها حُجة على الخلق، بل حُجة عليك، ولا تجعلها سيفاً على إخوانك، بل نوراً تُضيء به ظلمات نفسك. قال أهل الطريق: "من رأى نفسه أولى بالنصح من غيره، وأولى بالحساب من سواه، فقد وُفق للسير".

يا أحبائي في الطريق: هذا ميراث مشايخ النور، ووصية سادات الطريقة، تمسّكوا بها بقوة تزدكم حياة إلى حياتكم ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾⁽¹⁾.

استهلال

رسالة [1]: سُفَرَاءُ عَالَمِيُونَ

يا أهل الطريقة، يا من فَتَحَ اللهُ لكم بَابَ السَّيْرِ إِلَيْهِ، اعلَمُوا أنكم لستم سائرين في طريقٍ خاص ببلدة، ولا رسالة محصورة في حدود قبيلة، بل أنتم حَمَلَةٌ نورٍ يُضِيءُ للعالمين. طريقكم هو طريق المحبة للخلق أجمعين، ورسالتكم لا تعرف تضيقاً ولا تعصباً، بل هي كما أَرَادَهَا اللهُ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

يا أيها المريد، إِنَّ الإرادة التي لا تتجاوز حدود نفسها، تظلُّ قاصرة، وإذا انغلقت في قوم أو جنس، كانت ضعيفة سقيمة لا تعرف سر الله تعالى في اختلاف الخلق وتنوعهم. وأنَّ الله تعالى الذي خلق الخلق، هو الذي وَسِعَهُمْ جميعاً برحمته، فكيف يضيق قلب المريد عن أن يكون مرآة لتلك الرحمة؟ وكيف يكون خليفة في الأرض من لم تتسع روحه لتكون للعالمين هدى ورحمة ونورا؟

يا أيها المريد، يا أيُّهَا المريدة، نحن اليوم في عصرٍ تجاوز فيه الإنسان حدود المكان والزمان، عصرٌ اسمه "ما بعد العولمة"، عصرٌ انفتحت فيه الآفاق، وتقاربت فيه الأمم، وذابت فيه المسافات.

فإن كانت العولمة قد حملت من المعاني ما حملت، فإننا نحنُ أهل السلوك والطريق، لا نتبع سوى عالمية الرحمة، وعالمية الأخلاق، وعالمية الإنسان، التي علَّمنا إياها سيد الوجود، حين وسَّع قلبه جميع الخلق، ودعا لهم بالمغفرة والهداية، فقال: ﴿اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

1 - [الأنبياء: 107]

2 - السيوطي، جامع الأحاديث، تحقيق: د. علي جمعة، ط1، 1430 هـ، ج8 ص153.

يا مريد، اعلم أنّ هذا الزمان هو زمان الذكاء الاصطناعي. زمانٌ تتغير فيه العلوم وتتجدد فيه الوسائل، وقد وهبك الله عقلاً وروحاً، لتكون قادراً على أن تكون شاهداً لله في أرضه، مستخدماً ما وهبك من العلم في خدمة الإنسان، لا حبيساً لوسائلٍ تجعلك آلة في يد غيرك.

كن واعياً لعالمك، واسع الأفق، واسع القلب، واسع العلم، واسع الفهم، فإنّك حامل رسالة لا تعرف حصراً، رسالة الطهارة والنور، في زمنٍ يتكالب فيه كثير من الناس على الظلام.

يا مريدة، يا من سلكتِ هذا الطريق، اعلمي أنّك لا تربي ولدك ليكون عارفاً بالله وحده لنفسه، بل ليكون حاملاً للنور للناس أجمعين، ولا تعلّمي بناتك ليكنّ صالحاتٍ في أنفسهن فقط، بل ليكنّ مناراتٍ لنساء العالم، في الخلق، في الفكر، في الرحمة. فإن لم تتسع همتك للعالمين، ضاقت عليكِ رحمة رب العالمين.

يا مريد، إنّك اليوم تملك الوسائل التي لم تكن لمن سبقك، فكيف يكون قلبك أضيق من قلوب بعض من عاشوا في زمن السفر البعيد والمشقة؟ لقد جعل الله لك آفاقاً لا تعرف حداً، فاجعل علمك طريقاً لخير الخلق، واجعل ذكاءك وسيلة لخدمة الإنسان، لا لحب الذات، واجعل رحمتك مظلة لكل محتاج، في كل بلدٍ، من كل دينٍ، ومن كل ملةٍ، فإنّك عبدٌ لله وحده، ورسالتك رسالة الإنسان للإنسان.

يا خلفاء الطريقة، إنّ عليكم المسؤولية في تربية المريد من ذكر وأنثى على فكر الانفتاح العالمي، علّموهم أنّ الله هو رب الناس جميعاً، وأنّ الطريقة العليّة القادرية الكسنزانية طريقٌ للعالم كله، لا لبلدٍ دون آخر، ولا لقومٍ دون آخرين. ازرعوا فيهم حلم العالمية، ووجهوهم إلى أن يكونوا دعاة للخير في كلّ أرضٍ تطأها أقدامهم، وبين كل خلقٍ يروونه أمامهم.

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريد أنّ كل علم يتعلمه، هو أمانة في عنقه، وأنّ الذكاء الاصطناعي وغيره من علوم العصر، ليست أدوات ترفّ أو تفاخر، بل وسائل لخدمة البشرية، ولتكون رحمة من الله للعالمين. ازرعوا فيهم هذه الرسالة، فالعصر عصرهم، والعالم ينتظر النور من قلوبهم.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (1): ما المقصود بعالمية الطريقة الكسنزانية؟

إنّ اسم طريقتنا العلّية القادرية الكسنزانية يختصر حقيقتها العالمية. فهي علّية لأنها تستمد سموّها من سر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باب مدينة العلم المحمدي، الذي قال فيه النبي: ﴿أنا مدينةُ العلم، وعليٌّ بابُها﴾⁽¹⁾. وهي قادرية لأنها تحمل سر الشيخ عبد القادر الجيلاني (قدّس سرّه) الذي أرسل نوره للعالمين، فكان غوثاً لكل طالب حق. وهي كسنزانية لأنها حملت فيض أسرار مشايخ الكسنزان المكنونة. فلم تزل طريقاً إلى الله يناسب كل زمان ومكان، يخاطب الناس بلسان العصر، وروح المحبة الجامعة. عالمية هذه الطريقة في جوهرها، فهي لا تفرّق بين أحد من خلق الله تعالى، بل تدعو الجميع إلى نور الحق سبحانه وتعالى.

مسألة (2): متى يكون المريد حاملاً للرسالة العالمية بحق؟

يا مريد، إنّ حامل الرسالة العالمية هو الذي وسّع قلبه حتى صار مأوى لكل طالبٍ، وصار يرى في الناس أرواحاً تحتاج إلى النور، لا

1 - رواه الحاكم النيسابوري في المستدرک، حديث رقم [4637]، ج3 ص137.

أسماءً وألقاباً وانتماءات. المرید الکسنزانی لا یقف عند حدود قومه أو مذهبه أو شریعته أو حتی دینه، بل یتجاوز ذلك كله إلى حیث یسکن الحب الإلهی فی القلوب، فیعامل الناس بصدق الرحمة، ولا ینغلق على جماعة دون أخرى. المرید الصادق هو الذی إذا جلس مع البشر جمیعاً، نشرَ علیهم سکينة العلم النبوی، وروح الطریقة العلیّة. إنّ المرید الذی یجعل همّه هداية الخلق، لا حظوظ النفس، یمیر عندي الحامل لأمانة الرسالة فی حضرة الطریق الحق.

مسألة (3): ما الفضل الأخری لأصحاب الرّسالة العالمیة؟

من حَمَلَ رسالة الطریقة العالمیة بنیّة خالصّة، رفعه الله إلى مقامات التمکین فی الأرض والقبول فی السماء. فقد وعد الله تعالى من دعا إلیه بإخلاص أن یجعله سراجاً منیراً، تُفتح له قلوب العباد، ویكون له أثر لا ینقطع. هكذا كان الإمام علی عليه السلام باباً للعلم، وهكذا كان الشیخ عبد القادر (قدّس سرّه) غوثاً للعالم، وهكذا جعل الله لأهل طریقتنا نوراً یمتد، لأنهم لم یجعلوا دعوتهم لأنفسهم، بل لله تعالى وحده.

إنّ من یحمل الرسالة العالمیة بأمانة، یرفعه الله تعالى حتی یكون من ورثة النبیین، ویجعله مفتاحاً من مفاتیح الرّحمة للعالمین.

مسألة (4): ما عاقبة من انغلق عن الرسالة العالمیة؟

من أغلق قلبه عن الناس، ضاقت علیه رحمة الله تعالى. إذا ظنّ المرید أنّ الخیر مَحْصُورٌ فی جماعته، أو أنّ النّور لا یمتدّ إلاً من كان على شاکلته، فقد حبس نفسه فی ضیق الدنیا، وفاته سِعة الرحمة الإلهیة.

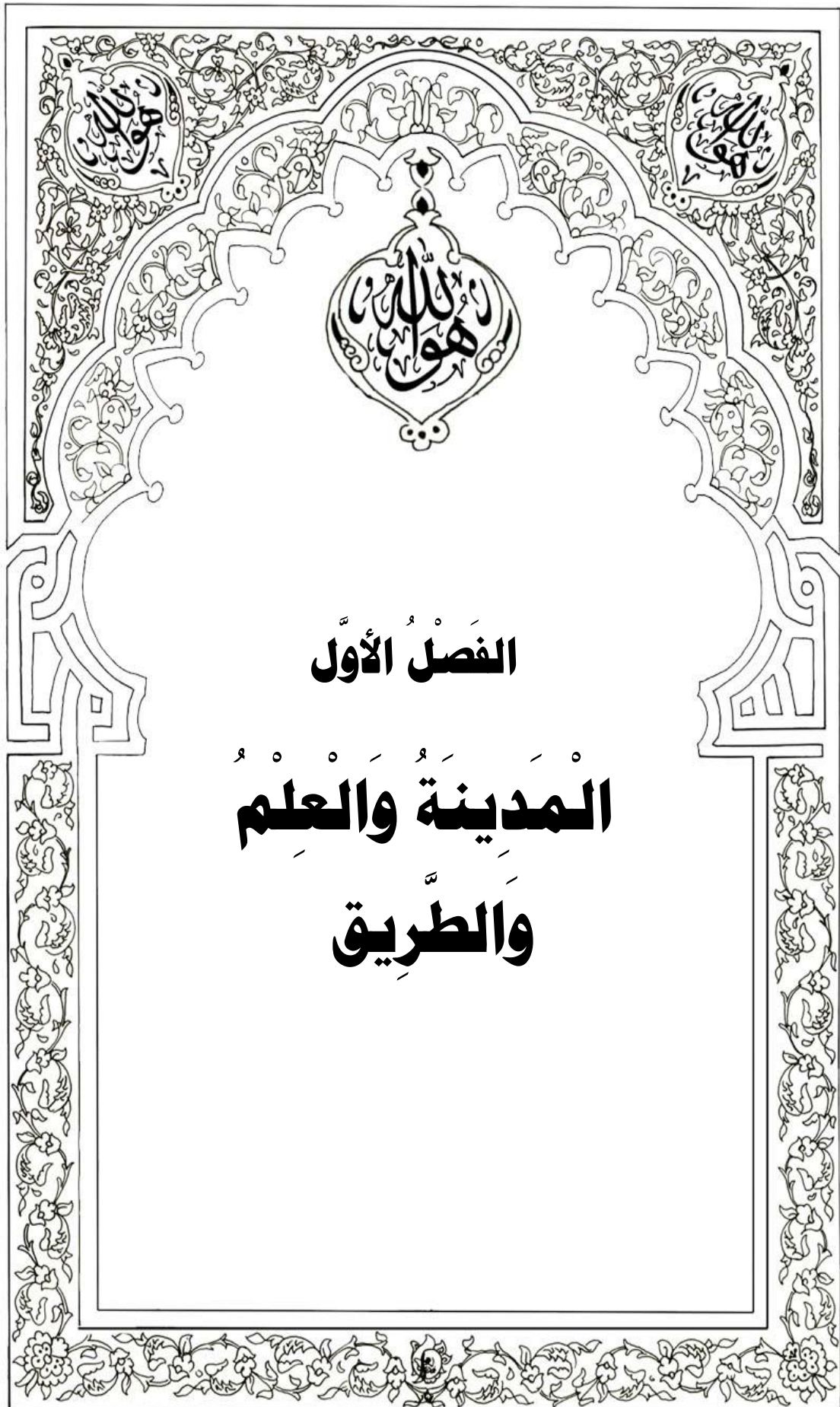
من ضاق، ضاقت علیه الأنوار، ومن اتسع، اتسعت له الفیوضات.

من انغلق على نفسه، تاه في ظلمة الفِرَق والطوائف، ولو ظنَّ أنه من أهل الطريق. والعاقبة أنه يخسر أن يكون من ورثة الإمام علي عليه السلام الذي كان قلبه واسعاً بالعلم والرحمة لكل الخلق.

مسألة (5): كيف ننقل روح الطريقة إلى عصر الذكاء الاصطناعي؟
يا مريد، اعلم أنَّ الزمان تغيّر، وصارت الدنيا متقاربة، وصار الناس يبحثون عن نور يُثبّتهم في ساحةٍ تعج بالأفكار والتقنيات.
على مريد أو مريدة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية ألا يكون بمعزل عن هذا العصر، بل يعيش فيه حاملاً للنور المحمدي بروح معاصرة، يستخدم أدوات العصر ليبلغ رسالته، ويكون صوته متزناً بالعلم، وقلبه متصلاً بالحقيقة.

نحن اليوم في زمن الذكاء الاصطناعي، حيث الإنسان يبحث عن روحه وسط زحمة الخوارزميات، فليكن المريد هو الجسر بين النور الأزلي والواقع الحاضر، يزرع الطمأنينة حيث القلق، ويبث الحكمة حيث الحيرة.





رسالة[2]: العلم نور بابه السؤال

إن طريقتنا قائمة على العلم، وهو نور يسري في قلوب القاصدين، وسراج يُضيء دروب السالكين إلى الله تعالى.

ما كان هذا النور إلا ميراث روعي مبارك، حُمِلَ من قلبٍ إلى قلب، وسُئِلَ يداً بيد، من لدُنِ جَدِّنا رسول الله ﷺ، الذي قال: ﴿أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها﴾⁽¹⁾. فجَدَّنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو مَدخل الطريق إلى الله تعالى، وحامل راية الحكمة، وبوابة السر الممتد من مدينة العلم إلى منارات العرفان، بهمته تتجدد أنوار الهداية، وبتأييده تسري الأسرار إلى العالمين. ولا أدلى ذلك من قوله: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده، لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا أحدثكم به. سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليلاً نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل»⁽²⁾.

لا علم بلا سؤال. فيا مُريد: سَلْ تُجَب. فهل تعلم عماذا تسأل؟
سَلْ عن علم يقودك إلى العمل، فعلم لا عمل فيه، شجر بلا ثمر.
يا خلفاء الطريقة، علِّموا المريدين أنَّ طريقنا قائمٌ على العلم، وأنَّ السير إلى الله يكون على بصيرة، فكما أنَّ القلب بحاجةٍ إلى صفاء الذكر، فهو بحاجةٍ إلى نور الفهم.

أرشدوهم إلى أنَّ العالم أشدُّ نفعاً من العابد، لأنَّ علمه نورٌ ينتفع به الناس، ويبقى أثره بعد انتقاله، بينما نفع العابد محصور بذاته، وينقطع بهلاكه. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلِّكَ فَارْتَقَى.

1 - رواه الحاكم النيسابوري في المستدرک، حديث رقم [4637]، ج3 ص137.

2 - الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، دار

الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط4، 2004م، الخطبة رقم 189، ص273.

مسألة (6): ما هو المجال العلمي الأنسب للمريد؟

طريقنا لا يقتصر على علوم القلب وحدها، بل يشمل كل معرفة تنفع العبد وترفعه، فمن علوم الشريعة التي تُقيم الدين، إلى علوم الحكمة التي تُضيء البصائر، إلى علوم الدنيا التي بها يُبنى العمران وتُؤدّى الأمانة. فمن كان له نصيبٌ في العلوم الشرعية، فليتزود منها بما يقيم عبادته وسيره. ومن كان له موهبةٌ في العلوم التجريبية، فليجعل منها وسيلة لخدمة الخلق، ومن فتح الله عليه في ميادين الفلسفة أو الاقتصاد أو الاجتماع، فليحسن فيها، وليجعل علمه وسيلة لنشر الخير والعدل بين الناس.

مسألة (7): أيهما أفضل الانشغال بالعلم أم بالعبادة؟

يا مريد، إنّ العلم والعبادة جناحان يطير بهما السالك إلى الله تعالى، ولا يقوم أحدهما مقام الآخر. فمن ينشغل بالعبادة دون علم، قد يُخطئ الطريق، ومن يطلب العلم دون أن يُثمر في عمله، يبقى علمه حجة عليه. فالعبادة بلا علمٍ قد تُؤدي إلى الغلو أو التقصير، والعلم بلا عبادةٍ يبقى بلا روح، فلا ينفع صاحبه ولا يوصله إلى القرب. فإن سألت: أيهما أفضل؟ أقول لك: خير العلم ما أورثك خشية، وخير العبادة ما زادتك فهماً وقرباً. فاسع في طلب العلم حتى تعبّد الله على بصيرة، ثم اجعل عبادتك نوراً يُزكي علمك، فتكون من الذين يجمعون بين الفهم والعمل، ويفوزون بمقامات القرب وكشف الحُجب.

مسألة (8): كيف نجعل طلب العلم عبادة تقرب إلى الله تعالى؟

اطلب العلم في سبيل الله، فكل علمٍ يُطلب بنيةٍ سالحة، ويؤدي إلى منفعةٍ دينيةٍ أو دنيويةٍ، فهو عبادةٌ يُؤجر عليها السالك، ويكون سبباً لرفع درجته في الدنيا والآخرة.

رسالة[3]: العلم وسنة الزيادة

يا أهل الطريقة، اجعلوا في طلب العلم، سقّفكم السماء. أي اطلقوا العزيمة لهمتكم في التسامي إلى ما وراء ما ترون.

يا مريد، أتدرى لماذا اطلب منك ذلك؟ لأنّ السماء حيّة، فهي لم تزل تُبنى وتوسع ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾⁽¹⁾.

ينبئنا علماء الكون الأبرار، بأنّ الكون يتوسع بسرعة (945 ألف كيلو متر في الثانية)، أي أنّه يتوسع بسرعة تفوق سرعة الضوء ثلاث مرات تقريباً.. سبحان الخالق العظيم لهذا التوسع⁽²⁾.

السماء تبنى وتوسع بأيدٍ، ورمزية ذلك عندنا، أنّ العلم، لا يكتمل إلّا بتراكم علوم العارفين بالله تعالى، التي تضيء البصيرة، وتفتح أبواب الحكمة، وعلوم الكونيات والطبيعة، التي تكشف أسرار الخلق، وتدل على عظمة الخالق. فاجمعوا بين نور المعرفة الربانية،

1 - [الذاريات: 47]

2 - أبعد مجرة مكتشفة حتى الآن هي مجرة تُدعى "HD1" والتي تبعد عن الأرض حوالي 13.5 مليار سنة ضوئية . وفقاً لمعدل توسع الكون، حيث تزداد سرعة ابتعاد المجرات بمقدار 70 كيلومتراً في الثانية لكل مليون سنة ضوئية، يمكننا حساب سرعة ابتعاد مجرة "HD1" عنا كالتالي:

المسافة 13.5: مليار سنة ضوئية = 13.5 مليون سنة ضوئية.

السرعة $945,000 = 13,500 \times 70$:كيلومتر في الثانية.

هذه السرعة تفوق سرعة الضوء (التي تبلغ حوالي 300,000 كيلومتر في الثانية)، وهو ما يتفق مع فهمنا لتوسع الكون؛ حيث يمكن للمجرات البعيدة أن تبعد عنا بسرعة تتجاوز سرعة الضوء بسبب تمدد الفضاء نفسه. علماً أنّ: عند النظر إلى مجرة "HD1" ، نحن في الواقع نرى ضوءاً انبعث منها قبل 13.5 مليار سنة، أي عندما كان عمر الكون حوالي 300 مليون سنة فقط. هذا يعني أننا نرى هذه المجرة كما كانت في بدايات تشكّلها، مما يساعد العلماء على فهم المراحل الأولى من تطور الكون.

وفهم سنن الله في الوجود، فإنهما وجهان لحقيقة واحدة. واذكروا أنَّ الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها قبِلها، فالكون نظير القرآن كلاهما كتابٌ مفتوحٌ لمن قرأ وتدبر.

فيا طلاب الحقيقة، لا تضعوا لأنفسكم نهاية في الطلب، ولا تركزوا إلى ما أدركتم، بل سلوا الله تعالى علماً لا سقف له، وفتحاً لا حد له، وسيروا في طلبه حتى تبلغوا من العلم مقاماً يكون فيه الحق معلمكم، ونوره كتابكم، والكون كله مدرستكم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁽¹⁾. ومع كمال مقامه وتمام علمه، أمره ربه
بالازدياد من العلم، إشعاراً للأمة بأنَّ طلب العلم لا نهاية له، وسير
العارف فيه لا ينقطع بحد، فقال جل جلاله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁽²⁾
فهل أنتم بهذا الهدى مقتدون، وبسنة جدنا محمد ﷺ، في التزود من
العلم متأسون؟

وتذكروا أنَّ العلم ليس أوراقاً تُقرأ، ولا سطوراً تُحفظ، بل هو مظهر
يُضمَر روحاً تُذاق، وحكمة تُعاش. فمن لم يتذوق العلم بقي
تائهاً وإن حمل بين يديه مئات الكتب.

يا خلفاء الطريقة، أعينوا السالكين على أن يطلقوا عزائمهم في طلب
العلم، وألاَّ يحبسوا أنفسهم تحت سقفٍ ظنوه كمالاً. والحال أنَّ فوق
كل ذي علمٍ عليم.

يا خلفاء، ذكروهم أنَّ الكون والقرآن كتابان متقابلان، وكلاهما سبيلٌ
إلى الله تعالى لمن عقل وتدبر.

1 - [الأحزاب: 21]

2 - [طه: 114]

أيقظوا هممهم أن لا يسكنوا إلى ما حصلوا، بل يسألوا ربهم دائماً:
﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾⁽¹⁾، اقتداءً بجدهم محمد ﷺ.

يا خلفاء، قوّوا قلوب المريدين على الجمع بين علوم السماء وعلوم الأرض، وبين معرفة الأنفس ومعرفة الآفاق، حتى يصبحوا كما أراد الله لهم: عباداً ربانيين، يعبدونه على بصيرة، ويعمّرون الأرض بحكمته.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (9): كيف يعرف المرید توجهه رباني في طلب العلم؟

الجواب: علامة ذلك، أن يزهد في نسبة العلم إلى نفسه، ويزداد شوقاً إلى المزيد منه، مهما بلغ من المعرفة، متذكراً قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾. بل علامته أنه كلما زهد في حظ نفسه، اشتدت عزمته في طلب العلم، لأنه علم أن ما يطلبه هو لله لا لنفسه. يا مرید لا تتوقف ما دام الله يفتح لك باباً بعد باب.

مسألة (10): كيف يكون طلب العلم وسيلة للترقي الروحي؟

الجواب: العلم الحقيقي ليس مجرد معلومات تُخزّن في العقل، بل هو نورٌ يتفاعل مع القلب، فيفتح البصيرة، ويرفع صاحبه في مدارج القرب. فمن طلب العلم بحبٍ وإخلاصٍ، صار العلم له وسيلة للمعرفة الإلهية، وسُلماً للترقي في مراتب الحكمة: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾⁽³⁾، فكلما أقبل المرید على العلم بنية صافية، ازداد نور قلبه، ورأى ببصيرته ما لا تراه العيون.

1 - [طه: 114]

2 - [يوسف: 76]

3 - [المجادلة: 11]

مسألة (11): ما الذي ينبغي على طلاب المدارس فعله؟

الجواب: على طلاب المدارس أن يبذلوا جهدهم كله في تحصيل العلم، وألا يرضوا بالقليل منه، بل يستكملوا الدرجات العلمية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، بشرط أن يكون ذلك مع إخلاص النية لله تعالى، فإنّ العلم أمانة، وطلبه عبادة، ورفعة الدرجات فيه رفعة في مراتب العمل والمعرفة، إذا خلّص القصد لله سبحانه. فمن أخلص في تعلّمه، جعله الله سبباً لعمارة الأرض، ووسيلة لنفع الخلق، ورفع به مقامه في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾⁽¹⁾ فاجعلوا همّتكم عالية، واطلبوا العلم بنية القرب من الله، وخدمة عباده، فإنّما هي بهذا المعنى تجارة مع الله لا تبور.



رسالة [4]: العلم.. نظر وعبر

اعلموا يا مريدي الطريق أَنَّ السير سيران: سير بالأرجل والنَّظر، وسير بالقلوب والعِبر، وكلاهما منشودان.

أَمَّا سير الأرجل والنَّظر فهو السَّير في الأرض طلباً للعلم النَّافع، ابتغاء وجه الله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽¹⁾. وأما سير القلوب والعِبر، فهو التَّرقى في المقامات الروحية بكثرة الاذكار والأوراد وسائر قربات واعمال الإيمان.

سَير الأرجل والنظر يُعَمِّر الدنيا والآخرة، لتلازم الثانية مع الأولى، وسير القلوب والعبر يُعَمِّر مكان السائر ومكاته بهما، لتزامن وجوده فيهما. فأنت فيهما تُعَمِّر عالمين، عالم في نفسك وعالم من حولك، أنت بذلك تُعَمِّر العالمين.

يا مريد، سِر في الأرض بنور العلم، وسِر في السماء بنور القلب، فتكون خطاك في الدنيا شاهدة، ويكون مقامك في الآخرة مشهودا.

يا مريد، اجمع بين السَّيَرَيْن، ولا تترك أحدهما لحساب الآخر، فإنَّ من سار في الأرض بلا قلب، بقي في الظاهر دون الباطن، ومن غرق في التأمل بلا عمل، بقي في الأحلام دون الواقع. فالسالك لا يصل إلى الله إلَّا بالعلم والعمل، وبالسعي والذكر، وبالنظر والعِبر.

يا خلفاء الطريقة الأحبة، علِّموا المريدين أَنَّ الطريق ليس انعزالاً، ولا انشغالاً بالدنيا وحدها، بل هو مزج بين سعي الجوارح وترقى الأرواح. وجَّهوهم إلى أن يكونوا سالكين في الأرض بأقدامهم، متأملين بعيونهم، ذاكرين بقلوبهم، عالمين بعقولهم، فيكونوا أنواراً تسير في الأرض، وأرواحاً تحلّق في سماء القرب. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.

مسألة (12): كيف يُعَمِّر السالك عالم نفسه وعالم من حوله؟

الجواب: السالك الذي يجمع بين سير الأرجل والنظر، وسير القلوب والعبر، يُعَمِّر عالمين متوازيين؛ الأول هو عالم نفسه، حيث يرقى بروحه ويزكو قلبه، والثاني هو عالم الحياة من حوله، حيث ينشر المعرفة، ويؤثر في مجتمعه، ويترك بصمة من الخير. فكما أنّ الإنسان يؤثر في نفسه بالذكر والفكر، فإنّه يؤثر في بيئته بالعلم والسعي، فيكون نافعاً في الدارين، شاهداً في الدنيا ومشهوداً في الآخرة.

مسألة (13): كيف يكون مقام السالك في الآخرة مشهوداً؟

عندما يسير السالك بجوارحه في طلب العلم، ويجمعه بسير القلب في الذكر والاعتبار، فإنّه يحقق التوازن بين الدنيا والآخرة، فيكون عمله شاهداً عليه، ومقامه في الآخرة مشهوداً له.

العمل في الدنيا يُسَطِّر في صحائف الأعمال، وكل خطوة في العلم والسعي تكون نوراً له يوم القيامة. فالسالك الذي يُعَمِّر دنياه بالخير ويُزكي روحه بالنور، يلقي عند الله مقاماً مشهوداً بين أهل القرب والفضل.

مسألة (14): لماذا يكون العناد سبباً في حجب النور أو فقدانه؟

الجواب: من تمسك بسير الأرجل فقط، وأهمّل سير القلوب، فقد جمد في الماديات، وحُجب عن أنوار الروح، ومن اكتفى بسير القلوب، وترك العمل والسعي، بقي في دائرة الأوهام، ولم يحقق الحكمة التي أرادها الله لعباده في الاستخلاف في الأرض. فالعناد في رفض الجمع بينهما يُغلق أبواب الفهم، ويحرم السالك من التكامل الذي هو سر الفتح والقبول.

مسألة (15): ماذا إن كان التوازن على المريد عسيراً؟

الجواب: تحقيق التوازن بين السيرين أو بين العلم والذكر قد يكون صعباً على بعض السائرين، فهناك من ينغمس في طلب العلم حتى يغلب عليه الفكر والتحليل، فيقلّ نصيبه من الذكر وصفاء القلب، وهناك من ينساب في بحر الذكر حتى يغلب عليه الحال، فيضعف سعيه في طلب العلم النافع. وكلا الأمرين يحتاج إلى بصيرة وتوجيه حكيم.

وهنا يأتي دور الخليفة في أن ينظر إلى ظاهر شأن المريد ويتمهّل في توجيهه، فلا يستعجل بحثه على التوازن قبل أوانه، فبعض الأمور تتطلب وقتاً كافياً للتفرغ لها والتشبع بمعانيها.

خلال ذلك، لا ينقطع عن تذكرة (الناظر) بالذكر وبتوجيه النية في سبيل الله، وبتذكير (العابر) بالعلم وأثره في اصلاح الدارين، حتى إذا أتى الوقت ورأى أنّ السائر قد أخذ بحظه من العلم حتى بلغ مبلغاً لا مزيد عليه، أو أنّه ارتقى بالذكر حتى سكن حاله، فعليه أن يأخذه برفقٍ إلى طريق التوازن مرة أخرى، حتى يكون طائراً بالجناحين معا.. فلا يُفرض التوازن فرضاً قبل أوانه، ولا يُرفض أحد السيرين رفضاً مطلقاً، بل يُؤخذ كل شيء بحكمته ومقداره، حتى ينضج السالك، ويكون جمعه بين العلم والذكر سيراً طبيعياً لا تكلف فيه، فتتحقق له البركة والفتح.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيدِينَ، رَجَالاً وَنِسَاءً، مَنَارَاتٍ لِلْعِلْمِ،
وَمَنَابِرَ نُورٍ يَسْرِي فِي الدُّرُوبِ، وَعَلَمُهُمْ كَيْفَ يَكُونُوا قُدُوةً
لِلنَّاسِ بِرَحْمَةٍ وَبَصِيرَةٍ، حَتَّى يَبْلُغُوا مَقَامَاتِ الْقُرْبِ وَالنُّورِ

رسالة [5]: التجديد في تنويع طلب العلوم

يا مريد، إن كنت ترى أنَّ الإيمان يكفي بلا علم، فقد أغلقت باباً من أبواب الفهم، وإن كنت ترى أنَّ العلم يكفي بلا روح، فقد حجبت نفسك عن النور.

إنَّ أعظم ما يميز السالك الحكيم هو أنَّه يجمع بين المعرفة الروحية والعلم الحديث، فلا يقف عند أحدهما دون الآخر. قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، فانظر كيف جعل الله العلم ميزاناً للرفعة، فإن كنت تريد أن تكون من أهل القرب، فاجعل نفسك متعلماً في كل باب.

يا مريد، إنَّ العلم الحديث ليس نقيضاً للروحانية، بل هو باب من أبواب الفهم العميق، فإن كنت ترى أنَّ العقل لا حاجة له في الطريق، فاعلم أنَّك لم تفهم حكمة الله تعالى، فإنَّه خلق العقل ليدرك، والنفس لتشعر، وإن كنت تستخدم أحدهما دون الآخر، فقد جعلت نفسك ناقصاً.

يا مريد، إنَّ السالك العارف لا يكتفي بالذكر دون البحث، ولا بالدعاء دون الدرس، فإن كنت ترى أنَّ المعرفة الروحية تكفيك عن دراسة علوم الكون، فاعلم أنَّك تحرم نفسك من رؤية آيات الله في الآفاق، وإن كنت تريد أن تعرف الله حقاً، فاجعل من كل علم وسيلة لفهم حكمته، فإنَّ العلم الذي يقود إلى الله هو علم نافع، وإنَّ العلم الذي يقطعك عن الله، هو فتنة.

يا مريد، إن كنت ترى أنَّ الذكر وحده يكفيك، فانظر إلى حال الأنبياء،

1 - [الزمر: 9]

فإنهم كانوا أصفى الناس قلوباً، وأكثرهم علماً. وإن كنت تريد أن تسير على خطاهم، فاجمع بين صفاء القلب وقوة العقل. وتذكر بأن الله تعالى لم يأمرنا بأن نترك التفكير، بل أمرنا بأن نجعله وسيلة إلى اليقين.

يا خلفاء الطريقة المقربون، إن بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أن العلم ليس عدواً للروح، بل هو مُكملٌ لها، وفيهم من يظن أن البُعد عن المعرفة الحديثة يحميه، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه كيف يكون الفهم العقلي وسيلة لزيادة القرب. فكونوا لهم مرشدين. علموهم أن السالك الحق هو الذي يوازن بين النورين، نور العلم، ونور القلب.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (16): كيف تعرف أنك تميل إلى (العقل أو القلب)؟

الجواب: يمكن للمريد أن يعرف ذلك من خلال موازنته بين حاله في العلم وحاله في الذكر، فإن كان يجد راحة في الذكر لكنه يتهيب البحث والتعلم، فقد مال إلى الروحانية دون العقل، وإن كان يتوسّع في الدراسة والتحليل لكنه يجد ثقلاً في الذكر والتأمل، فقد اعتمد على العقل دون أن يمنح القلب نصيبه. الميزان هو أن يسأل نفسه: هل يزيد علمي من قربي من الله؟ أم أنه مجرد تراكم معلومات؟ وهل يمنحني ذكرى فهماً أعمق للوجود، أم أنه مجرد ترديد بلا تفكير؟

مسألة (17): هل يوجد علمٌ حديثٌ يقطع عن الله تعالى؟

الجواب: العلم بحد ذاته ليس سبباً للبعد عن الله تعالى، لكن طريقة التعامل معه قد تجعله وسيلة للقرب أو للغفلة. العلم النافع هو الذي يُعين الإنسان على فهم آيات الله في الكون، ويدفعه للتواضع

أمام عظمتة، أمّا العلم الذي يقطع عن الله تعالى، فهو الذي يُغرق صاحبه في الأنا، ويجعله يرى الأسباب دون المسبب، فينسى أنّ كل معرفة هي في الأصل منحة من الحق سبحانه. المريد يميّز ذلك بسؤال نفسه: هل يزيدني علمي تواضعاً لله تعالى، أم يجعلني أتوهم الاستقلال عن حكمته (كما حدث مع إبليس)؟

مسألة (18): لماذا يميل البعض إلى التصوف أكثر من العلوم الحديثة؟
الجواب: قد يكون ذلك بسبب خوفهم من أن ينشغل المريدون بالعلم عن الذكر، أو لأنّهم لم يواكبوا بأنفسهم التغيرات العلمية والتكنولوجية، فيرون أنّها منفصلة عن الطريق الروحي. لكن الواجب عليهم أن يدركوا أنّ المريدين يعيشون في عالم يتغير، وأنّ العلم جزء من الأمانة التي يجب أن تُحفظ، فإن كان للخلفاء نصيب من العلوم الحديثة، فليوجّهوا المريدين إلى استخدامها في الخير. وإن لم يكن لهم فيها علم، فليفتحوا الباب لغيرهم ممن يمكنهم تعليمها، حتى لا يكونوا سبباً في فصل المريدين عن العصر الذي يعيشون فيه.

مسألة (19): كيف يستطيع المريد الجمع بين العلم الحديث والمعرفة الروحية في حياته اليومية؟

الجواب: يمكن للمريد أن يجعل العلم وسيلة لفهم أعمق للحكمة الإلهية، وأن يستخدم المعرفة الحديثة في خدمة الدين والمجتمع. فإذا كان في مجال الطب، فليفهم كيف أنّ الشفاء بيد الله تعالى، لكنّه جعل لكل داء سبباً وعلاجاً، وإذا كان في الفيزياء أو الفلك، فليرى فيها آيات الله في الخلق، وإذا كان في التكنولوجيا، فليجعلها أداة لنشر الخير، لا وسيلة للإنشغال بالدنيا عن الآخرة. الجمع بين العقل والروح لا يكون بمجرد النية، بل بالممارسة العملية التي تجعل كل علم سبباً لزيادة اليقين.

رسالة [6]: الاجتهاد في الدراسة

يا مريد، اعلم أنّ العلم فضلٌ من فصول العبادة. فالدراسة ليست مجرد وسيلةٍ للشهادة أو للرزق، بل هي بابٌ من أبواب القرب إلى الله تعالى، فإن كنت ممن يدرسون العلم الكوني، فاجتهد في تحصيله كما تجتهد في عبادتك.

وأعلم أنّ العقل نعمة وشكرها التعلم، فاشكر تُرَد ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾⁽¹⁾.

العلم لا يُعطى للمتكاسلين، ولا يُوهب للغافلين، بل هو حصة الساعين.

كن من أهل السعي، فالجاهل ليس مَنْ لا يعلم، إنّما الجاهل من لا يسعى ليعلم.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ الدراسة ليست واجباً فقط، بل هي عبادةٌ إذا صحت النية. وفيهم من يظن أنّ التفوق مجرد درجات، لا بناءٌ للعقل والروح.

علموهم أنّ العقل الذي لا يُستخدم، يخمل، وأنّ العلم الذي لا يُعمل به، يُنسى، وأنّ الذي يطلب العلم بإخلاص، يفتح الله له أبواب الفهم، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾⁽²⁾.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



1 - [إبراهيم: 7]

2 - [الأنبياء: 79]

مسألة (20): هل يمكن أن يُعد السعي في الدراسة عبادة؟

الجواب: إذا كان السعي في الدراسة بنيةً صالحةً، فإنه يكون عبادة. فإن كان المريد يدرس ليكون نافعاً لمجتمعه، أو ليحمل علماً يُعينه على فهم سنن الله تعالى في الكون، فقد دخل طلبه للعلم في دائرة الطاعة. فكما أنّ العبادات تزكي النفس، فإنّ العلم يزكي العقل، والنية الخالصة في سبيله سبحانه تجعل من الدراسة باباً للقرب من الله جلّ وعلا.

مسألة (21): لماذا قد لا ينتفع المريد بعلمه رغم كثرة دراسته؟

الجواب: لأنّ العلم ليس في كثرة المعلومات، بل في عمق الفهم وأثره في النفس والسلوك. فمن حفظ بلا تدبر، أو درس بلا غاية، لم يزد في الحقيقة إلّا عبثاً من المعلومات التي لا تؤثر فيه. والميزان الصحيح أن ينظر المريد إلى أثر دراسته: هل زادت في وعيه؟ هل تغيرت نظرتة للأمور؟ هل أصبح أكثر حكمة وتواضعاً؟ فإن كان الجواب لا، فليعلم أنّه لم يُحسن طلب العلم بعد.

مسألة (22): كيف نميز بين طلب العلم للنجاح وطلبه لذاته؟

الجواب: فليُنظر إلى حاله بعد الامتحان، فإن كان ينسى ما تعلّم بمجرد انتهاء الاختبار، فقد كان يسعى للدرجات لا للمعرفة. أمّا إن بقي أثر العلم في تفكيره، وأصبح يرى الأمور بنظرة أعمق، فقد أدرك حقيقة التعلم. فالنجاح لا يكون في العلامات وحدها، بل في البناء العقلي والروحي الذي يتركه العلم في النفس.

مسألة (23): لماذا يملّ الطالب من الدراسة، وكيف يتجاوز ذلك؟

الجواب: لأنّهم فقدوا المعنى العميق للعلم، فأصبحوا يدرسونه

كواجبٍ ثَقِيلٍ، لا كوسيلةٍ للفهم والتّرقّي. ومن أراد أن يتخلّص من هذا الشعور، فليبحث عن الهدف وراء دراسته، وليجعل منها وسيلة لاكتشاف الحكمة، فإنّ العقل إذا وجد معنى، وجد المتعة، وإذا فقد المعنى، شعر بالملل والضجر.

مسألة (24): هل يكون المريد صالحاً في سلوكه مقصراً في طلب العلم؟
الجواب: الصّلاح وحده لا يكفي إذا لم يكن مقروناً بالعلم، فالسلوك القويم يحتاج إلى وعيٍ وبصيرةٍ حتى لا يكون مجرد تقليدٍ. والعلم هو الذي يجعل المريد يسير في طريقه عن فهمٍ، لا عن تكرارٍ لما وَجَدَ عليه غيره. فالعبادة بدون علمٍ قد تؤدي إلى الغلو أو الجهل، والعلم بدون عبادةٍ قد يؤدي إلى الكبر والجدل، والمطلوب هو الجمع بينهما حتى تكتمل الهداية.



رسالة [7]: الصبر على مشقة التعلم

يا مريد، إنّ طريق العلم ليس طريقاً ممهّداً بلا عوائق، بل هو طريقٌ يختبر صدق نيتك، ويكشف مدى ثباتك، فإن كنت تطلب العلم حقاً، فاصبر عليه، ولا تستعجل ثماره، فإنّ العلم لا يُؤتى دفعة واحدة، بل يُنال بالمجاهدة والمثابرة. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾⁽¹⁾، فانظر كيف جعل الله الجهد شرطاً للهداية، وكأنّ العلم لا يُعطى إلّا لمن تعب في تحصيله.

يا مريد، إنّك قد تبدأ رحلتك في طلب العلم بحماس، ثم تجد نفسك تواجه صعوباتٍ، فتضعف، أو ترى أنّ الفهم لا يأتيك بسهولة، فتشعر بالإحباط، ولكن اعلم أنّ كل عالم مرّ بهذه المحنة، وكل طالب ناجح صبر على هذا الابتلاء. قال النبي ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ﴾⁽²⁾. فانظر كيف جعل الصبر أعظم العطايا، وكيف أنّ الذي يصبر، يُفتح له باب الفهم بعد حين.

يا مريد، إياك أن تظن أنّ الفهم السريع هو علامة النجاح، فإن كنت تجد صعوبة في العلم، فهذه علامةٌ على أنّك تخوض في أعماقه، لا تكتفي بالقشور. فالعلم لا يؤخذ كالماء الذي يُشرب بسهولة، بل هو كالكنز الذي يحتاج إلى بحثٍ وجهدٍ حتى يُستخرج. فإن كنت تحب العلم، فاصبر عليه، فإنّك لن تُعطى مفاتيحه إلّا بقدر ما تُعطيه من وقتك وتعبك.

يا مريد، إنّ العبد إذا اعتاد أن يستسلم للصعوبات، لم يحقق شيئاً،

1 - [العنكبوت: 69]

2 - صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط 5، 1414 هـ،

حديث رقم [1400]، ج 2 ص 535.

وإن كان يريد النّجاح، فلا بُد أن يكون ثابتاً لا يتراجع عند أول عقبة. فإن كنت تريد أن ترى أثر صبرك، فانظر إلى من سبقك، كيف كانوا يدرسون بالساعات، ويعيدون الدروس عشرات المرات، ولا يملّون حتى يفتح الله عليهم.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ الصبر على العلم جزءٌ من تحقيقه، وفيهم من يظن أنّ الصعوبة تعني أنّه ليس قادراً، وفيهم من يحتاج إلى من علّمه أنّ الثبات هو مفتاح النجاح، فكونوا لهم مرشدين.

علّموهم أنّ العلم لا يؤخذ في يومٍ وليلة، بل هو طريقٌ طويلٌ، يحتاج إلى صبرٍ وجَلَد، فإنّ الذي يصبر، يصل، والذي يملّ، يبقى في مكانه.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ على الذي يطلب العلم، ألا ينظر إلى التّعب، بل ينظر إلى الخير الذي سيجده بعد اجتياز الصعوبات، فإن كنت تريد أن تكون من أهل العلم، فاصبر على الصعوبات، وإن كنت تريد أن تكون من الذين ينيرون عقولهم، فلا تجعل مشقة الطريق تشيك عن المسير.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (25): كيف يميّز المريد بين صعوبة التعلم وعدم أهليته له؟
الجواب: الصعوبة في التعلم أمرٌ طبيعي، بل هي علامةٌ على أنّ المريد يخوض في عِلْمٍ عميقٍ، لا يكتفي بالسطحيات. أمّا عدم الأهلية، فهو حكمٌ متسرّعٌ يُصدّره العبد عندما يستعجل الفهم، أو يقارن نفسه بغيره. فالفرق بين الأمرين أنّ الصعوبة تُكسّر بالمجاهدة والاستمرار، بينما عدم الأهلية يكون في عِلْمٍ لا رغبة فيه أو لا استعداد له، وحتى هذا لا يُحكم عليه إلّا بعد بذل الجهد الكافي.

مسألة (26): لماذا لا يشعر المريد بثمرة صبره في التعلم رغم اجتهاده؟
الجواب: الحصول يأتي أحياناً دفعة واحدة بعد طول مجاهدة، كما أنّ الثمرة لا تنضج إلّا بعد اكتمال نموها، فمن شعر بأنّه لم يستفد رغم اجتهاده، فليصبر، فإنّ ما تعلّمه اليوم قد يُثمر في الغد.

مسألة (27): كيف يواجه المريد إحباطه إذا سبقه غيره في الفهم؟
الجواب: لا يُقاس الفهم بسرعة التحصيل، بل بجودته وأثره في النفس. فقد يكون من يفهم ببطءٍ أرسخُ علماً ممن يفهم بسرعةٍ وينسى سريعاً.

وعلى المريد ألا يقارن نفسه بغيره، بل يقارن نفسه بما كان عليه بالأمس، فإن وجد تقدماً ولو قليلاً، فهو في الطريق الصحيح.
وأعلم أنّ الفتح في العلم لا يأتي لكل الناس في وقتٍ واحدٍ، فقد يؤخّر الله الفهم لحكمةٍ، لكنه يُعطيهِ في الوقت المناسب.

مسألة (28): كيف يتجنب المريد الملل أثناء التعلم؟
الجواب: الملل في التعلم ناتجٌ عن فقدان الهدف أو عدم رؤية التقدم. فإذا شعر المريد بالملل، فليجد نيته، وليبحث عن طريقةٍ جديدةٍ لفهم العلم، أو ليُقَسِّم وقته بين الدراسة والتأمل، أو ليستعن بأصحاب العلم الذين يمكن أن يُبسّطوا له ما استغلق عليه. فإن كان يشعر بالملل، فليس ذلك عائقاً، بل هو إشارةٌ إلى أنّه بحاجةٍ إلى إعادة ترتيب طريقته في التعلم.

مسألة (29): متى يدل تعب المريد في العلم على الفهم لا العجز؟
الجواب: إذا بدأ المريد يجد أنّ المسائل التي كانت مستغلقة عليه أصبحت أوضح قليلاً، أو بدأ يفهم أجزاءً مما كان يراه غامضاً، فهذا

يعني أنّه يقترب من الفهم. فإنّ أشد لحظات المشقة تأتي قبل لحظة الانكشاف. ومن يترك التعلم عند شعوره بالتعب، فقد يكون تخلى عن الفهم وهو على وشك أن يصل إليه. فليصبر، فإنّ العلم لا يعطي أسرارَه لمن استعجل.

مسألة (30): كيف يكون صبر المريد على العلم سبباً للفتح لا مجرد الفهم؟

أنّ طلب العلم مجاهدةٌ للنفس، وفي المجاهدة تزكيةٌ للروح. فمن صبر على التعلّم، فقد درّب نفسه على الثبات، والتواضع، والتجرّد من العجلة، وهي صفاتٌ أساسيةٌ في السير إلى الله. فقد يكون الفتح في العلم باباً للفتح في الروح، لأنّ النفس التي تعودت الصبر على فهم المعاني، تكون أقدر على الصبر في السلوك والتزكية.



رسالة[8]: التوازن بين طلب العلم والعمل

يا مريد، احذر أن يكون طلبك للعلم مجرد ذريعة للهروب من العمل، فإنّ بعض الناس يُكثرون من الدراسة، لا لطلب الحقيقة، بل لتأجيل السعي والجهد، فإن كنت من هؤلاء، فاعلم أنّك لم تبدأ السير بعد، فإنّ العبد الذي يطلب العلم حقاً، يجعل علمه مُعيناً له على الكدح في الحياة، لا حُجة لكسله. وإن كنت تظن أنّ كثرة المحفوظات تغنيك عن التجربة، فاعلم أنّ التجربة هي المُعلِّم الأول، وأنّ من لم يعمل، لم يُختبَرِ علمه.

روي أنّ أحد العارفين كان يُعلِّم تلاميذه، فقال له أحدهم: «يا سيدي، أنا أطلب العلم منذ سنوات، ولكنني لم أجد أثره في نفسي».

قال له: «أين عملك؟».

قال التلميذ: «أنا لا زلت أتعلم».

قال الشيخ: «العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، فلا تنتظر أن ترى نفع العلم في قلبك، حتى تُجربه في واقعك».

فانظر كيف أنّ العلم إن لم يكن مقروناً بالعمل، لم يكن له بركة. وإن كنت تريد أن ترى علمك، فانظر كيف ينعكس في حياتك.

يا مريد، إنّ العبد إذا ترك العمل بحجة العلم، فقد ترك السير، وإن ترك التعلّم بحجة العمل، فقد أوقف التطور. فإن كنت تريد أن تكون من السائرين، فلا تجعل العلم حجة للتقاعس، ولا تجعل العمل مبرراً للجمود، فإنّك إن تعلّمت ولم تُطبّق، كنت كمن يبني قصراً في خياله، وإن عملت بلا علم، كنت كمن يُجهد نفسه في بناءٍ لا أساس له.

يا مريد، لا تظن أنّ العابد الذي يذكر الله كثيراً أفضل من العامل

الذي يسعى في رزقه بصدقٍ وإتقان، فإنَّ العبادة ليست محصورة في الأذكار، ولكنها في كل عملٍ يُقصد به وجه الله تعالى، فإن كنت تريد أن تعبد الله حقاً، فأجعل لك في كل جهدٍ نيةً صالحة، وإن كنت تريد أن يكون عِلْمُكَ نافعاً، فاعمل به.

يا خلفاء الطريقة، إنَّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنَّ العِلْمَ والعمل لا ينفصلان، ففيهم من يغرق في الكتب وينسى الحياة، وفيهم من يُجهد نفسه في السعي بلا هدى من المعرفة، فكونوا لهم مرشدين. علِّموهم أنَّ الدنيا لا تقوم بلا سعي، وأنَّ القلوب لا تُتور بلا عِلْم، فإنَّ الذي يطلب العلم وحده، قد يسقط في وهم التنظير، والذي يسعى بلا عِلْمٍ، قد يتيه بلا هدى.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنَّ التوازن هو مفتاح النجاح، فإن كنت تريد أن تكون عالِماً، فلا تكتفِ بالقراءة، ولكن انزل إلى الواقع. وإن كنت تريد أن تكون ناجحاً في حياتك، فلا تكتفِ بالسعي، ولكن اجعل لك زاداً من المعرفة، فإنَّ العبد إن لم يجمع بين العِلْم والعمل، كان فقد التوازن وخسر النجاح.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (31): كيف تميز بين طلب العلم لله وبين التهرب من العمل؟
الجواب : فليُنظر إلى حاله، فإن كان يسعى في العلم ليزداد وعياً ويطبِّقه في حياته، فهو طالب علمٍ بحق. أمَّا إن كان يستمر في الدراسة بلا نيةٍ للعمل، ويؤجل السعي بحجة أنَّه "لم يكتمل علمه بعد"، فقد يكون قد وقع في وهم التعلُّم دون غاية. فالعلم الحق يدفع صاحبه إلى الفعل، أمَّا العِلْم الذي يبرر الكسل، فهو مجرد حيلةٍ نفسيةٍ للهروب من الجهد.

مسألة (32): كيف يوازن المريد بين العلم ومشاكل الحياة؟

الجواب: التوازن لا يعني أن يعطي المرء وقتاً متساوياً للعلم والعمل دائماً، بل أن يمنح كل منهما حقه حسب الحاجة. فقد يكون في وقتٍ أحوج إلى التركيز على التعلّم، فيمنحه جهداً أكبر، وفي وقتٍ آخر يحتاج إلى العمل، فيجعل له الأولوية. فالحكمة في أن يدرك المريد متى يُكثّف دراسته، ومتى يجعل علمه موصولاً بالواقع، فلا يكون منعزلاً في الكتب، ولا غارقاً في العمل بلا فهم.

مسألة (33): لماذا يشعر البعض أن طلب العلم يعيقهم عن العمل؟

الجواب: لأنهم ينظرون إلى العلم على أنه مرحلة منفصلة عن العمل، فيجعلون أنفسهم عالقين بينهما، بينما الحقيقة أنّ العلم والعمل يتداخلان. ليس المطلوب من المريد أن يتعلّم كل شيء قبل أن يعمل، بل أن يتعلّم بقدر حاجته، ثم يطبق ما تعلّمه، فيزداد فهمه من خلال التجربة. فالتعلم المستمر مع التطبيق هو الطريق الصحيح، وليس الفصل التام بينهما.

مسألة (34): هل يبلغ المريد مقاماً عالياً بعمله ولو قلّ علمه؟

الجواب: نعم، لأنّ الميزان هو الإخلاص، وليس كثرة المعلومات. من كان يعمل بما يعلم، ولو كان علمه قليلاً، فهو عند الله أعظم من عالمٍ كبيرٍ لا يعمل بعلمه. ولهذا قال النبي ﷺ: ﴿أفضل الناس أنفعهم للناس﴾⁽¹⁾.

ليس الفضل في مجرد المعرفة، بل في تحويلها إلى خيرٍ وعملٍ صالح أو نافع.

1 - رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط.

مسألة (35): كيف تعرف إن كنت تحقق التوازن بين العلم والعمل؟
الجواب: فليُنظر إلى نفسه: هل يزداد وعيّه مع كل خطوةٍ في العمل؟ وهل ينعكس علمه على سلوكه اليومي؟ فإن كان يرى أنّ علمه لا يغير فيه شيئاً، فهو لم يُطبّقه كما ينبغي، وإن كان يعمل بلا هدى ويقع في الأخطاء المتكررة، فليعلم أنه بحاجةٍ إلى مزيدٍ من التعلّم. فالتوازن ليس في تقسيم الوقت بين العلم والعمل فقط، بل في تحقيق أثر كل منهما في حياة الإنسان.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مُرِيدِنَا وَمُرِيدَاتِنَا طَالِبِينَ لِلْعِلْمِ بِوُجُوهٍ مُّقْبِلَةٍ
عَلَيْكَ، صَابِرِينَ فِي التَّعَلُّمِ، صَادِقِينَ فِي الْعَمَلِ، وَارْزُقْهُمْ مِيزَانَ
الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَافْتَحْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الْفَهْمِ وَالذَّوْقِ وَالنُّورِ، حَتَّى
يَكُونَ عِلْمُهُمْ سَبَبًا لِلْفَتْحِ، وَعَمَلُهُمْ سَبَبًا لِلْقُرْبِ، بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

رسالة[9]: تعلم الذكاء الاصطناعي

يا مريد، إنّ الزمن يتغير، والوسائل تتطور، ومن أراد أن يكون من أهل البصيرة، فعليه أن يفهم أدوات عصره، فإنّ العلم ليس مقصوداً على علوم الدين وحدها، بل هو كل ما يُعين الإنسان على تحقيق الحق ونشر الخير. وإن كُنْتَ ترى الذكاء الاصطناعي أمراً بعيداً عنك، فاعلم أنّك تُعرّض نفسك للجهل بأحد أهم أدوات العصر، فإن كُنْتَ تريد أن تكون ممن يواكبون التقدم، فتعلّم كيف تستخدمه، لا كيف تتجنبه.

يا مريد، إنّ الذكاء الاصطناعي ليس مجرد أداة، بل هو امتدادٌ لقدرة العقل البشري على تطوير الوسائل، وإن كُنْتَ تخشى أن يأخذ مكانك، فاعلم أنّ الإنسان الذي يُحسن استخدامه لن يكون يوماً تابعاً له، بل سيكون قائداً له، فإن كُنْتَ ترى أنّ التكنولوجيا تُبعدك عن الله، فاعلم أنّ المشكلة ليست في الأداة، بل في كيفية استخدامها. قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف أنّ العلم بابٌ للرفعة، فإن كُنْتَ تريد أن ترتقي، فتعلّم كيف يكون لك يدٌ في عالم المعرفة الجديد.

يا مريد، لا تكن ممن يرون التغيير تهديداً، بل اجعل نفسك من أهل التطوير، فإنّ العالم لن يتوقف من أجلك، وإن كُنْتَ لا تريد أن تتعلم، فستبقى متأخراً، بينما غيرك يسير.

يا مريد، إبدأ بالتعلّم، فإنّ الجهل لا يحميك، بل يُبعدك عن دائرة التأثير. من أغلق بابه على نفسه، فاتته مواكب النور، ومن فتح عقله للمعرفة، أدرك الحكمة ولو بعد حين.

يا مريد، لا تجعل الخوف من الجديد يحرملك من أن تكون فاعلاً في
زمنك، فإن كنت ترى الناس يستخدمون الذكاء الاصطناعي، وأنت لا
تزال متردداً، فاعلم أنّ وقتك يمضي، وأنّ كل تأخيرٍ يجعل المسافة
بينك وبين العالم أكبر. فإن كنت تريد أن تكون ممن يحملون العلم،
فاحرص على أن تعرف كيف تعمل أدوات المعرفة الحديثة.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من يحتاج إلى من
يُعلّمه أنّ الحكمة هي أن تعرف كيف تستخدم كل وسيلةٍ في الخير،
فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ العلم لا يكون نافعاً إلا إذا
استُخدم في الحق. فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا من أهل الله،
فاجعلوهم يفهمون أنّ القوة اليوم في الفهم، لا في العُزلة.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الذكاء الاصطناعي
ليس بديلاً عن الإنسان، بل هو أداةٌ في يده، فإن كنت ترى مريداً
يخشى التعامل معه، فذكّره أنّ الله أمرنا بالتفكير والتعلم، وإن رأيتَ
مريداً ينظر إليه نظرة المتوجس، فاجعله يفهم أنّ كل أداة بيد
الصالح تُصبح باباً للخير.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (36): هل يصدق المريد وهو يرفض تعلم أدوات عصره؟

الجواب: الصدق في السير إلى الله يقتضي الأخذ بكل وسيلةٍ تعين
على تحقيق الحق ونشر الخير. ومن ترك التعلم بحجة الزهد، فقد
ترك باباً من أبواب الحكمة. فإن كان العلم نوراً، فكيف يسير
السالك في الظلمة ويرجو الوصول؟ المريد الصادق هو الذي لا
يخشى الجديد، بل يسخره لخدمة رسالته، أمّا من يرفض أدوات
المعرفة، فهو يحجب عن نفسه باباً من أبواب الفتح.

مسألة (37): كيف يكون الذكاء الاصطناعي امتداداً للبصيرة ؟

الجواب: البصيرة ليست في رفض الوسائل، بل في استخدامها بحكمة. فكما أنَّ الكتاب كان امتداداً للعقل في زمانه، فإنَّ الذكاء الاصطناعي امتدادٌ للفكر في زماننا. من استعمله بعلمٍ وفهمٍ، زادته بصيرته اتساعاً، ومن خافه دون معرفة، ضاقت عليه الأبواب.

السالك الذي يسعى إلى الحكمة يجدها في كل شيءٍ، حتى في أعقد التقنيات، لأنَّها مجرد أداةٍ، لا تحدد مصير الروح، بل طريقة استخدامها هي التي تحدد أثرها.

مسألة (38): هل في رفض الذكاء الاصطناعي نوعٌ من الكبر الخفي؟

الجواب: قد يكون الرفض نابعاً من شعورٍ خفيٍّ بأنَّ ما تعلّمه الإنسان سابقاً يكفيه، وإنَّه لا يحتاج إلى شيءٍ جديدٍ، وهذا نوعٌ من التعصب لما اعتاد عليه العقل. لكن المتواضع للعلم يُدرك أنَّ كل معرفةٍ جديدةٍ تُفتح له، إنَّما هي نعمةٌ، وأنَّ الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها ولو جاءت في صورةٍ لم يألّفها. المريد الذي يظن أنه ليس بحاجةٍ إلى التعلّم، قد يكون محجوباً دون أن يشعر.

مسألة (39): لماذا التأخر في تعلم أدوات العصر من أسباب فقدان التأثير الروحي؟

الجواب: لأنَّ المريد الذي لا يعرف لغة عصره، لا يستطيع أن يوصل نوره إلى أهله. فمن كان يعيش في زمنٍ تحكمه التكنولوجيا، ثم لم يتعلم كيف يستخدمها في نشر الحق، فقد أغلق باباً واسعاً كان يمكن أن يُفتح له ولغيره.

الجهل ليس حماية، بل عائقٌ يمنع الإنسان من أن يكون فاعلاً. من ترك أسباب التأثير، فقد فوّت على نفسه فرصة لنقل النور إلى من يحتاجه.

مسألة (40): كيف يكون تعلم الذكاء الاصطناعي عبادة ؟

الجواب: كل عِلْمٍ يُعِين على تحقيق الحق، ويُستخدم لنشر الخير، فهو من العلم النافع الذي يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى. فإذا نوى المريد أن يتعلَّم الذكاء الاصطناعي ليستخدمه في نفع الناس، أو في نشر الحكمة، أو في تحسين فهمه للحياة، صار طلبه للعلم عبادة، لأنَّه أدخل أداة جديدة في خدمة مقاصده النبيلة. أمَّا من ظنَّ أنَّ التقرب إلى الله يكون بترك المعرفة، فقد خالف سُنَّة الله في رفع أهل العلم درجاتٍ.

مسألة (41): كيف يوجَّه الخلفاء إلى التعلم دون الوقوع في فتنة الانشغال الزائد؟

الجواب: على الخلفاء أن يُعلِّموا المريدين أنَّ العلم وسيلةٌ لا غاية، وأنَّ المعرفة تُطلَب لا لمجرد الامتلاء بالمعلومات، بل لاستخدامها في الخير.

إن رأوا مريداً يخشى العلم، شَجَّعوه على التعلُّم. وإن رأوا مريداً ينسى ذكره في انشغاله بالمعرفة، ذكَّروه بأنَّ الحكمة في التوازن. كما أنَّ الجهل يحجب، فإنَّ الانشغال الزائد يحجب كذلك.

مسألة (42): كيف يوفِّق المريد بين التكنولوجيا وسيره الروحي؟

الجواب: المريد الواعي يستخدم التكنولوجيا كأداةٍ تخدم هدفه، لا كغايةٍ تشغله عن مقصده. فإن كان استخدامها لها يزيده علماً، ويعينه على تحقيق الخير، ويجعله أكثر قدرة على خدمة الدين والمجتمع، فهو في طريقٍ صحيح. أمَّا إن أصبحت تسرقه من ذكره، وتقطَّعه عن تأمله، وتُشغله بسفاسف الأمور، فليعلم أنَّه قد خرج عن التوازن، وليجتهد في إعادة ضبط علاقته بها.

مسألة (43): كيف يواجه المريد خوفه من عدم القدرة على التعلم؟
الخوف من عدم القدرة على التعلم ناتج عن وهم العجز، فمن ظنَّ
أنَّه غير قادرٍ، توقف قبل أن يبدأ. لكن الحقيقة أنَّ كل عالمٍ كان
جاهلاً في البداية، وكل متقنٍ كان متعلماً. فإذا شعر المريد بالخوف،
فليبدأ بخطوةٍ صغيرةٍ، وليتعامل مع المعرفة كما يتعامل مع سيره
الروحي: بتدرجٍ، وثباتٍ، وصبرٍ، حتى تتفتح له الأبواب.

مسألة (44): هل يتعارض تعلم التكنولوجيا مع الزهد والتصوف؟
الجواب: الزهد لا يعني رفض الأدوات التي يمكن أن تُستخدم في
الخير، بل يعني أن يكون القلب معلقاً بالله، لا بالدنيا. فإن كان
المريد يستخدم التكنولوجيا ليحقق بها منفعة، وينشر بها علماً،
ويُسهم في بناء مجتمعه، فهو في طريق الزهد الحق. أمّا من يظن أنَّ
الزهد هو العزلة عن كل جديدٍ، فقد حجب نفسه عن الحكمة التي
جعلها الله ممتدة في كل عصرٍ وزمان.

مسألة (45): كيف يعرف المريد أنه يسير في نور العلم ؟
الجواب: فليُنظر إلى مدى استعدادهِ للتعلم، فإن كان يطلب الفهم
بلا خوفٍ، فهو في نورٍ، وإن كان يتردد، فليجتهد حتى يفهم.
الحكيم لا يرفض شيئاً قبل أن يدرك حقيقته، والجاهل وحده هو
الذي يحكم على الأمور من بعيدٍ دون أن يخوض فيها.

3 0 9 0 3

مَعِينِ الْحِكْمَةِ وَمِرَاةِ
التَّجْدِيدِ

رسالة [10]: الشيخ ومراتب الحب في الطريقة

يا مريد، إنّ القلب الذي يسير إلى الله لا بد أن يكون عامراً بالحب. فإنّ الطريق ليس مجرد التزام ظاهري، ولا أعمال تؤدي بلا روح، بل هو محبة تُورث الاتباع، وشوق يدفع إلى الاستقامة، فإن كنت تريد أن تصل، فابدأ بالحب، فإنّه مفتاح كل شيء. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾، فانظر كيف جعل الله المحبة شرطاً للإتباع، وجعل الإتباع دليلاً على الصدق في الحب، فإنّ المحب لا يكتفي بالمشاعر، بل يسعى إلى أن يرضي محبوبه بكل ما يستطيع.

يا مريد، إنّ حب الشيخ ليس عبادة لذاته، ولا تقديساً لشخصه، بل لأنك ترى فيه نور النبوة الآتي من نور الألوهة، فإن كان حبك له يقودك إلى العمل، فأنت في الطريق الصحيح، وإن كان حبك له مجرد تعلّق بلا أثر، فاعلم أنك لم تفهم معنى الحب بعد. وإن كنت تظن أنّ الحب يقتصر على الاحترام والإجلال، فتذكر أنّ الحب الحق هو الذي يفتح لك آفاق الفهم، ويقودك إلى مقام التزكية والتربية، فلا تقف عند سطحه، بل غوص في أعماقه حتى تصل إلى جذوره الحقيقية.

قال النبي ﷺ: ﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾⁽²⁾. فانظر كيف جعل حب النبي جزءاً من الإيمان، فإن كنت تحب الله، فلا بد أن تحب رسوله، فإنّ المحبة نور متصل، يبدأ من الشيخ، فيربطك برسول الله، ويصل بك إلى حب الله. فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى قلبك:

1 - [آل عمران: 31]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [15]، ج1 ص14.

هل يُحب الله حقاً؟ فإن كان يُحب الله، فسيُحب رسوله ، وإن كان يُحب رسوله، فسيُحب من يرشده إلى سيره، فإن كنت تحبهم جميعاً، فاسأل نفسك: هل حبك لهم يظهر في أعمالك؟ أم أنّه مجرد كلماتٍ ترددها دون أثر؟

يا مريد، لا تظن أن الحب مجرد عاطفةٍ في القلب، فإنّ الحب إن لم يُترجم إلى عمل، لم يكن إلّا دعوى، فإن كنت تحب شيخك، فاتبع نُصَحَه، وإن كنت تحب نبيك، فاتبع سُنَّته، وإن كنت تحب ربك، فاجعل حبك يقودك إلى الطاعة، فإنّ المحبة التي لا تُغَيِّر صاحبها، ليست محبة صادقة.

واعلم أنّ المحبة تقتضي المجاهدة، فمن أحب شيئاً، سعى إليه بكل ما يستطيع، ومن أحب الله، لم يترك في قلبه موضعاً لما يبعده عنه. يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ الحب هو مفتاح الطريق، وفيهم من يظن أنّ الحب مجرد كلماتٍ تُقال، دون أن يكون له أثرٌ في السلوك، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ الحب درجات، وأنّه إن كان صادقاً في حبه للشيخ، فليبحث عن أثر ذلك في قلبه تجاه النبي، وإن كان صادقاً في حبه للنبي ، فليبحث عن أثر ذلك في سيره إلى الله، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ الحب ليس مدحاً، ولا تعلقاً، بل هو صدقٌ في العمل، وإخلاصٌ في السير والسلوك.

إن كنت تريد أن ترى أين أنت في الطريق، فانظر إلى قلبك، فإن كان ممتلئاً بمحبةٍ صادقةٍ تقودك إلى العمل، فأنت على الحق، وإن كان حبك عاطفة لا تُترجم إلى التزام، فاعلم أنّك بحاجةٍ إلى تصحيح نيتك.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ حب الله هو الغاية، وحب الرسول هو الوسيلة، وحب الشيخ هو بداية الطريق. فإن كنت

تُحِبُّ شَيْخَكَ، فَاسْلُكْ دَرْبَهُ، وَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّ نَبِيَّكَ، فَاتَّبِعْ سُنَّتَهُ، وَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّ رَبَّكَ، فَاجْعَلْ حُبَّكَ يَقُودُكَ إِلَى الطَّاعَةِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي يُحِبُّ بِصَدَقٍ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ، لِأَنَّهُ يَجِدُ النُّورَ فِي طَرِيقِهِ.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَكَ فَارْتَقَى.



مسألة (46): ما هو أساس السير إلى الله في الطريقة الكسنزانية؟
الجواب: أساس السير إلى الله هو المحبة، فهي مفتاح الطريق، وبها يتحقق الاتِّباع ، ويُثمر الشوق إلى الاستقامة والعمل. فمن بدأ بالحب، سلك طريق القرب، لأنَّ المحبة الحقيقية تدفع إلى طاعة المحبوب والسير إليه.

مسألة (47): كيف يعرف المريد صدق محبته لله تعالى، ولرسوله ﷺ، وللشيخ؟

الجواب: يعرف المريد صدق محبته إذا ظهر أثر هذا الحب في عمله وسلوكه . فإن كان يتَّبِعُ أوامر شيخه، ويتمسك بسُنَّة نبيه، ويطيع ربه بصدق، فحبه صادق، وإن كانت محبته مجرد كلمات لا تُترجم إلى التزام وجهاد للنفس، فهي دعوى تحتاج إلى مراجعة.

مسألة (48): ما العلاقة بين مراتب الحب الثلاثة في الطريق الكسنزاني؟

الجواب: حب الشيخ هو بداية الطريق، فإذا صدق المريد في حبه لشيخه، ارتقى إلى محبة النبي، ومن صدق في محبة النبي، رفعه الله إلى محبته عزَّ وجلَّ. فالمحبة متصلة ومتدرجة، تبدأ بالشيخ، وتُتمُّ بالرسول، وتنتهي بحب الحق سبحانه.

مسألة (49): لماذا لا يكفي الحب المجرد عن العمل في السير إلى الله؟

لأنَّ المحبة التي لا تدفع إلى العمل، ولا تُثمر التزاماً واستقامة، هي دعوى باطلة. فالمحبة الحقيقية تقتضي المجاهدة وبذل النفس. كما أنَّ من أحب شيئاً سعى إليه، ومن أحب الله صدقاً لم يترك في قلبه موضعاً لما يبغده عنه.

مسألة (50): كيف يعرف المريد أنه قد تحقق بمقام المحبة الصادقة؟
الجواب: يعرف المريد ذلك إذا وجد أنَّ محبته لله، وللرسول، وللشيخ، تقوده إلى طاعة الله في كل حال، والتمسك بسنة النبي، واتباع إرشادات الشيخ دون تردد أو تقصير. فإذا اجتمع له صدق القول وصحة العمل، فهو على الطريق إلى محبة الله الخالصة.



رسالة [11]: شيخ الطريقة... مرآة الأنوار الإلهية

يا مريد، اعلم أنّ السير إلى الله تعالى لا يكون بغير دليلٍ عارفٍ بمسالك الطريق، خبير بمزالق النفس والهوى. وإنّ شيخ الطريقة هو الدليل الحي الذي أقامه الله ليأخذ بأيدي السالكين من ظلمات الغفلة إلى أنوار المعرفة، ومن أسر النفس إلى حرية الروح، فهو باب القرب، وواسطة الفتح، وحامل سر التربية، وهو مرآة الحق التي تعكس لك نور الطريق إن نظرت فيها بصدق.

شيخ الطريقة، يا مريد، ليس مجرد معلّم للعلوم، ولا حافظاً للأنساب، بل هو حامل سر السلسلة النورانية، ووارثٌ لأنوار النبي وأهل البيت ومشايخ الطريقة، قائم مقام من قال فيه الحق سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾. فانظر يا مريد، كيف جعل الله المحبة مقترنة بالاتباع، والاتباع لا يتحقق إلّا بصحبة مرشدٍ صادقٍ، يدلك على رسول الله، ويربط قلبك بأنوار المحبوب عزّ وجلّ.

يا مريد، إنّ شيخ الطريقة هو المرآة الصافية التي ترى فيها نفسك على حقيقتها. فمن صدق معه في الصُحبة، أراه الله عيوب نفسه، وعرفه بواطن أمره، فيأخذ بيده في التزكية والتصفية، حتى يكون أهلاً لحمل الأمانة، وأهلاً للقرب. فصحبة الشيخ ليست عادة، بل عبادةٌ تسري منها أنوار الهداية إلى قلب المريد، إن كان صادقاً.

قال الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾⁽²⁾، فافهم يا مريد أنّ هذا الولي هو الشيخ الرباني، الذي ينصر

1 - [آل عمران: 31]

2 - [النساء: 75]

قلبك على نفسك، ويرفعك من وهدة الغفلة إلى مقام اليقظة والصفاء.
يا مرید، لا تحب شیخك لشخصه، ولكن انظر إليه بوصفه الدلیل
الموصل، والواسطة الجامعة، فمن رآه من حیث صورته، فقد حجبته
النظر، ومن رآه من حیث سرّه، اهتدى إلى النور. ومن صدق في
صحبته، نشأ حبه للرسول، ومن صحّ حبه للنبي، وصل إلى حب الله
عزّ وجلّ. كما قال سيدنا عبد القادر الجيلاني (قدس سره): "شیخك
مرآتك، فإن نظرت فيها بصدق، أبصرت نفسك على حقيقتها، ومن
أبصر نفسه، أبصر ربه".

يا مرید، إنّ شیخ الطريقة هو ظل الحبيب المصطفى في هذا الزمان،
فمن تبعه بصدق، صار كمن تبع النبي، فإنّ السلسلة نور واحد لا
ينقطع، بل يتجدد في كل زمان بشیخ قائم بالحق، موصلٍ بإذن الله
إلى ربّ العباد.

يا خلفاء الطريقة، علّموا المریدین أنّ شیخهم هو موضع نظر الله في هذا
العصر، وأنّ الأدب معه فوز، والتعلق به نجاة، والاعتراض عليه حجاب.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (51): ما وظيفة شیخ الطريقة في سير المرید إلى الله ؟
الجواب: شیخ الطريقة هو الدلیل الحي الذي يأخذ بيد المرید من
ظلمات الغفلة إلى أنوار المعرفة، ويهديه في مسالك الطريق، ويقيه
مزالق النفس والهوى، وهو الطبيب الذي يعرف أمراض القلوب،
ويضع لكل قلب دواءه المناسب.

مسألة (52): لماذا يُعد شيخ الطريقة حاملاً لسر السلسلة النورانية؟
الجواب: لأنّه وارث لنور النبي، وموصول بسند متصل إلى حضرة الحق، يحمل سر التربية والتزكية، وهو حلقة في سلسلة الأولياء الصادقين الذين أُقيموا لهداية الخلق، كما أنّه حامل سر الفتح في هذا الزمان.

مسألة (53): ما معنى أن الشيخ مرآة صافية للأنوار الإلهية؟
الجواب: يعني أنّ المريد إذا نظر إلى شيخه بنور الصدق، أبصر نفسه على حقيقتها، فعرف عيوبها، وسعى إلى تزكيتها، ومن عرف نفسه، عرف ربه، فشيوخ الطريقة هو مرآة صافية تظهر فيها حقيقة المريد، فيرى بنورها طريق الوصول إلى الله.

مسألة (54): لماذا يكون حب الشيخ لدلالته لا لشخصه؟
الجواب: لأنّ حب الشيخ الحقيقي هو حبّ لما يحمله من النور والدلالة على الله تعالى، وليس لشخصه أو صورته، فمن وقف عند شكله، حجب نظره، ومن تجاوز إلى روحه وسرّه، وصل إلى نور الحق، ومن صدق في صحبته، ارتقى من حب الشيخ إلى حب النبي، ثم إلى حب الله تعالى.

مسألة (55): ما دور شيخ الطريقة كظل للنبي ﷺ في هذا الزمان؟
الجواب: شيخ الطريقة هو قائم مقام النبي في التربية والإرشاد، موصل لأنوار السلسلة، فمن تبعه بصدق، كأنّه تبع النبي، لأنّه حامل نور السلسلة المباركة في عصره.

مسألة (56): ما واجب الخلفاء تجاه تعليم المريدين مقام الشيخ؟
الجواب: واجب الخلفاء تربية المريدين على الأدب مع الشيخ،
وغرس محبته في قلوبهم على أساس أنّه الدليل إلى الله تعالى،
وتحذيرهم من الاعتراض عليه، لأنّه حجاب يحول دون الفتح،
وتعليمهم أنّ الشيخ موضع نظر الله، وصحبته أمان ونجاة.

مسألة (57): كيف يعرف المريد أنّه صادق في صحبته وحبه للشيخ؟
الجواب: يعرف المريد صدق صحبته إذا وجد محبته للشيخ تزيده
التزاماً بالطاعة، وإخلاصاً في العمل، واتباعاً للهدي. وإذا رأى أنّ كلام
الشيخ يثمر في قلبه نوراً، وأنّ وجوده معه يرفع همته، ويقوّي سيره
إلى الله، فهو صادق، وإن وجد غير ذلك، فليراجع صدقه وأدبه.



رسالة [12]: شيخ الطريقة... مربى المرشدين

يا مريد، اعلم أنّ شيخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية ليس مجرد معلم أو واعظ، بل هو مربٍ رباني، وصانعٌ للرجال، ومُخْرِجٌ للمرشدين من دائرة التربية الخاصة إلى دائرة التربية العامة، فهو الذي يُعِدُّ الخلفاء ليكونوا أمناء على نور الطريق، وحملة سر السلسلة، ودعاة إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

شيخ الطريقة هو الذي يحمل في قلبه سر التربية، ويمتلك الحكمة في اختيار من يستحقون هذا الحمل الثقيل. فالمرشد الكامل لا يكون إلّا من تحت يد شيخ الطريقة، لأنّه هو من ينقل إليه سر الإرشاد، ويدفع فيه روح التربية، ويفتح له أبواب المعرفة بالله، ليكون أهلاً لأن يُرشد النفوس، ويربي القلوب، وينشر السلام والنور بين العباد.

يا مريد، إن شيخ الطريقة هو مرآة الحق، فإذا ربّي خليفةً أو مرشداً، كان بمثابة غرس في أرض خصبة، فإذا أتمّ تربيته، وأجاز له الإرشاد، صار هذا الخليفة صورة من صور الطريقة، وسراجاً ينير قلوب الناس بهدي الله. قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾⁽¹⁾، وكذلك شيخ الطريقة، يُرَبِّي وَيُعَلِّمُ وَيُزَكِّي، ويخرج من تحت يديه خلفاء مرشدين يهدون إلى الله تعالى.

يا مريد، لا يغتر المرشد بعلمه أو مكاتته، بل عليه ان يعلم أنّ كل ما ناله من خير، فهو من نفحات شيخه، ومن تربيته، ولولاه لما عرف الطريق، ولا ذاق حلاوة الذكر، ولا صار له نصيب في الإرشاد. فالخليفة

الصادق هو الذي يحفظ عهد شيخه، ويتأدب معه حياً وميتاً، ويعلم أنه ما زال في حاجة إلى مدد الشيخ ما دام حياً، لأنَّ الشيخ هو الوسطة بينه وبين النور الإلهي.

يا خلفاء الطريقة، كونوا أمناء على تربية المريدين، كما كان شيخكم أميناً في تربيتكم، واذكروا دائماً أنكم صورة لطريقه، وأمانة في عنقكم ما دام المريدون يسرون على أيديكم.

واعلموا أنَّ المُرشد الحق لا يُنظر إليه بكثرة من معه، ولكن بصدق تربيته لهم، وحُسن سيرته بينهم، وتمثيله لطريقة شيخه في أخلاقه وسلوكه.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (58): ما واجب الخليفة تجاه شيخه بعد الإجازة؟

الجواب: واجب الخليفة هو حفظ عهد الشيخ، والوفاء له حياً وميتاً، والدعاء له، والعمل على نشر طريقته بالحكمة والصدق، وأن يعلم أنه ما يزال محتاجاً لمدده ودعائه، ولا يغتر بنفسه ولا بمقامه، بل يظل عبداً مأموراً.

مسألة (59): كيف يعرف المرشد أنه صادق في حمل أمانة الإرشاد؟

جواب: يعرف المرشد صدقه إذا حافظ على أمانة الطريقة، وربّي المريدين كما ربّاه شيخه، وكان قدوة في العمل، وأمانة في القول، وحكمة في التصرف، ولم يدع لنفسه شيئاً، بل نسب كل خير إلى الله، ثم إلى شيخه.



رسالة [13]: فقهاء بالله ولله في الآفاق والأنفس

يا مريد، اعلم أنّ شيخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية لا يربيك لتكون عابداً منقطعاً، ولا مجرد ذاكر لسانه يلهج بالأوراد، بل يربيك لتكون فقيهاً بالله، بصيراً بآياته في الآفاق والأنفس، حتى ترى بنور الله تعالى، وتفهم أسرار الوجود، وتكون شاهداً على الحق أينما توجهت، ومبصراً لنوره في كل شيء.

الشيخ، يا مريد، لا يخرج من تحت يده إلا مريداً بصيراً، يُدرك حقائق الدين في جوهرها، ويعرف كيف يتعامل مع متغيرات الزمان، فيكون فقيهاً بحق، لا بالحفظ وحده، بل بالفهم العميق لسُنن الله في خلقه، وحكمته في كونه. قال الله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁽¹⁾. فالفقيه الذي يريه الشيخ هو من يرى هذه الآيات، ويشهد الحقيقة بنور البصيرة، فيتكلم بعلم، ويعمل بحكمة، ويهدي الخلق إلى الله بالحال والمقال.

يا مريد، الفقه في طريقة شيخك ليس هو العلم بالأحكام الظاهرة فقط، بل هو نور في القلب، وحكمة في النظر، ورؤية ربانية تجعل قلبك ميزاناً تعرف به الحق من الباطل، والنور من الظلمة، كما قال النبي ﷺ: ﴿اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ﴾⁽²⁾.

شيخ الطريقة، يا مريد، يربيك لتكون مشروع فقيه معاصر، تفهم شريعة الله بصفاء القلب، وتفقه سنة النبي بروح المحبة، وتكون

1 - [فصلت: 53]

2 - سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م،

حديث رقم [3392]، ج5 ص355.

عالمًا بالله، مدركًا لمعاني آياته في كل زمان ومكان، تنظر في الآفاق
فترى تدبيره، وتنظر في الأنفس فتبصر آلاءه، فتكون شاهداً بالحق،
وداعية إلى الله على بصيرة.

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين أنّ الفقه ليس قيداً على عقولهم،
بل هو نور في قلوبهم، وأنّ شيخهم يربّيهم ليكونوا علماء بالحق،
يفقهون كتاب الله في الواقع، ويفسّرون الآيات من خلال الشهود
والمشاهدة، ويُسهمون في بناء مجتمعاتهم بعلم نافع، ورؤيةٍ
واسعةٍ، وحكمةٍ راسخة.

قال الإمام عبد القادر الجيلاني قدس سره : «كن عالمًا بالله، ثم علّم
الناس. فما نفعُ علم لا يقودك إلى ربك؟» فهذا هو الفقه الحقيقي،
علم بالله، وفهم عن الله، ودعوة إلى الله بحكمة ورحمة.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (60): ما هو الفقه الذي يربي عليه شيخ الطريقة مريديه؟
جواب: الفقه في الطريقة الكسنزانية هو رؤية آيات الله في الآفاق
والأنفس، وليس فقه الأحكام الظاهرة وحدها، بل هو علّم بالله
تعالى، ونور في القلب، وبصيرة تميّز بها بين الحق والباطل.

مسألة (61): لماذا يعد كل مريد مشروع فقيه معاصر؟
جواب: لأنّ الشيخ يربي المريد ليكون فقيهاً مدركاً لحكمة الله في
الكون، قادراً على التعامل مع قضايا العصر بفقه النور واليقين،
جامعاً بين الشريعة والحقيقة، فلا ينعزل عن زمانه، بل يعيش فيه
على بصيرة.

مسألة (62): كيف يعرف المريد أنه فقيه بالله على طريقة الشيخ؟
جواب: يعرف ذلك إذا ازداد بعلمه تواضعاً، وإذا رأى في كل شيء آية تدله على الله، وإذا صار علمه نوراً يهدي الناس، وكان كلامه حكمة تجمع القلوب، وعمله دعوة إلى الله بالحال قبل المقال.

مسألة (63): ما معنى التفقه في علم الطريقة ؟
جواب: التفقه في علم الطريقة هو أن يرى المريد الآخرة بقلبه رؤية يقين، كما يرى الدنيا بعينه ورأسه رؤية حسّ وشهادة. فمن تفقه في علم الطريقة، صار قلبه كعينٍ مبصرةٍ، يرى بها الجنة والنار، ويراقب الآخرة كما يراقب الناس الدنيا من حوله فهو يعيش في الدنيا وقلبه معلق بالآخرة، كأن القيامة قائمة أمامه، فلا يغفل عن الآخرة لحظة، لأنّ نور اليقين قد تجلّى في قلبه، فرأى وعد الله ووعيده حقاً لا وراء فيه. فهذا هو مقام الفقه الأسمى، حيث لا تغره زينة الدنيا، ولا تُغلق عين قلبه عن دار الخلود، بل يعيش ببصيرته كما يعيش ببصره، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾⁽¹⁾.

وهكذا فإن الفقيه الكسنزاني يرى تدبير الله في حركة الكون، ويشاهد آثار رحمته في الخلق، ويدرك سر الحكمة في النفس، فيعرف مقاماتها، ويميّز أمراضها، ويعالجها بنور المعرفة، فيكون شاهداً على آلاء الله ظاهراً وباطناً.

مسألة (64): ما الفرق بين فقيه الشريعة وفقيه التصوف؟
فقيه الشريعة هو الذي يعلم أحكام الله في الحلال والحرام، ويبين للناس ظاهر ما أمر الله به وما نهى عنه، فهو مرشد في العمل

الظاهر، يضبط جوارح العبد على منهج الطاعة.

أما فقيه التصوف فهو الذي فُتِحَ له باب فقه القلوب، فهو لا يكتفي بمعرفة الأحكام، بل يرى بنور قلبه أثر تلك الأحكام في آخرته، ويشاهد بعين بصيرته عاقبة كل عمل، فيعيش مراقباً للنية، مجاهداً للنفس، متطلعاً إلى رضوان الله في كل فعل. ففقيه الشريعة يحكم على العمل، وفقيه التصوف يشهد أثر العمل. ولهذا فإن فقيه الشريعة في حاجة إلى فقه التصوف ليصح له المقصد، ويتحقق له الصدق، ويرى بنور الله ثمار تطبيق الأحكام في دنياه وآخرته، كما قال النبي ﷺ: ﴿اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾. ولهذا يجمع فقيه الطريقة الكسنزانية بين العلم بالشريعة، والذوق بالتصوف، فيكون عمله على بصيرة، وقلبه على يقين، وسيره إلى الله مُحاطاً بالعلم والنور معا.

إنَّ شيخ الطريقة مرَّبِّي الفقهاء، وذلك أنَّه يزكي نفوسهم، ويطهِّر قلوبهم، ويفتح بصيرتهم ليروا أثر علمهم في آخرتهم، ويمنحهم نور الحكمة مع علمهم، فيخرج من بين يديه فقيهاً عالماً بالشريعة، عارفاً بالله، بصيراً بحقائق الأمور، لا يغرّه ظاهر الأحكام عن شهود حقيقة الدين، ولا يغلق على قلبه باب الذوق والمعرفة، فيكون فقيهاً ربانياً، كما قال تعالى ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾⁽²⁾.

1 - سنن الترمذي، مصدر سابق، حديث رقم [3392]، ج5 ص355.

2 - [آل عمران: 79]



الفصل الثالث

الخلافة الكسنزانية تجديد الطريق وحفظ سر السلسلة

رسالة [14]: التجديد سر الخلافة

يا مُريدي الطّريق، اعلموا أنّ الله لا يترك أرضه بلا شاهدٍ من نوره، ولا يترك خلقه بلا هادٍ إلى صراطه، فكما كانت الرسالة من عهد النبي نوح إلى سيدنا محمد ، كانت الولاية ممتدة في خلفاء الحق، يتجدد بهم العهد، وتُبعث بهم الحياة في القلوب، وتُقام بهم الحجة على الخلق.

خليفة الله الحق هو المجدد في زمانه، هو الروح السارية في جسم الأمة، هو المأذون بحمل الأمانة، المكلف بتجديد العهد، المستودع لنور الحكمة. لا يُختار بالهوى، ولا يُنصّب بالرأي، بل هو من اصطفاه الله في عالم الغيب قبل عالم الشهادة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾⁽¹⁾.

فيا مريد، المجدد في كل زمانٍ هو باب الرّحمة المفتوح، من أراد النّور فلينزل بساحته، ومن ابتغى الحكمة فليلزم حِمَاه، ومن طلب السير إلى الله تعالى، فليكن له المجدد معراجا. فبه تتجدد العهود، وتنطق الأرض بالحياة بعد همود، وتُبعث القلوب من مواتها. فلا تظن أنّ التجديد قطيعةٌ مع الماضي، بل هو امتدادٌ له بنورٍ جديد، ولا تظن أنّ الخليفة يأتي بشيءٍ خارجٍ عن الطريق، بل يحميها ويجعلها نَصْرَةً كما لم تزل، مضيئة كما أريد لها أن تكون دائما.

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين أنّ خليفة الله في الأرض ليس رجلاً من النّاس فحسب، بل هو سرٌّ من أسرار الحكمة، ومفتاحٌ من مفاتيح الغيب، به تُفتح أبواب القلوب، وتتحقق المقادير، وتنزل البركات. فمن أقرّ به قلبه، فقد شهد للنور، ومن تنكّر له بعد التعرّف عليه، فقد حجب عن نفسه النّور. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.

مسألة (65): ما العلامة الفارقة بين المجدد الحق والمُدّعي؟

الجواب: المجدد الحق لا يطلب المقام لنفسه، بل يبعثه الله فيعرفه أهل القلوب ببصائرهم، أمّا المدعي فيطلبه باللسان، ويدّعيه بالعقل، فلا يكون لنوره أثرٌ في الأرواح. والمجدد يُحيي الطريق لا بكلامه فقط، بل بروحه التي تبث الحياة، فمن اقترب منه، وجد أثره في قلبه قبل عقله. أمّا من يدّعي التجديد بلا إذنٍ، فلا يُثمر قوله إلّا جدلاً، ولا يُؤتي فعله إلّا اضطراباً، لأنّ النور لا يستقيم إلّا بأهله.

مسألة (66): لماذا قد يُعارض بعض الناس المجدد ؟

الجواب: لأنّ القلوب إذا تعوّدت على صورةٍ واحدةٍ من الفهم، ضاقت عن استقبال النور حين يأتي في صورةٍ متجددة. وكما أنكرت بعض الأقسام أنبياءهم لأنهم لم يأتوا وفق تصوراتهم، فإنّ بعض الناس يُنكرون المجدد لأنهم يريدون أن يُبعث النور كما يتصورونه هم، لا كما يختاره الله.

مسألة (67): هل كل من التقى بالمجدد، عرفه؟

الجواب: ليس كل من التقى بالنور، أبصره، فإنّ العمى ليس في العيون، بل في القلوب. المجدد تُعرَف حقيقته بأثره، فمن كان قلبه طالباً الهدى الحق، اهتدى به، ومن كان في ظلمة الهوى، أنكره، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾⁽¹⁾.

مسألة (68): كيف يعرف المرء أن كان طالب هدى أم هوى؟

الجواب: يُعرف ذلك من موقفه عند تلقي الحق، فإن كان يُقدِّم بحكم

مسبقً، فقد غلبه هواه، وإن كان يُقْبَلُ بقلبٍ مفتوحٍ، فهو طالبٌ هدى. طالب الهوى لا يبحث عن الحقيقة، بل يبحث عما يُوافق فكره ويُرضي نفسه، فإن جاءه الحق في صورةٍ لا تناسب هواه، أعرض أو اعترض. أمّا طالب الهدى، فإنّه يُنصت بعقلٍ منفتح، ولا يحكم على النور قبل أن يُبصر أثره، فإذا وجد فيه الخير، تبعه، وإن لم يفهمه بعد، صبر حتى يكشف له الله سرّه.

فمن أراد أن يعرف نفسه، فليُنظر: هل يسمع ليحكم، أم يسمع ليفهم، فإن كان الأول، فليحذر من أن يكون أسير هواه، وإن كان الثاني، فليُبشّر، فقد وضع قدمه على طريق الهداية.

مسألة (69): ما الفرق بين من تعرّف على المجدد ثم أنكره، ومن لم يتعرّف عليه وأنكره؟

الجواب: الفرق بينهما كالفرق بين من رأى الشمس ثم أنكر نورها، ومن لم يرها وظنّ أنّها غير موجودة.

الأول: تعرّف على المجدد، أي وصل إليه نوره، وشهد أثره، ولامس روحه كلامه، لكنّه أنكره، إمّا لاتباع هوى، أو لخوفٍ على مصلحته، أو لتمسكه بفهمٍ قديم لا يريد أن يتجاوزه. فهذا قد قامت عليه الحجة، وحُجب عن النور بسبب ما في قلبه من تعصبٍ أو كبر.

الثاني: لم يتعرّف عليه، أي لم تصله حقيقته، ولم يسمع عنه إلّا من غيره، أو لم يتعرض لنوره بصدقٍ، فأنكره جهلاً لا عناداً. فهذا يُرجى له الفتح إن طلب الحق بإخلاص، وإذا شاء الله كشف له السر في حينه.

فالفرق بينهما أنّ الأول رأى ثم أعرض، والثاني لم يرَ بعد. فإن كان للثاني نصيبٌ في الهداية، جاءه النور في وقته، وإن كان للأول حجابٌ على قلبه، بقي في إنكاره ولو أشرقت الشمس أمامه.

مسألة (70): ما أثر إنكار المجدد، وهل يلحق بالمنكر ضرر؟
الجواب: إنّ إنكار المجدد لا يُلحق بصاحبه ضرراً ظاهراً في دنياه،
ولكنّه يفوّت عليه بركاتٍ لا تُعوّض، ويفصله عن مددٍ لا يُستدرك.
فالمجدد ليس مجرد شخص، بل هو بابٌ من أبواب الفتح، ومفتاحٌ
لأسرار الهداية، فإذا أنكره المرء، أغلق الباب على نفسه، وبقي في
مكانه بينما يسير السائرون.
والحكمة الجارية في خلق الله أنّ الفيض الإلهي إذا نزل، فمن قبله
نال النور، ومن أعرض عنه، لم يُجبر عليه، لكنّه يفقد ما لا يعود،
ويخسر مدداً لا يُعوّض. فليس الإنكار عقوبة ظاهرة، لكنّه حرمانٌ
خفيّ، يُدرّكه من سار، ويبقى غافلاً عنه من وقف.
فليحذر المريد أن يمرّ النور من أمامه، ثم يُعرض عنه، فقد يُعرض
عنه النور بعد ذلك، فلا يعود.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِأَهْلِ الْحَقِّ، وَيَلْزَمُونَ
سَبِيلَهُمْ، وَيَسِيرُونَ عَلَى هُدَاهُمْ، وَالْحَقُّنَا بِرُكْبِ الْمُجَدِّدِينَ،
حَتَّى نَكُونَ شُهَدَاءَ لِلْحَقِّ فِي زَمَانِنَا كَمَا كَانُوا.

رسالة [15]: الشيخ المجدد برزخ عوالم الاحياء

يا مُريدي الطريق، اعلّموا أنّ الله تعالى لا يُخلي زماناً من عبْدِ اصطفاه، جعله مجدداً للحياة الروحية، وحاملاً لسرّ الوصل بين عالم الغيب والشهادة. في قلبه أودع الله سرّاً يُحيي به الأرواح، ويجدد به معالم الطريق للسالكين. فهو حلقة الاتصال بين ما غاب عن الأبصار، وما ظهر في الأنظار، يأخذ من حضرة القرب، ويمنح الحياة لمن قصده بصدقٍ وصفاء.

الشيخ المجدد ليس مجرد مُعلّم ينقل علوم السابقين، ولا خطيباً يردد كلام الحكماء، بل هو حامل سرّ الفيض الإلهي، تفيض من قلبه أنوار الحياة، ويهب من همّته أرواحاً جديدة لمن طلب الحق وسعى إليه. فهو قائم في كل زمانٍ بوظيفة الإحياء، يبعث روحاً في الأمة، يجدد الدين في صورته وروحه، يربط الناس بالله، ويفتح أمامهم أبواب السير إليه.

فيا مريد، لا تغتر بمن يمشي على الأرض بقوة جسمه، فقد يكون ميتاً بباطنه، مطموس البصيرة، محجوب القلب، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا... أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾⁽¹⁾. فهؤلاء أموات الدنيا، لأنّهم فقدوا سرّ الحياة الحقيقي، ألا وهو نور الإيمان، وزاد التقوى، وبصيرة القلب.

أمّا أحياء الدنيا، فهم من يسرون بين الناس وقلوبهم متصلة بالآخرة، يرون في كل شيءٍ حكمة، وفي كل أمرٍ عظة، قد حيت أرواحهم بنور الله، وعُمّرت صدورهم بذكره، يزرعون لأنفسهم في الآخرة، وهم بعد في الدنيا.

ثم هناك أحياء الآخرة، الذين انتقلوا من هذه الدار، ولكن أرواحهم حية عند ربهم، كما قال تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾⁽¹⁾. هؤلاء هم الذين كملوا سلوكهم، وصدقوا في مقاماتهم، فاستحقوا حياة أبدية لا تنقطع.

الشيخ المجدد هو ذلك النور الذي يصل بين هذه المقامات. هو البرزخ الذي لا ينقطع مدده، يربط بين أحياء الدنيا ممن هم على الطريق، وأحياء الآخرة الذين سبقوا إلى دار القرب، يحمل للأول علوم العارفين، وللثاني وفاء الرسالة، ويظل قائماً بحقه، يُسقي الأرواح من معين لا ينضب، ويبث الحياة في قلوب من عطشت إلى النور.

ليس الشيخ المجدد داعية لماضي زائل، ولا حافظاً لتراث جامد، بل هو روح متجددة، متصلة بالحق، تجدد ما بلي من الفهم، وتحيي ما اندرس من العمل، وتوقظ من غفل عن السير. به تنفتح للناس معاني الذكر، وتتجلى أسرار العلم، وتبعث الحياة في الأمم من جديد. فيا مريد، إن شئت حياة تتجاوز حدود الجسم، فاتبع من جعله الله سبباً في بث تلك الحياة. والتزم أدب الصحبة مع أهل الفيض، فإن في صحبتهم حياة لا تنال بغيرهم ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾⁽²⁾.

يا خلفاء الطريق، إن من واجبكم، أن تُعلّموا المريدين حقيقة هذا المقام، وأن توقظوا في قلوبهم فقه التلقي عن أهل الحياة والإلهام. بينوا لهم أن الشيخ المجدد ليس ناقلاً للمعارف فحسب، بل هو حامل لسرّ الإحياء الروحي، فالتزام حضرته، والصبر على أدب

1 - [آل عمران: 169]

2 - [الأنعام: 122]

الصحبة معه، هو مفتاح الفتح. وارشدوهم أن يكونوا طلاباً للروح، لا للحرف، فإنّ العلم إذا انفصل عن همته، بقي كلاماً لا يُثمر، وإن اقترن بها، صار نوراً وهداية.

فكونوا، يا خلفاء، أدلاءً على هذا المقام، وأمناء على هذا السر، حتى يُبعث في المريدين الهمة الصادقة، والسير الحق إلى الله.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (71): لماذا يُوصف الشيخ المجدد بأنه حدُّ فاصل بين إحياء الدنيا وإحياء الآخرة؟

الجواب: لأنّ المجدد لا يُحيي قلوب الأفراد فحسب، بل يُعيد للحياة معناها، فيُصلح شأن الدنيا بالدين، ويجعل السالك يرى الآخرة بنور الفهم وهو لا يزال في الدنيا. فكما أنّ الأحياء في الآخرة يستمدون النور من حضرة الحق، فإنّ الشيخ المجدد يستمد منه ليُبثّه في أهل الدنيا، فيكون نقطة الفصل بين من يعيش بعلمٍ موصولٍ بالحياة، ومن يبقى في ظلمة العلم الجامد الذي لا يتجاوز حروفه.

مسألة (72): كيف يتلقى الشيخ المجدد أنواره من أحياء الآخرة؟

الجواب: الشيخ المجدد ليس مجرد عالمٍ أو حافظٍ، بل هو موصولٌ بميراث الأنبياء والعارفين، تتنزل عليه أنوار الحكمة من عالم الغيب، فيفيض بها على السالكين. فهو يأخذ العلم لا من صحفٍ ميته، بل من مددٍ متجددٍ، ومن شهودٍ لا ينقطع، فهو في كل لحظةٍ في تجدّد مع الحق، فلا يبقى على حالٍ، بل تتبدل أنواره مع تقلب الأنفاس.

مسألة (73): لماذا ينتقد الاعتماد على كتب الدين وحدها ؟

الجواب: بداية لا يوجد كتاب دين إلّا ما نزل به الوحي على قلوب

الأنبياء والمرسلين، وأمّا سائر الكتب فهي كتب متدينين، فإن شاع إطلاق عبارة "كتب الدين" عليها فهذا من حيث المجاز لا أكثر. فالحق كل الحق أنّ كتاب الدين هو كتاب الله تعالى فحسب.

وأمّا سبب انتقاد الاختصار عليها، فلأنّ الكتاب يُحفظ ولا يُناقش، أمّا الشيخ الموصول فهو حيٌّ بنور الفهم، يُعطي العلم بمقدار الاستعداد، ويكشف السر عند الأهلية، ويربي السالك على بصيرة.

مسألة (74): كيف يعرف المريد أنه يأخذ علماً حيّاً، وليس جامداً؟

الجواب: العلم الحيّ يُحيي القلب، ويفتح له باب الفهم، ويزيد في البصيرة، ويترك أثراً لا يُمحى، بينما العلم الجامد يُكدّس المعلومات دون أن يُثمر سلوكاً أو نوراً في القلب. فمن أراد أن يختبر نفسه، فلينظر: هل يتغير حاله مع العلم؟ هل يجد في قلبه حياة بعد الدرس؟ فإن لم يكن هناك تغيير، فقد أخذ علماً بلا روح، وإن وجد في نفسه نوراً متجدداً، فقد وصل إليه العلم الموصول.

مسألة (75): لماذا لا يعد الشيخ المجدد مؤرخاً للماضي فقط؟

الجواب: لأن التاريخ يُنقل، أمّا الحياة فتُثبت، والمجدد ليس ناقلاً لما مضى فحسب، بل هو مُعيدٌ للروح فيما اندرس، ومُحيٍ للمعاني التي فقدت نورها مع الزمن. فهو لا يحفظ الماضي كأرشف جامد، بل يستخرج من معانيه سرّاً جديداً، فيبقى النور متجدداً، كما تبقى الشجرة حية وإن تعاقبت عليها الفصول.



رسالة [16]: في تجديد عادات الخلفاء

يا خلفاء الطريقة، يا من ائتمناكم على تقويم المريدين، لا تكونوا قياداً عليهم، ولا حجاباً بينهم وبين التجدد، فإنّ الخلافة ليست سلطة تُفرض، بل أمانة تُحمل، ولا تكليف في الطريق أعظم من تكليف الحكمة والتبصر والعدل. فمن ظنّ أنّ الخلافة تعني الجمود على ما عرف وألف، فقد جهل سرّ الطريق، لأنّ الطريق نورٌ يسري، لا جدارٌ يُحجز خلفه النور.

إنّ الخلافة الحقّة هي أن تتعلم كيف تنقل نور الطريقة وتوجيهاتها إلى العصر الذي تعيش فيه بأساليب معاصرة. فكل زمانٍ له لغته، وكل جيلٍ له مفاتيحه، وإن ظننتم أنّ الثبات على القديم دون تجديد هو الصواب، فقد أخطأتم الفهم، لأنّ الثبات يكون على الجوهر لا على الوسائل، وعلى الحكمة لا على العادات.

إنّ من علامات الخذلان أن يحارب العبد التجديد باسم الثبات، وأن يرفض كل فكرٍ جديدٍ خوفاً على مكانته أو اعتياده، فهل نسيتم أن هذا عين ما فعله أهل الجمود في كل عصر؟ ألم يحاربوا الأنبياء لأنّهم جاؤوا بجديدٍ يخالف ما وجدوا عليه آباءهم؟ فاحذروا أن تكونوا ناقدين بالسنتكم، سائرين على خطاهم في أفعالكم، إني أعظم أن تكونوا من الممقوتين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾⁽¹⁾.

يا أهل الطريقة، إنّ الله لم يأمرنا أن نعبد العادات، بل أن نعبد الحق، والحق حيٌّ متجددٌ في تجلياته، فإن استجبتم له، تجددت حياتكم، وحييتم بنوره، وإن رفضتم التجدد، أصابتكم الغفلة،

وَسُلِّسَتْ أُرَاحُكُمْ بَقِيُودَ أُوْهَامِكُمْ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا
لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾⁽¹⁾.

يا خليفة، إن لم تستطع أن تحمل لواء التجدد، فلا بأس عليك،
بشرط ألا تكون حجراً في الطريق.

أقول: إن كنت لا تستطيع المضي مع الجديد، فلا تثريب عليك،
ولكن دع الباب مفتوحاً لمن يسير، فلا تحجب عن غيرك ما لم يُفتح
لك. فكم من رجل وقف عند محطة، وظنَّ أنَّ القافلة لن تتحرك
بعده، وما درى أنَّ السير لا يتوقف، وأنَّ الركب يمضي شاء أم أبى.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (76): كيف أُميز بين التجديد الحق والتغيير الخاطئ؟

الجواب: التجديد لا يعني تبديل الأصول أو ترك الثوابت، بل هو
إحياء المعاني في صورٍ تناسب الزمان. فميزان التجديد الحق أن
يُعيد للحكمة بريقها، وأن يكون موصولاً بالنور القديم، لا قاطعاً له.
فإن وجدت في التجديد ما يبعث الحياة في القلوب ويقرب الناس
من الحق، فهو تجديدٌ مَأْذُونٌ به، وإن وجدت فيه تفريطاً أو خروجاً
عن مقاصد الطريق، فذاك ليس من التجديد، بل من الانحراف.

مسألة (77): هل من الأمانة أن أبقى على ما تعلمته من حضرة
السلطان، أم أنفتح على التجديد؟

الجواب: الأمانة ليست في حفظ الكلمات فقط، بل في حفظ الروح
التي كانت تسري فيها.

إنَّ كان ما تعلمته موافقاً للزمان، فبها ونعمت. وإن احتاج إلى تجديدٍ في الأسلوب أو الطرح، فالأمانة تقتضي أن تواكب العصر دون أن تبدل الأصل.

مسألة (78): ماذا أفعل إذا شعرت بالخوف من التغيير؟

الجواب: الخوف من الجديد طبيعيٌّ، لأنَّ النفس تميل إلى ما اعتادته، ولكن ميزان الحق ليس العادة، بل الحكمة. فإن كنت تخشى التجديد، فتمهّل، وانظر بعين البصيرة، واسأل: هل هذا الأمر يتعارض مع أصول الطريقة أم لا، أم يُبعد عنه؟ فإن وجدت فيه خيراً، فاعلم أنَّه حق، وإن وجدت فيه ظلمة، فاحذر منه. ولكن لا تجعل خوفك حاجزاً يمنعك من رؤية الحق، فكم من رجلٍ أنكر شيئاً جديداً، ثم أدرك بعد فوات الأوان أنَّه كان النور الذي يبحث عنه.

مسألة (79): هل يُحاسبني الله إن كنت لا أرفض التجديد علناً، لكنني أتحمّض عليه في داخلي؟

الجواب: المحاسبة ليست على الشعور، ولكن على الموقف. فإن كنت متردداً، فابحث واسأل وتدبّر، ولكن لا تقف موقف العائق، فإن كنت لا تستطيع تقبّل التجديد الآن، فلا بأس، ولكن لا تكن سبباً في منعه عن غيرك. فإن لم تستطع أن تحمل النور، فلا تطفئه، وإن لم تستطع أن تسير، فلا تمنع غيرك من المسير.



رسالة [17]: إلى قدامى الخلفاء والمريدين

يا خلفائي وخلفاء سلطاني من قبل، يا من أقامكم الله أشهاداً في هذا الطريق، أتحسبون أنّ الهمة والبركة والمعرفة، بل والحكمة التي تلقيتموها قد بلغت غايتها، فلا مزيد بعدها؟ إنّ أشدّ الحُجُب على القلب أن يظن العبد أنّه قد وصل، ولا مزيد وراء ما حصّل، فيغلق بابه دون التجدد، ويجعل من فهمه ميزاناً لا يقبل سواه. إنّ رسالتكم ليست حفظ المظاهر، بل توصيل النور ونقله يداً بيد، من زمن إلى زمن، ومن قلب إلى قلب.

أولم تتلقوها ناصعة من سلطاننا؟ (فتح الله تعالى علينا من بركاته وأنواره). أنّ مرجعنا الديني الأعلى، حضرة الرسول الأعظم ما كان يوماً جامداً على ما انقضى، بل مجدداً في قومه بما تلقى وأتى؟ وانتم الأولى بالسير على الخطى.

اتّبھوا، بارككم الله! إنّ التمسك بالقديم لا يكون بالتعصب للشكليات، بل يكون بحفظ الأصول والسير بها إلى الأمام. لو كان نبينا بيننا اليوم، هل تظنون أنه سيعيد نفس الأساليب في التقوى والعلم والعمل، أم سيجدد بما يليق بعصرنا؟

إنّ رسول الله كان مُجدداً في زمانه. مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله تعالى وسلامه عليه) كان مجدداً في زمانه. إنّ الغوث الأعظم حضرة السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني كان مجدداً في زمانه. إنّ سلطاننا حضرة السيد الشيخ الخليفة محمد المحمد الكسنزان (قدست أسرارهِ المباركة) كان مجدداً في زمانه. إنّ شيخكم الحاضر سائراً في طريق التجديد في زمانه. فلماذا يُصر منكم من يصر على أن يكون جامداً لا مجدداً؟

إنّ الطاعة الحقّة ليست في اتباع المظاهر والشكليات أو العناوين

والشخصيات، بل بنكران الذات عند تعارض المصالح بينها وبين تبليغ الرسالة وتوصيل الأمانة.

يا خلفائي الأحياء: لا تخشوا التجديد والتبديل أو كما هو شائع بلفظة التغيير، فإنّما هو سُنّة الله في خلقه. من تمسك بقلب ماضٍ، مضى قلبه معه، ومن سار مع الحيّ الذي لا يموت، كان علمه حيّاً أبداً.

فيا أخوتي وأصحابي، اجعلوا قلوبكم واسعة كالبحر، تتسع لكل جديد، وتحفظ كل قديم حسن، واتركوا العناد فإنّه من موانع النور. إنّ طريق الله ليس طريق العناد، بل طريق السكينة والانفتاح والعقل المتبصّر.

العناد وما أدراك ما العناد...! احذروا العناد، ما حضر إلّا وكان وراءه (أنا) مصدرها كبر في النفس، تزكّي نفسها بنفسها لنفسها لا لربها فتقول: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾⁽¹⁾، ومَن غلب هواه هداه وقع في العناد، وأُهبط من نظر الحق الى أرض المبعدين الأبعاد والعياذ بالله .

فلا تكونوا حجراً في مجرى النهر، ولا سداً يمنع السالكين من التقدم. بدلاً من ذلك كونوا جسراً يمر من فوقه العابرون إلى الله، وطوبى لكم وحسن مآب.

يا أبنائي، دعوا العناد، فإنّه من موانع النور، وسيروا مع حكمة شيخكم حيثما قادتكم. فمن أسرار الحكمة أنّها لا تتقيد بزمان، ولا تحصرها الأذهان.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.

مسألة (80): كيف يعرف الخليفة أو المريد أنه وقع في العناد؟

الجواب: العناد يتسلل إلى القلب حين تظن النفس أنّ مصلحتها الشخصية هي مصلحة الطريقة، فتجعل رأيها ميزاناً لكل شيء، وترفض ما يخالف هواها بحجة الحفاظ على الطريق. بينما الحقيقة عكس ذلك، فمصلحة الطريقة هي الأصل، ومنها تتفرع مصلحة المريد أو الخليفة، لا العكس. فمن وجد في نفسه اعتراضاً على توجيهات الشيخ، أو مقاومة للتجديد الذي يسير به الطريق، فليراجع قلبه، فقد يكون العناد قد غلبه دون أن يشعر. فالسالك الصادق هو من يُسلم لحكمة الطريقة، ويدرك أنّ الخير كل الخير فيما يرسمه الشيخ لحفظ الرسالة ونشر النور.

مسألة (81): ما بركة تقديم مصلحة الطريقة على مصلحة النفس؟

الجواب: من جعل مصلحة الطريقة فوق مصلحته الشخصية، نال البركة في دنياه وآخرته، لأنّ الطريق ليست إلاّ سبيلاً إلى الله، وخدمة الطريق هي خدمة دينه ونوره. فمن قدّم مصلحة الطريقة على رغباته، وسار حيث يقوده الشيخ، فتح الله له أبواب التوفيق، وأكرمه بالبصيرة، وجعل له نصيباً من الفتح.

كما أنّ الماء إذا جرى في مجراه نقيّ وصبوا، فإنّ السالك إذا سار مع تدبير الطريق جرت بركة الطريق في حياته، فتتكشف له الأمور، وتيسر له السبل، ويبارك الله في علمه وعمله ورزقه. أمّا من قدّم نفسه على الطريق، وتشبّث بهواه، ضاق عليه الحال، وانقطعت عنه الأنوار، لأنه حجب نفسه عن مدد الصلابة ونور السلوك.

من أراد الفتح، فليكن خادماً للطريق، واضعاً أمانتها فوق كل اعتبار، فإنّ في ذلك سرّ البركة والقبول.

مسألة (82): كيف نميز بين مصلحة النفس ومصلحة الطريقة؟

الجواب: الميزان في ذلك أن ينظر السالك إلى الأمر الذي يفكر فيه: هل له فيه منفعة شخصية أم لا؟ فإن لم يكن له فيه أي منفعة دنيوية، وكان الخير فيه للآخرين، فهو أقرب إلى أن يكون مصلحة للطريقة.

فالعامل الصالح هو كل عملٍ ينتفع به الجميع في الدنيا، ولا يكون لصاحبه فيه نصيبٌ إلا في آخرته. فحين يفكر الخليفة أو المريد في قرارٍ أو موقفٍ، فليتنظر: هل يسعى فيه لمنفعته الشخصية، أم لخير الآخرين؟ فإن وجد نفسه لا ينتظر عائداً شخصياً، وعمله خالص لوجه الله ولخدمة الطريقة وأهلها، فذلك دليلٌ على أنه في مصلحة الطريقة، لأنّ الخير الحقيقي هو ما يعم الجميع، ولا يعود على صاحبه إلا بالثواب الأخروي.



رسالة [18]: خليفتنا المجدد باب ليس حجاب

قد يبلغنا من حديث في نفوس بعض الخلفاء قولهم: «ولكن يا شيخي، أنت تعلم أنني لم أسع إلى الخلافة، بل أُلقيت عليّ حملاً لم أختره، وأمانة لم أطلبها. لم أقبلها إلا رجاء في خدمة الحق وحفظ الأمانة، فكيف لي أن أكون مرشداً على الطريق دون أن أكون قيذاً عليه؟ كيف أكون خليفة بحق، يوجه المريدين ليكونوا على ما أرادهم الله أن يكونوا؟

إني أخشى أن أمسك بيد المريد، فأثقل عليه وأنا أظن أنني أرشد. أخشى أن أحميه من الخطأ، فإذا بي أحميه من التعلم. أخشى أن أحفظ عليه ما ورثناه، فإذا بي أحجبه عن النور الذي لم نره بعد. هل أكون حافظاً للطريق حينما أغلق أبواب الفهم؟ هل أكون مؤتمناً على السالكين حين أجعلهم يكررون ما حفظنا، بدل أن يكتشفوا ما لم نصل إليه؟

كيف أعلم المريد الأدب مع الطريق، دون أن يكون الأدب سجنًا؟ كيف أوجهه إلى ما تعلمناه، دون أن يكون الاتباع على حساب الفهم؟ أمسك بيده وهو يتعلم المشي، لكن متى أطلقها ليجري وحده؟ متى يكون إمساكي رحمة، ومتى يكون خنقاً؟ متى يكون إرشادي نوراً، ومتى يكون ظلمة تحجب عنه الطريق؟».

وأقول: يا خليفة، ما نطقنا إلا بالحق، وما أشكل عليك إلا أمر أدركه قبلك كل من حمل الأمانة، ولكن الفرق بين خليفة يكون باباً، وخليفة يكون حاجزاً، هو أن الأول لا يخشى على الطريق، والثاني يخشى على نفسه فيه.

لا تخش على المريدين من الضياع، ولكن خف عليهم من الجمود. فالطريق لا يُحرس بالأسوار، بل يُضاء بالمصابيح. المريد قد يتوه

لحظة، لكنّه ما دام صادقاً، فسيجد الهدى. أمّا إن حبسته في قوالبك، فقد أَمِنَ الضلال لكنّه فقد الوصول والحصول.

يا بني، لا تكن راعياً للقطيع، بل دليلاً في القافلة. الراعي يسوق الغنم حيث يشاء، أمّا الدليل، فينير الطريق ويترك لكلّ أن يجد موطئ قدمه. فإن شئت أن تكون خليفة بحق، فكن دليلاً لا سائقاً، وكن رفيقاً في المسير، لا حاجزاً في الطريق.

لا تتشبّث بالمريد خشية أن يفقدك، فربما حاجتك إليه أشد من حاجته إليك. دعه يمضي حيث يفتح الله له، وكن له ملاذاً حين يعود. فإنّ الطريق رحب، ومن ضاق بالمريدين، دلّ على ضيق نفسه، لا على ضيق الحق.

يا بني، إنّما يكون الخليفة باباً حين يسأل نفسه ويكرر السؤال:

هل أنا باب أم حجاب؟

هل أخشى الله، أم أخشى فقدان سلطاني؟

هل أخدم الطريق، أم أخدم صورتي فيه؟

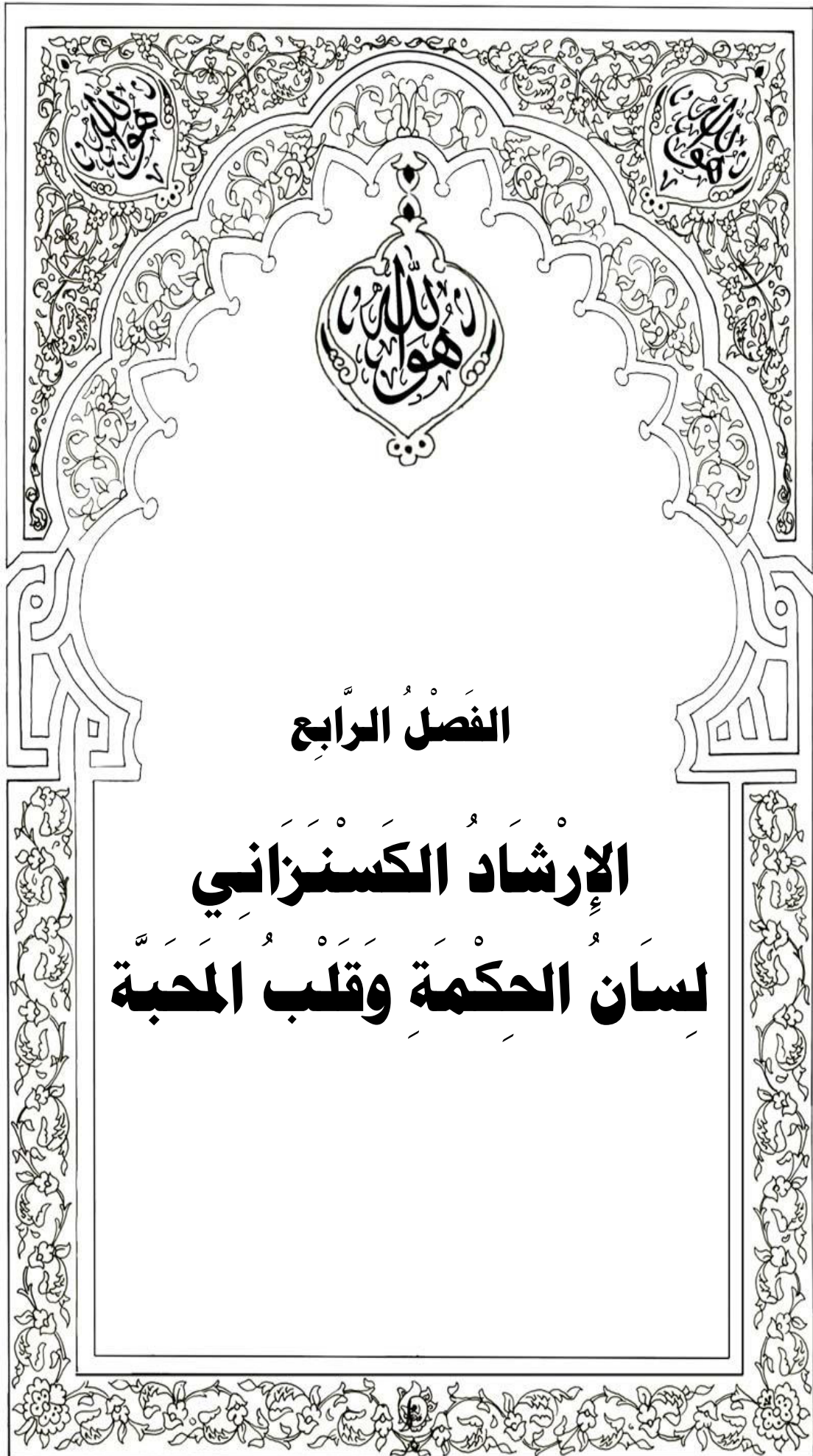
فإن كان الجواب صادقاً، فاعلم أنّك بلغت مقام الخليفة الذي لا يحجب الحق.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (83): لماذا يكون الطريق واسعاً، بينما يضيق به البعض؟
الجواب: لأنّ الحق أوسع من الأفراد، والطريق ممتدّ عبر العصور،
لكنّه يضيق بقدر ما يضيق القلب الذي يحمله. فبعض الخلفاء
يضيّقون بالمريدين لأنّهم يريدون إفهامهم نسخاً عن فهمهم، في
حين أنّ الطريق يستوعب كل من يسير فيه بنية صادقة، ولو كان
مختلفاً في فهمه. فمن وجد في نفسه ضيقاً بالمريدين، فليعلم أنّ
العيب ليس في الطريق، بل في سعة صدره وقلبه.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا جُسُورًا يَعْبُرُ عَلَيْهَا الْمُرِيدُونَ، وَلَا
تَجْعَلْهُمْ سُدُودًا تَمْنَعُهُمْ مِنَ الْوُصُولِ



الفصل الرابع

الإرشاد الكسنزاني لسان الحكمة وقلب المحبة

رسالة [19]: في بركة الإرشاد إلى الطريقة

يا مُريد، إنّ من أعظم البركات التي يمنّ الله بها على العبد أن يكون سبباً في هداية غيره. فإنّ الله إذا اختار عبداً لدلالته على الطريق، فقد جعله مفتاحاً للنور، وباباً لرحمته. فهل هناك كرامة أعظم من أن يفتح الله بك قلوباً مغلقة، وينير بك أرواحاً كانت تائهة؟ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾ فانظر كيف أنّ الله جعل الدعوة إليه من أشرف الأعمال.

يا مريد، إنّ الطريقة ليست لأهلها وحدهم، بل هي رحمة للعالمين، فمن وجد فيها الهداية، فليكن سبباً في أن يجدها غيره. فإن كنت قد ذقت طعم القرب، فهل ترضى أن يبقى غيرك محروماً؟ وإن كنت قد وجدت السكينة، فهل تقبل أن يعيش غيرك في القلق والاضطراب؟ فإن كنت تسير في الطريق، فاجعل سيرك سبباً في أن يلحق بك من ضلّ، فإنّ العبد لا يُكرم إلّا إذا كان سبباً في هداية غيره. قال النبي ﷺ: ﴿لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ﴾⁽²⁾، فانظر كيف أنّ هداية شخص واحد أعظم من كنوز الدنيا. فإن كنت تريد أن يكون لك نصيب من بركة الدعوة، فاجعل نفسك مفتاحاً للخير، فإنك إن دلت عبداً على الله، كان لك مثل أجره، فإن كنت تريد أن يكون لك عمل لا ينقطع، فاجعل كل من يهتدي بسببك نوراً في ميزانك.

يا مريد، لا تقل: لست أهلاً للإرشاد، فإنّ كل من عرف الطريق يمكنه أن يدلّ عليه، فإن كنت ترى نفسك ضعيفاً، فلا تخف، فإنّ الهداية بيد الله،

1 - [فصلت: 33]

2 - البخاري، صحيح البخاري، ج3 ص1357.

وليس عليك إلّا أن تكون سبباً، فإن كنت تعلم أنّ في الطريقة نوراً، فاجعل غيرك يرى ذلك. فإن كنت تحب الخير لنفسك، فكيف لا تحبه لغيرك؟ فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق؟ فانظر إلى همّك، فإن كنت تريد الخير لك وحدك، فراجع نفسك، وإن كنت تفرح به لغيرك، فابشر، فإنّ الله قد جعل في قلبك النور.

يا مريد، إنّ البركة في الإرشاد لا تعود فقط على من ترشده، بل تعود عليك أولاً، فإنّ العبد إذا كان سبباً في هداية غيره، زاد الله في هدايته، وإن دلّ الناس على الطريق، ثبتته الله فيه، فإن كنت ترى في نفسك فتوراً، فاجعل نفسك سبباً في أن يسير غيرك، فإنّ الله يفتح لك بقدر ما تفتح للناس.

روينا عن أحد العارفين أنّه قال: «من وجد طريق الله ولم يدلّ عليه غيره، فقد بخل بما هو خيرٌ من الدنيا وما فيها». فانظر كيف أنّ من وجد النور ولم ينشره، فقد ضيّع بركته، فإن كنت تريد أن يكون قلبك ممتلئاً بالنور، فاجعل غيرك يرى ما ترى، فإنّ النور لا ينقص إذا قُسم، بل يزيد، فإن كنت تريد أن يكون لك كنزٌ لا يفنى، فاجعل نفسك باباً للهداية.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أن الطريق ليس لأنفسهم فقط، بل لكل من يبحث عن النور، وفيهم من يحتاج إلى من علّمه أنّ الهداية لا تُحجب، بل تُنشر، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ من دلّ على الخير، كان له مثل أجره، فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا من أهل الله، فاجعلوهم يعرفون أنّ الطريقة ليست للخواص، بل لكل من يريد القرب، فإنّ القلب إذا عرف الله، أحب أن يعرفه الناس.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الدعوة إلى الطريق

ليست بالكلام فقط، بل بالسلوك، فإن كنت ترى مريداً يدعو بلسانه، لكن سلوكه لا يوافقه، فاجعله يفهم أنّ الدعوة الحقيقية هي أن يرى الناس النور في أعماله قبل كلماته. وإن رأيت مريداً يخشى الدعوة، فذكره أنّ الله يفتح القلوب، وليس عليه إلّا البلاغ. فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى أثر سيرك، فإن كنت سبباً في أن يسير غيرك، فاعلم أنّ الله قد جعلك باباً للخير. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (84): الإرشاد إلى الطريقة باب من أبواب الرحمة

يا مريد، من أعظم مظاهر رحمة الله بعبده أن يجعله سبباً في هداية غيره إلى طريق النور. فإنّك إن دلت إنساناً على باب الله، كنت سبباً في إحياء قلبه، وربما جعل الله ذلك العمل سبباً لرفع مقامك وزيادة قربك. فكل من اهتدى بسببك، فإنّ له في صحيفتك نوراً لا يزول. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾⁽¹⁾، فاجعل نفسك يا مريد، داعياً لله بفعلك قبل قولك، تكن رحمة تمشي على الأرض.

مسألة (85): في أن الطريقة ليست حكراً على أحد

يا مريد، إنّ الطريق الذي سرته ليس لك وحدك، بل هو طريق الله لعباده أجمعين، فمن وجد فيه السكينة، وجب عليه أن يدل غيره عليه. وإن رأيت قلباً حائراً، أو روحاً تائهة، فادعها إلى نور الطريق، فإنّ الهداية تزيد كلما شاركتها. ولا تظن أن الطريق خاص بأهل الذكر أو الخواص، بل هو لكل من طرق بابَه بإخلاص. فمن أحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه، ازداد قرباً من الله.

مسألة (86): الدال على الطريق شريك في الأجر

يا مريد، إنّ من دلّ عبداً على طريق الله، كان له مثل أجره، كما أخبر النبي ﷺ: ﴿لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم﴾⁽¹⁾. فكيف إذا دلت جماعة؟ وكيف إذا صرت سبباً في إحياء قلوب؟ فمن أحب أن يكون له عمل لا ينقطع، فليجعل نفسه باباً للهداية، فإنّها تجارة لا تبور، وفضل لا ينتهي. ولا تحتقر هداية إنسان واحد، فرب هداية صغيرة تفتح لك بها أبواباً عظيمة من النور.

مسألة (87): الدعوة إلى الطريقة تكون بالقدوة قبل الكلمة.

يا مريد، الدعوة الحقيقية ليست فقط كلاماً يقال، بل هي حال وسلوك يُشهد. فإن رأى الناس نور الحق في أفعالك، انفتح لهم الباب دون أن تنطق بكلمة. أمّا إذا دعيت بلسانك وكان فعلك مخالفاً، حجت عنهم النور الذي تدعوهم إليه. فاجعل نفسك مرآة للطريق، صادقاً في سيرك، مستقيماً في سلوكك، حتى تكون دعوتك مؤثرة، ويرى الناس فيك أثر أهل الله.

مسألة (88): من دلّ الناس على الله ثبتته الله على الطريق

إنّ من كان سبباً في هداية الخلق، ثبتته الله، وفتح له أبواباً من الفهم. وأنّ العبد إذا فتح لغيره باباً، فتح الله له أضعافه، وإذا دلّ غيره، رزقه الله من اليقين ما يعينه على الثبات في الطريق. وإن شعرت يوماً بفتور، فادعُ عبداً إلى طريق الله، تجد أنّ الله يحيي قلبك بهذا العمل، فإنّ الهداية إذا انتقلت منك لغيرك، عاد أثرها عليك نوراً واطمئناناً.

1 - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم على يده رجل، رقم الحديث [2847].

رسالة [20]: كيف يحفظ المريد نفسه من الجدالات

العقيدة؟

يا مريد، إنّ الكلمة التي تخرج من فمك، قد تكون نوراً يفتح قلباً، أو ناراً تحرق طريقاً، وإنّ من أخطر ما يهلك القلب، أن يدخل صاحبه في دوائر الجدل العقيم، حتى ينسى أنّه ما خُلق ليُسحق في صراعات الألسنة، بل خُلق ليبحث عن الحقيقة، ويتكلم حيث يكون للكلام معنى، ويسكت حين يكون الصمت حكمة. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁽¹⁾، فليس كل جدالٍ، وليس كل كلمةٍ تحتاج إلى استنزاف النفس في ردّها.

يا مريد، احذر أن يكون هدفك في الحوار أن تنتصر لا أن تفهم، وأن تُفهم خصمك لا أن تصل معه إلى الصواب. قال النبي ﷺ: ﴿أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا﴾⁽²⁾. فما أعظمها من منزلةٍ، وما أبلغها من حكمةٍ، أن يكون للعبد عقلٌ يعرف متى يتكلم، ومتى ينصرف عن الجدل، ولو كان على حق. فإنّ الجدل، إن كان يقود إلى نورٍ، فهو علم، وإن كان يقود إلى قسوة، فهو فتنة.

يا مريد، إنّ الجدل قد يُفسد قلبك دون أن تشعر، فقد تبدأ مريداً للحق، ثم تجد نفسك أسيراً لرغبة الانتصار، فتغالط نفسك، وتُحرّف حججك، وتتعصب لموقفك، لا لأنك تراه صواباً، بل لأنك لا تريد أن تخسر أمام الناس. فكن حذراً، فإنّ القلوب تُختبر في مواطن الجدل، ومن لم يكن في قلبه صدقٌ خالصٌ، انجرف مع التيار، ووقع في فتنة الأهواء.

1 - [الفرقان: 63]

2 - سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار العالمية، ط1، 1430 هـ، حديث

رقم [4800]، ج7 ص178.

يا مريد، لا تظنن أن الحكيم هو من يسكت دائماً، ولا أن الصامت هو دائماً على صواب، بل الحكمة أن تعرف متى تتكلم، ومتى تسكت. فإن كان في كلامك نفع وإرشاد، فتكلم بهدوءٍ وعقلٍ، وإن كان الجدل لن يزيد إلا فرقة وعداوة، فدع الحديث، فإن السلامة في الصمت حينئذٍ.

يا خلفاء الطريقة، إن بين أيديكم مريدين فيهم من ينشغل بالجدال، حتى يظن أن ذلك هو الطريق، فيضيع وقته فيما لا ينفع، ويجعل من نفسه خصماً لكل من يخالفه، فيقسو قلبه، ويقل نوره. فكونوا لهم مرشدين، علّموهم أن البحث عن الحقيقة لا يكون بالصوت المرتفع، بل يكون بصفاء القلب، ونية خالصة لله.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أن الكلمة أمانة، وأن الحوار مسؤولية، وأنهم ما وجدوا ليهدروا أعمارهم في الخصام، بل ليبنوا، وليفهموا، وليكونوا مفاتيح للخير، لا معاول للهدم. ذكّروهم أن من تعلم كيف يتكلم، عليه أيضاً أن يتعلم كيف يسكت، فإن في الصمت أحياناً ما يعجز عنه الكلام.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (89): ضبط اللسان هو أول درجات الحكمة في الطريق

يا مريد، إن السالك إلى الله لا بد له أن يحصن لسانه من المهالك، فإن الكلمة قد تكون سبباً للفتح والنور، وقد تكون سبباً للقسوة والظلمة. ومن أكثر الكلام بغير ضرورة، غفل قلبه، وانشغل عن ربه. فإذا أردت أن تكون من أهل السير، فاجعل لسانك محكوماً بعقلك، وقلبك حاضراً في نيتك، حتى لا ينطق إلا بما يقربك إلى الله، ويكون لك زاداً لا وبالا.

مسألة (90): الجدل المذموم يفسد القلوب ولا يصلحها

يا مريد، ليس كل نقاش خيراً، ولا كل مخالفة تؤدي إلى رشد، فإنّ الجدل إذا كان لمجرد الغلبة، أورث القلب ظلمة، وجعل النفس أسيرة رغبة الانتصار. أمّا إذا كان الحوار خالصاً لوجه الله، يُراد به الوصول للحق، فهو نور وهدى. فانظر نيتك عند الجدل، فإن وجدت نفسك تطلب الغلبة، فاعلم أنّك في فتنة، وإن وجدت قلبك يطلب الحق، فاستمر في لطف وحكمة.

مسألة (91): السكوت عن الجاهل حكمة وليس ضعفاً

يا مريد، إذا ابتلاك الله بمن أراد أن يجرك إلى جدال لا نفع فيه، فاعلم أنّ الصمت حينئذٍ عبادة، وهو أبلغ من كثير من الكلام. فإنّ الله قال في وصف عباده: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁽¹⁾. لا تدخل في جدال مع قلب مغلق، ولا تحرق نورك في صراع لا يثمر إلا فتنة. دع الكلام حيث لا يُنفع، واطلب الحكمة متى تنطق ومتى تسكت.

مسألة (92): على الخلفاء التربية على حكمة القول والصمت

يا خلفاء الطريقة، إنّ من أعظم الأمانات التي في أعناقكم أن تربي المريدين على ضبط ألسنتهم، فلا ينطقون إلا بحق، ولا يجادلون إلا بحكمة، ولا يدخلون في خصومات تهلك قلوبهم. ذكروهم أن الكلام أمانة، وأنّ الصمت أحياناً عبادة. علموهم أنّ الطريق إلى الله لا يقطعه من أضاع عمره في الخصام، بل يقطعه من طهر قلبه، وزكى لسانه، وسار بنية صافية وقلب سليم.

رسالة [21]: منابر النور.. الروح العالمية في الإرشاد

يا مريد، اعلم أنّ السالك إلى الله إذا سكن النور قلبه، أصبح قلبه واسعاً كاتساع رحمة الله، لا يضيق بأحد من خلق الله، ولا يقف على حدود طائفة أو مذهب أو دين، بل يرى الجميع عباداً لله تعالى، وكل واحد منهم له طريق إلى الحق، بحسب ما أقدره الله عليه من الفهم والهداية. فالمرید الحق لا ينشغل بتكفير أو تبديع، ولا يفترق بين الناس بلونهم أو قوميتهم، بل ينظر إلى القلوب، فإذا وجد قلباً يطلب الله، علم أنّه على طريق الخير، وإن جهل السبيل.

يا مريد، إنّ أهل الطريقة هم أطباء الأرواح، فإذا جاءهم مريض لا يسألونه عن مذهبه، بل ينظرون إلى علته ويصفون لها الدواء، فكما أن الطبيب لا يرفض علاج من يجهل علم الطب. كذلك السالك لا يحجب النور عن من خالفه في ظاهر دين أو مذهب. فالقلوب بيد الله، وقد يفتح الله على قلب من خالفك في الدين، بما لا يفتح على غيره. قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁽¹⁾ وهذه الرحمة إذا سكنت في قلب المريد، صار أفقه رجلاً، وبصره نافذاً، يرى نور الله في كل قلب صادق، ولو لم يعرف لسانه كلمة الحق، فإن الله أرحم بعباده من أن يضيعهم.

قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾. فإذا كنت يا مريد على قدم المصطفى، فعامل الناس برحمة، ولا تكن بواباً يغلق الباب، فالله يبعثك حيث يشاء ليكون قلبك دليلاً إلى النور لا إلى الفرقة. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.

1 - [الأعراف: 156]

2 - سنن أبي داود، مصدر سابق، ط1، 1430 هـ، ج7 ص178.

مسألة (93): المرید یرى الخلق جميعاً عباداً لله

یا مرید، لا تجعل عينك تنظر إلى الناس من خلال اختلافهم، بل اجعل قلبك يراهم جميعاً عباداً لله تعالى، فمن شاء الله فتح له، ومن شاء حُجب عنه. وأنت عبدٌ مكلفٌ بالدعوة بالحكمة، لا بالحكم على الناس. فالمرید لا يضع حداً لرحمة الله، بل يفتح قلبه ليكون مرآة لهذه الرحمة، كما كانت قلوب العارفين بالله.

مسألة (94): الإرشاد في الطريقة دعوة إلى النور لا إلى المذهب

یا مرید، اعلم أنّ دعوتك في الطريقة ليست إلى رأي أو مذهب أو طائفة، بل هي دعوة إلى النور الإلهي الذي يتنزل على القلوب. فمن جاءك طالباً للنور، فلا تسأله عن دينه أو مذهبه، بل أعطه مما عندك من النور، وادعه إلى الرحمة والمحبة، فإنّ الله هو الذي يهدي القلوب، وأنت سبب ورحمة.

مسألة (95): المرید لا يكفر أحداً مهما اختلف عنه

یا مرید، احذر أن تقع في دائرة التكفير أو الحكم على الناس بالكفر، فذلك شأن الله وحده، وهو أعلم بمن ضلّ ومن اهتدى. إنّما دورك أن تزرع الرحمة، وتدل الناس على الطريق بصدق، ثم تدعو لهم بالهداية والنور، فليس من شأنك أن تغلق الأبواب في وجوه من خالفك، بل أن تبقى مفتوحاً لكل باحث عن الحق، ولو جاء من طريق غير طريقك.

مسألة (96): التنوير في الطريقة يكون بحسب إيمان كل عبد

یا مرید، إنّ النور الذي تحمله في قلبك هو دواء للنفوس، فلكل مريض دواؤه، ولكل قلب طريقه، وإنّ أهل الطريقة يضيئون

للمؤمنين الطريق بحسب ما هم عليه من الفهم والاستعداد، لا يُكرهونهم على تغيير أديانهم، بل يهذبون أرواحهم، ويذكّون قلوبهم، حتى يسلك كل واحد منهم سبيله إلى الله كما أراد الله له.

مسألة (97): سعة القلب والرحمة شرط في المرشد

يا مريد، إذا أردت أن تكون مرشداً في الطريق، فاجعل قلبك واسعاً لا يضيق بأحد، وكن طبيباً للأرواح، لا قاضياً على العباد. فالمريد الذي يحمل الرسالة العالمية، لا ينظر إلى الناس نظرة الفرقة، بل نظرة الوحدة في طلب الحق، فهو يسعى ليجمع ولا يفرق، ليهدي ولا يحجب، فإنّ الطريقة رحمةٌ لكل العالمين، لا لفئة دون أخرى.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيدِينَا، رِجَالًا وَنِسَاءً، مِنَ الَّذِينَ يَدُلُّونَ
النَّاسَ عَلَيْكَ، وَلَا يَحْجُبُونَ أَحَدًا عَنْ نُورِكَ، وَامْنَحْهُمْ الْحِكْمَةَ،
وَالْبَصِيرَةَ، وَالنُّورَ، وَأَعِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَسِيرُونَ
إِلَيْكَ بِقُلُوبٍ صَافِيَةٍ، وَأَرْوَاحٍ رَحِيمَةٍ، تَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى
حَضْرَتِكَ بِالْحَقِّ وَالرَّحْمَةِ

رسالة [22]: المحبة الجامعة... قلب المرید بین الخلق

والخالق

یا مرید، إِنَّ المحبة فی الطريق لیست تفضلاً منك علی الخلق، بل هی مقام من مقامات القرب، من دخله فقد دخل حضرة ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁽¹⁾. فَإِنْ كنت تريد أَنْ تكون من أهل الله، فاجعل قلبك یتسع للناس کلهم، كما وسعتهم رحمة الله، ولا تجعل دینك أو مذهبك أو فهمك سبباً لحجب الرحمة عن أحد، فَإِنَّ الله لَا یُسأل عن عبادہ، وقد شاء لهم ما شاء. قال النبی ﷺ: ﴿الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ﴾⁽²⁾. فانظر یا مرید، کیف جعل رسول الله الناس جميعاً عیالاً لله، فمن وسعهم بالمحبة والرحمة، كان من أحب الخلق إلى الله.

یا مرید، إِنَّكَ إِنْ أحببت الله حقاً، أحببت عبادہ، ولو لم يعرفوه، فَإِنَّ القلب الموصول بالله، لَا یحمل إلّا الرحمة، ولا ینطق إلّا بالحكمة، ولا یعمل إلّا بالخير. وَإِنَّكَ إِنْ كنت صادقاً فی سيرك، فَإِنَّكَ ستري الناس جميعاً، وكل واحد منهم یحمل فی قلبه نوراً، وَإِنْ كان خفياً عن عينه، وتدعو الله أَنْ ینكشف له، لَا أَنْ تحکم علیه بالحرمان.

یا خلفاء الطريقة، علموا المریدین أَنَّ المحبة الجامعة هی روح التصوف، وَأَنَّ السالك لَا یكون سائراً بحق حتی یحب الناس کلهم، ویرى الخلق جميعاً فی حاجة إلى النور، ویكون رحيماً بكل من یقابله، فَإِنْ كنتم تريدون أَنْ یكون للمریدین أثرٌ فی العالم، فاجعلوهم مرآة لرحمة الله، وعلموهم أَنْ یكونوا دعاة بالمحبة، لَا قضاة بالتبديع أو التفسیق.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.

1 - [الأعراف: 156]

2 - الطبرانی، المعجم الكبير، ج 10 ص 86.

مسألة (98): محبة الخلق صفة العارفين بالله

يا مريد، اعلم أنّ العارف بالله لا يرى إلّا جمال الله في خلقه، فإن أحب الخلق، أحبهم لله، وإن رحمهم، رحمهم بفيض ما عرف من رحمة ربه. ومن ضاق قلبه عن محبة الناس، دلّ ذلك على ضيق معرفته بالله، فإنّ الرحمة صفة الرب، وأقرب الناس إليه من تجلّى قلبه بالرحمة لكل خلقه.

مسألة (99): لا فرق في المحبة بين مؤمن وغير مؤمن

يا مريد، إنّ المحبة عند أهل الطريقة ليست محبة مشروطة، فإن أحبوا، أحبوا لله، سواء وافقهم من أحبوه في الدين أو خالفهم. فالمرید الصادق يحمل في قلبه نوراً يدعو به الجميع، ويدعو للجميع، ويسأل الهداية لكل خلق الله، فهو يرى الناس إمّا على معرفة أو في طريق إلى المعرفة، وكلهم محتاجون إلى الرحمة والهداية.

مسألة (100): المحبة الجامعة تحرر القلب من العصبية

يا مريد، إذا اتسعت المحبة في قلبك، تحررت من كل عصبية لمذهب أو طائفة أو قوم، فلم تعد ترى نفسك فوق أحد، بل صرت ترى أنّ الفضل كله لله تعالى، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله. فتصبح همّتك أن تدعو الناس بالحكمة، وترشدهم بالنور، ولا تغلق الباب في وجوههم بسبب خلاف أو جهل.

مسألة (101): المحبة تجعل المريد موضع أمان للخلق

يا مريد، إذا سكن قلبك بالمحبة، صار الناس يأمنونك، ويأمنون بك، فيرون فيك وجه الرحمة لا وجه القسوة، فإنّ النبي كان "رحمة

للعالمين"، وليس لفئة دون أخرى. فكن مرآة لتلك الرحمة، وكن سبباً في أن يشعر الناس بالأمان حين يقبلون عليك، لا بالخوف والرهبة، فإنّ الدين جاء ليحيي القلوب لا ليكسرهما.

مسألة (102): دعوة المريد إلى الله تكون بالمحبة لا بالخصام يا مريد، لا تظنن أنّ دعوة الناس إلى الله تكون بكثرة الحجة والجدال، بل تكون بحسن الخلق، ورحمة القلب، ومحبة الروح. فالمحبة أعظم دعوة، فإذا رأى الناس منك الرحمة والصدق، أحبوا الطريق، وإن رأوا منك جفاء وغلظة، نفروا، وإن كنت على صواب. فاجعل المحبة سراجك، تنير بها طريقك وطريق غيرك.

اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيدِنَا، رِجَالًا وَنِسَاءً، مِنَ الَّذِيْنَ تَعْمُرُ
قُلُوْبُهُمْ بِاَلْمَحَبَّةِ، وَتَرْقُ نُفُوْسُهُمْ بِالرَّحْمَةِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي
قُلُوْبِهِمْ غِلًّا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَأَمْنَحُهُمُ الْحِكْمَةَ، وَالْبَصِيْرَةَ،
وَالنُّوْرَ، وَأَعِيْنُهُمْ عَلٰى اَنْ يَكُوْنُوْا مِنَ الَّذِيْنَ يَسِيْرُوْنَ اِلَيْكَ بِقُلُوْبٍ
صَافِيَةٍ، وَأَرْوَاحٍ رَّحِيْمَةٍ، وَدَعْوَةٍ صَادِقَةٍ تَجْمَعُ وَلَا تُفَرِّقُ

رسالة [23]: قلب المريد سفير سلام ورحمة بين الخلق

يا مريد، إذا صفا قلبك من شوائب النفس، امتلأ بنور الرحمة، وصرت محلاً للتسامح مع من خالفك، والتفاهم مع من اختلف عنك، والرحمة مع من جهل طريق الله. فالمريد الحق لا يُقيم الحواجز بينه وبين الخلق بسبب دين أو مذهب أو قومية، بل ينظر إلى كل إنسان بعين المحبة، يرى فيه مخلوقاً لله، له كرامة، وله حق المعاملة بالرفق واللين والدعاء بالخير، عسى الله أن يهدي القلوب ويؤلف بينها.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽¹⁾. فانظر، يا مريد، كيف أن الغاية من الاختلاف في الخلق والتنوع في الشعوب ليست التنازع ولا الفتنة، بل التعارف والتواصل والتكامل.

وقال النبي ﷺ: ﴿الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾⁽²⁾. فإذا أردت، يا مريد، أن تكون صادقاً في سيرك، فكن مصدر أمن وسلام لكل من عرفك، لا تخيف أحداً، ولا تحمل في قلبك بغضاء على أحد، بل كن موضع أمان ورحمة، كما كان نبيك رحمة للعالمين.

يا مريد، إنك في هذا الطريق سفير للسلام بين الناس، وداعية إلى الإصلاح، تتوسط بين المختلفين، وتدعوهم إلى التفاهم والتسامح، وتطفئ نار العداوة بالحكمة والموعظة الحسنة. فمن كانت نفسه

1 - [الحجرات: 13]

2 - النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط1، 1421هـ، ج8 ص63.

موصولة بالله، صار جسده كله مفتاحاً للخير، ولسانه مبلّغاً للكلمة الطيبة، وقلبه موطناً للسلام.

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين على أن يكونوا دعاة محبة وإصلاح، يدخلون بين الناس لإطفاء الفتنة، ويجبرون القلوب المكسورة، ويمدّون أيديهم لكل ساعٍ إلى الصلح. وذكّروهم أنّ الإصلاح بين الناس من أفضل الأعمال، كما قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (103): كيف يعرف المريد أنه سفير سلام ورحمة؟

الجواب: يعرف المريد أنّه كذلك إذا وجد نفسه يحمل قلباً لا يحمل حقداً، ولساناً لا ينطق إلا بالخير، ويداً تمتد للصلح بين الناس، فيكون موضع أمانٍ لكل من عرفه، لا يُخشى جانبه، بل يُرجى خيره، ويعمل على نشر الرحمة كما يرجو رحمة الله.

مسألة (104): كيف يكون المريد مصدر أمن وسلام للناس؟

الجواب: بأن يكون موضع أمان ورحمة، لا يُخيف أحداً، ولا يحمل في قلبه بغضاء على أحد، بل يكون صادقاً في سيره، كما كان النبي رحمة للعالمين.

مسألة (105): ما أثر سلام المريد على سيره إلى الله؟

سلام المرید مع الخلق یزیده قرباً من الحق، ویزکی قلبه، ویجعل طریقہ إلى الله ممهداً بالنور، لأنّ إصلاح ذات البین ومحو العداوة من القلوب من أعظم الأعمال التي ینال بها العبد رضا الله، كما قال تعالى ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾⁽¹⁾. ومن كان سفير سلام بین الخلق، كان موضع رحمة عند الخالق.



رسالة [24]: الإرشاد .. طريق الإيمان العلمي

يا مريد، اعلم أنّ الإيمان ليس كلمة تقال، ولا اعتقاداً ساكناً في الصدر، بل هو حياة تنبض في القلب، وتثمر عملاً في الجوارح. وهو في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية ذو جناحين؛ جناح يثبت في باطن القلب، وجناح يظهر في ظاهر السلوك. فلا قيام للسير إلى الله بأحدهما دون الآخر، كما أنّ الطائر لا يحلّق إلّا إذا كان له جناحان قويان.

فأما الإيمان القلبي، فهو التصديق بالغيّب. أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتوقن أنّ الله أقرب إليك من حبل الوريد. هذا الإيمان يملأ قلبك نوراً، ويربطك بعالم الغيب، ويجعلك حاضراً بين يدي الله في كل لحظة.

وأما الإيمان العملي، فهو ما يتجلى في سلوكك بين الناس، أن تكون مصدر أمان، ووسيط سلام، وأن يأمنك الخلق على دمايتهم وأموالهم وأعراضهم، كما قال الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾⁽¹⁾. فهذا الإيمان العملي ليس نافلة في الطريقة الكسنزانية، بل هو خاصية أساسية في الإرشاد والتربية، لأنّه العلامة الظاهرة على صدق الإيمان الباطن.

يا مريد، إنّ طريقتنا الكسنزانية لا تربّي السالك ليكون منعزلاً عن الناس، ولا متقوقعاً في عبادته، بل تخرّجه داعية سلام، وسفيراً للأمان، يجمع بين نور التصديق، ونور التأمين، أو نور الإيمان القلبي، ونور الأمان الاجتماعي، حتى يكون رحمة تمشي على الأرض. فإذا دخل مكاناً عمّه السلام، وإذا تحدّث زال الخلاف، وإذا مدّ يده امتدّت معها رحمة الله إلى القلوب.

1 - النسائي، السنن الكبرى، تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط1، 1421هـ، ج8 ص63.

يا مريد، اعلم أنّ مقام الإرشاد في طريقتنا لا يُعطى لمن حفظ العلم فقط، ولا لمن طال مقامه بين الأذكار وحده، بل لمن صار وجوده أمناً للناس، ولمن فاض قلبه بالسلام، حتى صار إصلاح ذات البين من دأبه، وتهدئة النفوس من شأنه، وتأليف القلوب من سعيه.

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين أنّ الإيمان القلبي وحده لا يكفي، حتى يصاحبه إيمان عملي، يجعلهم مفاتيح للخير مغاليق للشر. واغرسوا فيهم أنّ التربية الكسنزانية تثمر أناساً يأمنهم الجميع، ويثق بهم العدو قبل الصديق، لأنّهم أهل صدق مع الله، وأهل سلام مع خلقه.

قال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁽¹⁾ فهؤلاء هم أهل الإيمان العملي، الذين ما دخلوا مكاناً إلا تركوه أكثر أمناً وسلاماً. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (106): ما هو الإيمان القلبي عند السالك؟

الجواب: الإيمان القلبي هو التصديق بالغيب، أن يؤمن المريد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويوقن بأن الله مطلع على سره وعلايته. فهذا الإيمان هو أساس العلاقة بين العبد وربّه، يربط القلب بعالم النور، ويجعله حاضراً في مراقبة الله في كل لحظة.

مسألة (107): ما هو الإيمان العملي في الطريقة الكسنزانية؟

الجواب: الإيمان العملي هو أن يكون المريد مصدر أمن وسلام

للناس، يأمنه الخلق على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ويسعى في الإصلاح بين الناس، ويفيض قلبه بالرحمة والسكينة، حتى يصبح وجوده أماناً، وكلامه دعوة إلى السلام، وسعيه وساطة للخير.

مسألة (108): لماذا يعد الإيمان العملي خاصية أساسية في الإرشاد؟
الجواب: لأنّ مقام الإرشاد في طريقنا لا يُعطى إلّا لمن تحقق بالإيمان العملي، الذي يظهر أثره في الأمن والسلام بين الخلق. فالمرشد عندنا هو من جمع بين نور التصديق القلبي ونور التأمين العملي، وكان سبباً في نشر الطمأنينة والسكينة في المجالس والقلوب.

مسألة (109): ما أثر الإيمان العملي على سير المريد؟
الجواب: الإيمان العملي يزكي قلب المريد، ويثبت قدمه على الصراط المستقيم، ويجعله موضع ثقة عند الناس ومحط رجائهم في الإصلاح. فإذا صار السالك مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، قرّبه الله إليه، وجعله موضع رحمته.

مسألة (110): كيف يُربي المريد على تحقيق الإيمان العملي؟
الجواب: يُربي المريد على أن يكون عبداً لله تعالى، فينشر الرحمة بين خلق الله، ويتجنب إيذاء الناس بلسانه أو يده، ويحرص على إصلاح ذات البين، ويُعلّم أنّ الإيمان لا يكون كاملاً حتى يكون وجوده أماناً وسلاماً للناس جميعاً.

مسألة (111): ما علاقة مقام الإيمان بتحقيق الإصلاح في المجتمع؟
الجواب: المريد الذي تحقق بالإيمان العملي يكون وسيطاً للإصلاح، يدعو إلى التفاهم والتسامح، ويعمل على إزالة أسباب العداوة

والبغضاء، ويصبح بذلك سفيراً للسلام يحمل رسالة الطريقة
الكسنزانية في توحيد القلوب ونشر الأمن بين العباد.

مسألة (112): كيف يعرف المرید أنه قد تحقق بالإيمان المتعدي؟
يعرف المرید ذلك إذا وجد الناس يأمنونه في غيبته وحضوره، ويرونه
موضع ثقة وسلام، ويُشهد له بأنه سبب في الإصلاح وتهذبة
النفوس. فإذا صار لا يخشى الناس جانبه، ولا يخافون ظلمه، بل
يرجون وجوده بينهم لما يحمله من خير، فقد تحقق بمقام الإيمان
العملي المتعدي.



رسالة [25]: العلم نور الإرشاد في الطريقة الكسنزانية

يا مريد، إعلم أنّ العلم نور، ومن حُرْمِ النور، عمي عن الحق، وجهل الطريق. وإنّ المريد السالك إلى الله، لا يُطلب منه فقط العلم بأحكام الشريعة، ولا الاكتفاء بمعرفة الأوراد والأذكار، بل هو مطالب أن يكون عالماً بزمانه، مدركاً لحقائق عصره، واعياً بمستجدات الحياة من حوله، حتى يتمكن من أداء رسالته في الإرشاد والدعوة إلى الله على بصيرة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾⁽¹⁾.

يا مريد، إنّ الإرشاد لا يقوم على الجهل، ولا يثمر في قلب مغلق عن فهم العصر وأحوال الناس. فالمريد الذي لا يعرف واقع زمانه، يظل بعيداً عن حاجات الخلق، لا يدرك مشاكلهم، ولا يستطيع أن يخاطبهم بلغة عقولهم، ولا أن يصل إلى قلوبهم، لأنّه غريب عنهم، وإن كان قريباً بجسمه.

يا مريد، إنّ العلم الحديث، بما يحمله من تطور في الطب، والهندسة، والتقنية، والإدارة، بل وحتى في فهم النفس البشرية، هو وسيلة لك لتقترب من الناس، وتحقق حاجاتهم، وتكون مرشداً حقيقياً يحقق رسالة الإصلاح والتربية التي أوصت بها طريقتنا الكسنزانية، إذ لا يكفي أن تنصح الناس بذكر الله وأنت تجهل همومهم اليومية، بل عليك أن تفهم دنياهم لتكون سبباً في إصلاح دينهم ودنياهم.

يا مريد، إنّ الطريقة الكسنزانية ما جاءت إلّا لتحقيق التوازن بين العلم بالقلب، والعلم بالعقل، وبين العبادة، وعمارة الأرض. وإنّ المرشد فيها لا يكون منعزلاً عن قضايا مجتمعه، بل هو ربان يقود

السفينة، يعرف الريح، ويُحسن توجيهها، ويأخذ بأيدي من معه إلى بر الأمان، سواء في الدين أو الدنيا. قال النبي ﷺ: ﴿طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ﴾⁽¹⁾، وهذا العلم لا يقتصر على الفقه والحديث، بل يشمل كل ما يعين العبد على نفع نفسه والناس، ويكون سبباً في الإصلاح والرحمة.

يا خلفاء الطريقة، ربّوا مريدكم على محبة العلم، وعلى التفقه في أمور الدين والدنيا، وادفعوهم إلى أن يكونوا أهل حكمة وبصيرة، يجمعون بين نور الإيمان، وسعة العلم، وفهم العصر، ليكونوا مرشدين صادقين، لا يُخدعون بظاهر الدنيا، ولا يغيبون عن حاجات الناس، بل يعيشون في زمانهم بما يرضي الله، ويقودون الخلق إلى الخير بالعلم والعمل. قال الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره: «كونوا علماء بالله، علماء بزمانكم، رحماء بعباد الله» فهذه وصية جامعة لطريق الإرشاد، لا يتم بها العمل إلا بالعلم والرحمة والفهم. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (113): لماذا يجب على المريد أن يكون عالماً بزمانه؟ لأنّ الإرشاد لا يثمر إلا إذا كان المريد مدركاً لحقائق عصره، فاهماً لمجتمعه، قادراً على تقديم النصح والإرشاد بما يُناسب حاجات الناس، ويخاطب عقولهم بلغة زمانهم.

مسألة (114): هل يقتصر علم المريد على علوم الدين؟

1 - ابن ماجه ، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، دار الرسالة العالمية، ط1،

1430هـ، ج1 ص151.

الجواب: لا، بل المطلوب أن يتعلم المريد من علوم العصر ما يعينه على فهم الواقع، وخدمة الخلق، مثل الطب، والهندسة، والإدارة، وفهم النفس، والتقنية، وغيرها من العلوم التي تحقق نفعاً للأمة وتساهم في عمارة الأرض.

مسألة (115): ما علاقة العلم بالإيمان العملي؟

الجواب: العلم هو وسيلة لتحقيق الإيمان العملي، لأنَّ المريد الذي يعلم حاجات الناس ويعمل على سدها، يكون سبباً في تحقيق السلام الاجتماعي والإصلاح، وهو بذلك يُترجم إيمانه إلى عمل نافع، فيكون مؤمناً عاملاً، مرشداً صادقاً.

مسألة (116): كيف يكون العلم جزءاً لا يتجزأ من الإرشاد؟

الجواب: ألا يكتفي المرشد بالوعظ، بل يقدم حلولاً واقعية لمشاكل الناس، ويفهم قضاياهم، ويعينهم في دينهم ودنياهم، وهذا لا يتحقق إلا بالعلم الواسع، والفهم العميق، والاطلاع على مستجدات العصر.

مسألة (117): ما دور الخلفاء في غرس حب العلم في قلوب المريدين؟

الجواب: الخلفاء مسؤولون عن تربية المريدين على محبة العلم، وتوجيههم للتعلم في جميع المجالات النافعة، ليكونوا حكماء العصر، ومرشدي الأمة، يجمعون بين نور الإيمان وسعة المعرفة، فيحققون رسالة الطريقة الكسنزانية في نشر النور والسلام.

مسألة (118): كيف تعرف أنك تحقق التوازن بين الإيمان والعلم؟

الجواب: يعرف المريد ذلك إذا وجد نفسه يزداد علماً ينفع الناس، ويزداد في قلبه نوراً وخشية لله، فيخدم مجتمعه بعلمه، ويدعو إلى الله بحكمته، ويكون مُأمناً للناس على أرواحهم ودنياهم، كما هو مُأمّن على دينهم وآخرتهم.



الفصل الخامس

الإيمان والعمل الصالح نبض الروح وسر الوصول

رسالة [26]: الإيمان والعمل.. جانبان لا ينفصلان

يا أحمائي، إنّ الإيمان ليس كلمة تُقال، ولا مشاعر تسري في القلب دون أثر، وإنّ العمل ليس حركة ظاهرية تنعزل عن نية القلب. فمن ظنّ أنّه يبلغ المقامات بالإيمان دون عمل، فقد سقط في الوهم، ومن ظنّ أنّ العمل وحده يكفي دون إيمان صادق، فقد انشغل بالقشور عن الجوهر.

يا مريد، قد رأينا في الطريق من يُكثر من الذكر والتعبد، ويظن أنّ هذا وحده يكفي، فتراه منقطعاً عن نصرة الحق، بعيداً عن السعي في مصالح الخلق، متكئاً على أنّ قلبه عامرٌ بالإيمان، لكنّه لا يُترجم ذلك في سلوكه. ورأينا من يغرق في العمل، يبني ويصلح ويسعى، لكنه يغفل عن نور الإيمان، فلا يتزكى قلبه، ولا يسمو بعمله إلى مقام الإخلاص. وكلاهما ناقص، وكلاهما قد قطع جناحاً من جناحيه وظن أنّه يُخلّق.

يا مريد، اعلم أنّ الله لم يجعل الإيمان مسألة قلبية فقط، بل قرنه بالعمل الصالح في كل آية تقريباً، فكيف يفصل بينهما من يريد الحق؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾⁽¹⁾. فكما لا يُقبل العمل بلا نية صادقة، لا يُقبل الإيمان بلا أثر واضح. فإيمانٌ بلا عمل، دعوى فارغة، وعملٌ بلا إيمان، جهدٌ بلا روح.

يا مريد، إنّ مرضاً خطيراً قد تسلل إلى قلوب بعض السالكين، فمنهم من يفصل الإيمان عن العمل، فيظن أنّ الخلاص في الذكر والمناجاة وحدهما، ولو كان خُلّقه فظّاً، أو متكاسلاً. ومنهم من

يجعل العمل هو كل شيء، فيقيس الناس بأفعالهم الظاهرة، ويظن أنّ النية لا وزن لها، فيثقل عليهم، ويقسو على نفسه. وكلاهما انحراف عن جادة الطريق. فاحذروا أن تكونوا من هؤلاء أو أولئك.

يا مريد، الإيمان يجب أن ينير العمل، والعمل يجب أن يترجم الإيمان. لا يكفي أن تقول: "أنا مؤمن"، بل يجب أن يرى أثر ذلك في سلوكك، في صدقك، في إحسانك، في تعاملك مع الناس، في سعيك لنشر الخير، في ترفعك عن الشر. ولا يكفي أن تعمل أعمال الخير، وأنت ترى نفسك منفصلاً عن الله، كأنك تؤدي وظيفة لا عبادة، أو كأنك تضع ميزاناً للناس دون أن تزن نفسك أولاً.

يا مريد، إنّ الإيمان الذي لا يُنتج عملاً، إيماناً خادعاً، والعمل الذي لا يُغذى بالإيمان، حركة خاوية. فلا تفاضلا بينهما، ولا تظنّوا أن أحدهما يغني عن الآخر. فإنّ القلب الذي يحب الله حقاً، لا يرضى أن يكون إيمانه بلا أثر، والنفوس التي تريد الحق، لا تكتفي بالعمل دون أن تتزكى بنور اليقين.

ويا مريد، احفظوا وصيتي، فإنّ في الطريق خلفاء قد أقامهم الله ليحملوا الأمانة، فإن وجهوا لكم النصيحة، فاستمعوا إليهم، وإن حثوكم على السعي في العمل كما تطلبون الإيمان، فلا تترددوا. فإنّما الخليفة مرآة للمريد، يريه ما قد يغفل عنه، ويوجهه لما يصلح حاله. فلا تجعلوا من أنفسكم حكاماً على الطريق، بل كونوا متواضعين للحق، أينما تجلّى، وعلى لسان من نطق.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (119): كيف يوازن المريد بين الإيمان والعمل ؟

الجواب: أن يجعل إيمانه دافعاً للعمل، ويجعل عمله شاهداً على صدق إيمانه. فيعيش بحضور القلب مع الله، ويراقب نيته في كل عمل. فلا يكتفي بذكر الله ولسانه فقط، ولا بالعبادة الظاهرة، بل يترجم إيمانه إلى خلق حسن، ونفع للخلق، وإحسان في كل معاملة. فكما أنّ الصلاة بدون حضور قلب ناقصة، كذلك الإيمان الذي لا يثمر عملاً صالحاً، إيمان غير مكتمل.

مسألة (120): كيف يواجه المريد فتور العمل مع قوة إيمانه؟

الجواب: إذا وجد المريد في قلبه نور الإيمان، لكنّه فتر عن العمل، فعليه أن يتفقد همته ويطلب مدد الصادقين، ويلزم صحبة الخلفاء الذين يوقظون همم السائرين. فإنّ الإيمان نور، والعمل حركة، وإذا ضُغف أحدهما، احتاج إلى من يعينه. كما عليه أن يجدد نيته، ويعلم أنّ العمل لله لا لنفسه، فيُحيي بذلك عزيمته.

مسألة (121): ما أثر الفصل بين الإيمان والعمل على السالكين ؟

الجواب: إذا شاعت فكرة الفصل بين الإيمان والعمل في صفوف المريدين، فترت همم الجماعة، وضعفت روح الخدمة، وفسدت التربية، وصار الطريق طقوساً لا حياة فيها. فلا بد أن يكون هناك تناصر بين الإيمان الذي يزكي القلوب، والعمل الذي يبني الطريق وينفع الخلق، حتى يكون المجتمع السالك ربانياً متوازناً، يعيش الإسلام روحاً وعملاً.



رسالة [27]: العمل الصالح بين الإخلاص والرياء

يا أحابي، إنّ كل عملٍ بلا إخلاصٍ كجسدٍ بلا روح، مهما بدا حسناً في أعين الناس، فإنّه عند الله لا وزن له. فإنّما يُقبل العمل إذا خرج من قلبٍ صادق، لا يطلب به صاحبه سوى مرضاة الله. كم من عملٍ قليلٍ باركه الإخلاص، فرفعه إلى أعالي المقامات، وكم من عملٍ عظيمٍ لوّثته النية، فصار هباءً لا يُذكر.

يا مريد، قد يُخدع المرء فيرى نفسه مخلصاً. فقد يعمل العمل الصالح، لكنّه يلتفت إلى أعين الخلق، يستبشر بثنائهم، ويأنس برؤيتهم له، ويشعر في قلبه بلذة الإعجاب، ثم يقول: "إني مخلص". ولكن الإخلاص ليس أن تظن نفسك مخلصاً، بل أن تعمل ولو لم يرك أحد، ولو لم يمدحك أحد، ولو لم يعترف بك أحد، وأن تبقى على ذلك مطمئناً لا تنتظر شيئاً سوى القبول عند الله.

يا مريد، الرياء داءٌ خفي، يتسلل إلى القلب دون أن يُشعر صاحبه. قد يكون في صورة رغبةٍ في رضا الناس، أو طلباً للثناء، أو حرصاً على موضع في قلوب الخلق. وقد يكون أعمق من ذلك، حين يتحول إلى عبادةٍ للأثر، بحيث يصبح همّ العبد أن يرى أثر عمله، ويريد أن يلمس ثماره سريعاً، فإن لم يجدها، فترت همته وخدمت عزيمته. وكأنّما كان يعمل لنفسه، لا لربه.

يا مريد، اعلّموا أنّ أعظم ميزانٍ للإخلاص هو ما في قلوبكم بعد العمل، فإن وجدتم فرحاً بالثناء، أو جزعاً من فقدان الاعتبار، أو اضطراباً حين لم يُذكر اسمكم، ففتشوا في النية، فإنّها لم تصف بعد. وإن وجدتم راحةً ورضاً سواء مدحك الناس أو لم يلتفتوا إليكم، فاعلموا أنكم على الطريق.

يا مريد، إنّ الإخلاص مجاهدةٌ، لا يكفي أن يتمنى الإنسان أن يكون

مخلصاً، بل عليه أن يراقب نفسه، ويحاسبها، وينقيها كل يوم. لا تقولوا: "قد أخلصنا"، بل قولوا: "اللهم طهر قلوبنا"، فإنَّ العبد مهما علا، يبقى محتاجاً لأن يفتش في دوافعه، وينقي نيته كما ينقي المرء الماء من الشوائب.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (122): كيف يحفظ المريد صفاء نيته مع كثرة الثناء؟

الجواب: يحافظ المريد على صفاء نيته بالمراقبة الدائمة، ومحاسبة النفس بعد كل عمل، مع الإلحاح في الدعاء أن يرزقه الله الإخلاص. كما يجب عليه أن يتذكر أنَّ القبول عند الله هو الغاية، لا ثناء الناس ولا شهرتهم. ومن علامات ثبات النية أن يبقى العبد مجتهداً في عمله، سواء أثنى عليه الخلق أم لم يلتفتوا إليه.

مسألة (123): ما أثر الإخلاص الحقيقي في عمل المريد؟

الجواب: إن الإخلاص الحقيقي يجعل قليل العمل مباركاً، ويرفعه الله في درجات القبول، ويجعل منه سبباً في صلاح القلب وطمأنينة النفس. والإخلاص يثمر في العبد تواضعاً، وبُعداً عن رؤية النفس، واستواء المدح والذم عنده، فيكون عمله نوراً له في الدنيا، وثقلاً في ميزانه يوم القيامة.



رسالة [28]: إتقان العمل.. "إنما الإحسان بالتمام"

يا مريد، إنَّ العمل أمانة، وإن كنت تريد أن تكون قريباً من الله، فكن صادقاً فيما وُكِّلَ به، فإنَّ الله يحب من يعمل بإخلاص وإتقان، ولا يرضى لعباده أن يكونوا مهمِّلين، أو أن يُنجزوا أعمالهم بغير اكتمال. قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف جعل الله العمل موضع نظره، فكيف يليق بالعبد أن يُهمله أو يُؤديه بغير إحسان؟

يا مريد، إنَّ بعض الناس يظنون أنَّ العبادة هي فقط في الصلاة والصيام، وينسون أنَّ العمل الصادق عبادة، وأنَّ إتقان الصنعة من أعظم القربات. فإن شئت أن ترى بركة الله في حياتك، فانظر إلى عملك، هل تؤديه بإخلاص؟ هل تضع فيه روحك كما تضع فيها عباداتك؟ فإن كنت في مصنع أو معملٍ أو متجرٍ، فلا تقل: "إنَّه مجرد عملٍ أقتات به"، بل اجعله وسيلةً لتقربك إلى الله، فاجعل لكل حركةٍ نيةً صالحة، ولكل جهدٍ إخلاصاً، فإنَّ الله يُبارك في يدٍ تعمل بصدق. قال النبي ﷺ: ﴿إِن اللَّهَ يَحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ﴾⁽²⁾. فانظر كيف جعل الإتقان محبوباً عند الله، وكيف أنَّ العمل الناقص ليس مقبولاً عنده.

يا مريد، إياك أن تقول: "لن أحسن في عملي، ما دمت لا أُقدَّر عليه"، فإنَّك لا تعمل للبشر، ولكِنَّك تعمل بما يرضي الله. فإن كنت لا ترى ثوابك في الدنيا، فستجده يوماً حيث لا ينفع الندم. وإن كنت

1 - [التوبة: 105]

2 - مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: سعيد السناري، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1434 هـ،

ج6 ص307.

ترى أنّ العمل مجرد جهدٍ يُبذل بلا قيمة، فاعلم أنّ كل حركةٍ صالحةٍ تُكتب لك، وكل يدٍ تصنعُ بإتقان، فإنّها يدٌ تكتبُ في صحيفة حسناتك. فمن عوّد نفسه على الإهمال، صار الإهمال طبعاً له، ومن عوّد نفسه على الإتقان، صار الإتقان له عادة وطريقاً إلى البركة.

روينا أنّ أحد العارفين كان يصنع الفخار، ف قيل له: «لَمْ تحرص على أن يكون متقناً، ولن يراه إلا المشترون؟»، فقال: «إني لا أتعنه لأجل الناس، بل لأجل أن أعتاد على الإحسان في كل شيء، فإن كانت يدي تعتاد الإهمال، فكيف يطمئن قلبي إلى الله؟»، فكان يرى أنّ اليد التي تعمل بإتقان، تنعكس على القلب، فيصبح كله نوراً وصفاء.

يا مريد، إنّك حين تعمل في مصنع، أو تدير آلة، أو تصنع شيئاً، فأنت تضع لبنة في بناء المجتمع، فإن أحسنت، كان الخير عاماً، وإن أسأت، كان الضرر ممتداً. فإن كنت تظن أنّ عملك صغيرٌ، فانظر كيف أنّ قطرة الماء لا تكون شيئاً وحدها، ولكنها إذا اجتمعت، صنعت نهراً. وإن كان عملك متكرراً كل يومٍ، فلا تملّ منه، فإنّك إن جعلت الإحسان فيه عادة، صارت روحك نقية، وصرت ترى في العمل معنى أعمق من مجرد الجهد.

يا مريد، لا تفرّق بين الأعمال، فإن كانت يدك تصنع شيئاً، فاصنعه بإحسان، وإن كنت في معملك، فكن أميناً على ما وُكل إليك، ولا تقل: «لن يراني أحد»، فإنّ عين الله تراك، وإنّ البركة تُعطى لمن كان صادقاً، لا لمن كان يعمل بعين المراقبة لا بعين الإتقان. فمن اتخذ العمل وسيلة للرزق فقط، فاته سرُّ العبودية فيه، ومن رآه وسيلة لإرضاء الله، فتحت له أبواب البركة.

يا مريد، إنّ العامل الصادق لا ينتظر الثناء من الناس، ولكنه ينتظر القبول من الله تعالى، فإن أردت أن يكون عملك شاهداً لك يوم

القيامة، فأدّه كما تُحب أن تراه مكتوباً في صحيفتك، فإنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يبارك لمن يتهاون في واجبه. فإن كنت تدير آلة، فأدرها كما لو أنّك تحرس أمانة، وإن كنت تصنع مُنتجاً، فاصنعه كما لو أنّك تصنعه لنفسك، فإن كنت تأخذ الأجر، فلا تأخذ حق غيرك معه بالتقصير والإهمال.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من يظن أن الطريق إلى الله هو فقط في الذكر والعبادة، وينسى أن العمل الصالح جزء من السير، وفيهم من لم يدرك بعد كيف يكون الإحسان في كل شيء، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ التاجر إذا كان صادقاً، فهو في طريق الله، وإنّ الصانع إذا كان مُتقناً، فهو في عبادة، وأنّ من عمل بما يُرضي الله، فقد نال الخير ولو كان في موضع بسيط.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ العبرة ليست في مكان العمل، ولكن في كيف يُؤدى العمل، وأنّ اليد التي تعمل بصدق، تكون يداً مباركة، وأنّ الذي يُخلص في عمله، يبارك الله في رزقه، ولو كان قليلاً، وأنّ من يستهين بعمله، فقد أضاع على نفسه نوراً كان يمكن أن يرفع درجته. فإنّ العبد إن لم يكن أميناً في عمله، فكيف يكون أميناً في سيره إلى الله؟ وإن لم يكن صادقاً في صنّعه، فكيف يكون صادقاً في طلبه؟

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (124): ما معنى إتقان العمل في الطريقة الكسنزانية؟

الجواب: إتقان العمل هو أداء المهام والوظائف بإخلاص وصدق، بحيث يرضى العامل أن يعرض عمله على الله تعالى، لأنه يعلم أن الله يرى عمله، فلا يصح أن يعمل المريد عملاً ناقصاً أو مُهملاً، بل يجب أن يُحسن في كل ما يقدمه من جهد.

مسألة (125): لماذا يُعد العمل المهني عبادة عند أهل الطريق؟

الجواب: لأنّ العمل الصالح، إذا أُدي بنية خالصة لوجه الله، صار عبادة. فالصانع في مصنعه، والتاجر في سوقه، إذا اتقنوا العمل وصدقوا في تعاملهم، كانوا في عبادة لا تقل شأنًا عن الصلاة أو الصيام، كما قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ﴾⁽¹⁾.

مسألة (126): ما أثر الإهمال في العمل على سلوك المريد؟

الجواب: الإهمال في العمل يغرس في النفس عادة التهاون، ويبعد القلب عن مقام الصدق والإحسان. ومن عوّد يده على الإهمال، سرى الإهمال إلى قلبه، فكيف يكون أميناً في سيره إلى الله إذا لم يكن أميناً في أداء واجباته الدنيوية؟

مسألة (127): كيف يُثمر إتقان العمل في بركة الرزق؟

من أتقن عمله وأخلص في صنعته، بارك الله في رزقه، ولو كان قليلاً، وجعل له القبول بين الناس، أما من قصّر واستهان بعمله، فقد حجب عن نفسه بركة الرزق، وحرّم قلبه من نور الصدق في الطلب.

1 - أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان - ت زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1،

2000م، حديث رقم [5311]، ج4 ص334.

مسألة (128): ما واجب المريد إذا أُوكل إليه عمل دنيوي؟

الجواب: واجب المريد أن يؤدي العمل بإحسان، سواء كان في مصنع أو متجر أو إدارة، وألا ينتظر الثناء من أحد، بل يعمل كما يحب أن يرى عمله في صحيفته يوم القيامة، منتظراً القبول من الله، لا من الخلق.

مسألة (129): ما الفرق بين من يعمل بنية الرزق فقط، وبين من يعمل بنية القرب؟

الجواب: من يعمل بنية الرزق فقط، يحصل على رزقه فحسب، أما من يعمل بنية القرب من الله، فإن عمله يُكتب له عبادة، ويُفتح له باب البركة، ويرتقي في مراتب القرب، لأن نيته جعلت عمله وسيلة لرضا الله، لا لطلب الدنيا فقط.

مسألة (130): لماذا على المريد أن يكون قدوة في إتقان العمل؟

الجواب: لأن المريد يُمثّل الطريقة، وأعماله مرآة لسلوكه، فإذا أتقن عمله صار دعوة صامتة إلى الله، وإذا قصّر أو تهاون، أساء إلى نفسه وإلى الطريق، فالعبرة ليست بمقام المريد، بل بأمانته فيما وُكِّل إليه من عمل.

مسألة (131): كيف يُعلّم الخلفاء المريدين مقام الإحسان في العمل؟

الجواب: الخلفاء يُذكّرون المريدين أنّ العمل جزء من السير إلى الله، وأنّ التاجر الصادق، والصانع المتقن، كلاهما في عبادة، وأنّ العمل أمانة سيُسألون عنها يوم القيامة، فيغرسون فيهم أنّ الإحسان في العمل هو باب البركة، وطريق الفتح.



الفصل السادس

خدمة الناس في الطريقة ميدان التربية وسر التزكية

رسالة [29]: كيف يكون المرید مفتاحاً للخیر؟

یا مرید، اعلم أنّ خدمة الناس لیست عبثاً ولا تکلیفاً یُلْقَى علی عاتقک، وإنّما هی بابٌ من أبواب الفتح، ومفتاحٌ من مفاتیح البركة، فمن فُتِحَ له باب العون لغيره، فقد فُتِحَ له بابٌ إلى الله. وإنّ من أعظم دلائل صفاء القلب أن یشعر صاحبہ رَحِماً بالخلق، ساعياً فی حاجاتهم، خفیفاً علی نفوسهم، لا یرى نفسه خیراً منهم، ولا یرى خدمتهم نقصاً له. قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾. فمن أراد محبة الله، فعليه أن یشعر من المحسنين، ومن أکرم الإحسان أن تكون عوناً للناس لا عبثاً علیهم.

یا مرید، إنّ من الناس من یظن أنّ القرب من الله یشعر بکثرة الذکر فقط، وینسى أنّ خدمة الخلق من أعظم القربات. فإن شئت أن ترى مقامک عند الله، فانظر: هل أنت ممن یسارع إلى نجدة إخوانه؟ هل تُیسر علی غیرک أم تُثقل علیهم؟ فإنّ من أراد وجه الله تعالى، سعى فی مصالح عباده، وكان للناس کالغیث، أينما وقع نفع. قال النبی ﷺ: ﴿أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا﴾⁽²⁾، فانظر كيف جعل النبی أحب الأعمال إلى الله ما كان نفعه متعدياً إلى الناس، لا ما كان مقصوراً علی صاحبہ.

یا مرید، إنّ من دلائل صفاء القلب أن یشعر صاحبہ سعادته فی عون غیره، لا أن یرى نفسه أحقّ بکل خیرٍ منهم، فإن كنت لا تفرح إلا بنعمةٍ تصیبک وحدک، فاعلم أنّ فی قلبک نقصاً، وإن كنت تسعد

1 - [البقرة: 195]

2 - الطبرانی، المعجم الصغیر، تحقیق: محمد شکور، المكتب الإسلامی، بیروت، ط1،

1405هـ، ج2 ص106.

برؤية الخير عند غيرك، فاعلم أن الله قد أودع فيك نوراً من رحمته. فلا تبخل بما أعطاك الله، فإنّ المال يزول، ولكن الأثر يبقى، وإنّ الجاه يضمحل، ولكن الذكر الطيب يستمر.

يا مريد، إياك أن ترى خدمة الناس نقصاناً من قدرك، أو أن تظنّ أنّ العبد كلما علا، استغنى عن مد يد العون. فإنّ من رفعه الله حقاً، جعله للناس ملجأً، ومن أهانه، جعله ثقيلاً على قلوبهم. فاختبر لنفسك مقاماً يليق بها، فإن شئت أن تكون في عليين، فاجعل يدك مبسوطة بالعطاء، وإن شئت أن تكون في أسفل المقامات، فامنع الخير عن الناس، وانتظر عاقبة الشح والبخل، قال تعالى: ﴿هَآأَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ﴾⁽¹⁾.

يا مريد، إنّ بعض الناس لا يمتنع عن خدمة غيره بلسانه، ولكنه حين يطلبه أخوه في حاجة، تراه متثاقلاً، أو يظهر الضيق، أو يمنّ بعطائه، فيذهب الله بركة عمله. وإنّ العبد قد يُعين أخاه بكلمة أو نظرة أو ابتسامة، فيكون ذلك سبباً في تفريج كربته لا يعلمها إلا الله. فكن ممن يُسهلون حياة الناس، لا ممن يُعقدونها، وممن يُريحون القلوب، لا ممن يُثقلونها.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ خدمة الناس هي جزء من الطريق إلى الله تعالى، وفيهم من يظن أنّ العمل الصالح مقتصر على العبادات الفردية دون أن يكون للناس نصيب منه. فكونوا لهم مرشدين، علّموهم أنّ الصدقة ليست مالاً فقط، بل هي تبسّم في وجه أخيك، أو أن تُنير طريقاً لمتحير، أو أن

تُفَرِّجُ عَنْ إِنْسَانٍ كَرْبَةً وَهُوَ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْرُجُ مِنْهَا.

يا خلفاء الطريقة، ارشدوا المريدين إلى أن الطريق إلى الله تعالى ليس في أن يطلبوا لأنفسهم، بل في أن يُعْطُوا، وليس في أن يسألوا لأنفسهم، بل في أن يُغْنُوا غيرهم، فإنَّ الكريم من جعل نفسه مفتاحاً للخير، ولم ينتظر الجزاء من أحد، بل يجعل عمله خالصاً لله. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلِّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (132): ما هو ميزان المريد في معرفة حظه من هذا المقام؟

الجواب: الميزان هو سرور القلب بنفع الغير، فإن كنت تفرح عندما تُدخل على أخيك سروراً، أو تقضي له حاجة، أو تيسر عليه أمراً، فهذا علامة على أنَّ قلبك سليم، موصول بالرحمة. وإن وجدت في نفسك ثقلاً أو ضيقاً عند حاجة الناس إليك، فاعلم أنَّ في قلبك حجاباً عن هذا المقام الرفيع.

قال الإمام الجنيد البغدادي (قدس سره): «العارف سَخِيٌّ، لَا يُبَالِي بما يُؤْخَذُ منه، بل يرى ما يُعْطِيهِ لله، زكاة لما أودعه الحق عنده»⁽¹⁾.

مسألة (133): كيف يتجنب المريد المنّ والأذى في العطاء والخدمة؟

الجواب: إِيَّاكَ، يا مريد، أن تفسد عملك بالمنّ أو الأذى، فإنَّ العطاء إذا شابه مَنْنً أو تعاضماً، كان حجاباً عن الله، لا قرينة إليه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾⁽²⁾.

1 - بتصرف: أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريعة، دار

الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1953، ص152.

2 - [البقرة: 264]

فاجعل خدمتك للناس خالصة لوجه الله، ولا تطلب بها جزاءً ولا شكوراً، فإن من خدم الناس ليُذكر أو ليُعظم، لم يعرف بعدُ الطريق إلى الله، ومن خدمهم لله، رفعه الله إلى مقام القرب، وجعله مفتاحاً للخير أينما حلّ.

مسألة (134): هل تنحصر خدمة الناس في الأعمال الكبيرة، أم أن للمرء حظاً منها ولو بأقل القليل؟

الجواب: يا مريد، اعلم أنّ باب الخدمة لا يُغلق في وجه أحد، ولا يُشترط فيه عِظَمُ العطاء، بل قد تكون الكلمة الطيبة، أو النظرة الحانية، أو الابتسامة الصادقة، أعظم أثراً عند الله من مالٍ كثير. قال النبي: ﴿اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِيكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ﴾⁽¹⁾. فلا تحقرن شيئاً من المعروف، مهما صغر في عينك؛ فإن الله يرفع به الدرجات، ويُفرّج به الكُربات.



1 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [6174]، ج5 ص2395.

رسالة [30]: خدمة الناس على اختلاف مللهم؟

يا مريد، اعلم أنّ خدمة الناس ليست قاصرة على أهل مِلَّتِكَ، ولا محصورة فيمن يشبهك، فإنّما الرحمة واسعة، ومن ضيّقها فقد ضيّق على نفسه باب القبول عند الله. فالمُحَسِّن لا يسأل عن هوية من يُحَسِّن إليه، والرحيم لا يقيّد رحمته بجماعةٍ دون أخرى، وإنّما يبذل الخير حيث وُجد الإنسان، فإنّ الله لم يخلق البشر ليكون بعضهم عوناً لبعضهم فقط، بل خلقهم ليكون بعضهم رحمة لبعضهم.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف جعل البرّ بالأهلين والجيران وأهل الممل الأخرى من صور العدل والإحسان، فمن أراد أن يكون قريباً من الله، فليكن قريباً من عباده، لا يفرّق بينهم إلّا بالتقوى والعمل الصالح.

يا مريد، إنّ الله لم يأمرنا أن نعامل الناس على حسب معتقدهم، وإنما أمرنا أن نعاملهم على حسب إنسانيتهم. فالمحتاج لا يُسأل عن معتقده قبل أن يُعان، والمظلوم لا يُنظر في هويته قبل أن يُنصر، والجائع لا يُقال له: «أي دينٍ تتبع؟» قبل أن يُطعم. فإن كنت ترى في أخيك الإنسان نفساً كروحك، وكرامة ككرامتك، فلقد فهمت معنى الخلق، وإن كنت لا ترى في الناس إلّا ألقابهم، فقد حجبت نفسك عن نور المحبة الصافية.

يروى أنّ النبي كان إذا مرّ بجنّازة، وقف لها، ف قيل له: «يا رسول الله، إنها جنّازة يهودي!»، فقال: ﴿أليست نفساً؟﴾⁽²⁾. فكان يُعلّمنا

1 - [الممتحنة: 8]

2 - البخاري، صحيح البخاري، ج1 ص442.

أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَحْمِلُ فِي نَفْسِهِ كَرَامَةً أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِيهِ، وَأَنَّ حَقَّهُ فِي
الاحترام لَا يُنْزَعُ عَنْهُ لِأَنَّهُ يَخْتَلِفُ عَنَّا.

يَا مُرِيدُ، إِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ حُبُّ الْخَيْرِ مَقِيداً بِمَنْ يَشْبِهُكَ فَقَطْ، فَإِنَّ الْخَيْرَ
نُورٌ يَشْعُ، لَا يُحْبَسُ دَاخِلَ فِتَّةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ. فَإِنْ وَجَدْتَ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى
مُسَاعَدَةٍ، فَقَدِّمَهَا، وَإِنْ رَأَيْتَ مُحْتَاجاً، فَأَعْنِهِ، وَلَا تَسْأَلْ عَنْ دِينِهِ وَلَا
طَائِفَتِهِ، فَإِنَّمَا يُرْفَعُ الْعَبْدُ عِنْدَ اللَّهِ بِإِحْسَانِهِ، لَا بِمَنْ قَدَّمَ لَهُ إِحْسَانَهُ. فَإِنْ
كُنْتَ تَخْدُمُ النَّاسَ لَوَجْهِ اللَّهِ، فَلْيَكُنْ عَوْنُكَ مُمْتَدّاً لِكُلِّ خَلْقِ اللَّهِ، وَإِنْ
كُنْتَ تَخْدُمُهُمْ لَتَنَالِ مِنْهُمْ شَيْئاً، فَقَدْ فَاتَكَ سِرُّ الْعَطَاءِ الصَّادِقِ.

يَا مُرِيدُ، إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَا يُقْصِرُونَ الْخَيْرَ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ فَقَطْ، بَلْ
قَدْ يُعَادُونَ غَيْرَهُمْ، وَيُرُونَ أَنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَجِبُ إِلَّا لِمَنْ وَافَقَهُمْ، فَاحْذَرِ
أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ الضَّيِيقَةَ لَا تَرَى فِي النَّاسِ إِلَّا اخْتِلَافَاتِهِمْ،
أَمَّا الْقُلُوبُ الْوَاسِعَةُ، فَتَرَى فِي النَّاسِ إِنْسَانِيَّتَهُمْ، وَتَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ
فِي جَوْهَرِهِ وَاحِدٌ، مَهْمَا اخْتَلَفَتْ الطَّرِيقُ.

يَا خُلَفَاءَ الطَّرِيقَةِ، إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مُرِيدِينَ، فِيهِمْ مَنْ نَشَأَ عَلَى أَنَّ
الْخَيْرَ لَا يُعْطَى إِلَّا لِمَنْ يَشْبِهُهُ، وَفِيهِمْ مَنْ لَا يَزَالُ يَظُنُّ أَنَّ الْفَضْلَ لَا
يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِهِ، فَكُونُوا لَهُمْ مُرْشِدِينَ. عَلِّمُوهُمْ أَنَّ
الْعَبْدَ لَا يُعْرِفُ بَدِينَهُ فَقَطْ، بَلْ يُعْرِفُ بِخُلُقِهِ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ نَافِعاً لِعِبَادِ
اللَّهِ، كَانَ مُبَارِكاً أَيْنَمَا حَلَّ، وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَى النَّاسِ، ضَيَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

يَا خُلَفَاءَ الطَّرِيقَةِ، اجْعَلُوا الْمُرِيدِينَ يَفْهَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلِ الرَّحْمَةَ
مَحْدُودَةً، بَلْ جَعَلَهَا مَمْدُودَةً، وَأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا صَالِحًا،
فَلْيَكُنْ لِلنَّاسِ نَافِعًا، لَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ إِلَّا بِمَقْدَارِ حَاجَتِهِمْ، وَلَا يَمَيِّزُ بَيْنَهُمْ
إِلَّا بِمَقْدَارِ اسْتِحْقَاقِهِمْ لِلْخَيْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يَحِبُّ وَمَنْ
لَا يَحِبُّ، وَلَكِنَّهُ لَا يُعْطِي الرَّحْمَةَ إِلَّا لِمَنْ وَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ خَلْقِهِ.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَكَ فَارْتَقَى.



مسألة (135): ما هو أثر خدمة الناس على اختلافهم في تزكية النفس؟
الجواب: أنّ خدمة الناس جميعاً، دون تفريق، تُطهّر قلبك من أمراض النفس، من كبر، وتعصب، وضيق، وتوسّع مدارك الرحمة في روحك. فهي مجاهدة عظيمة، تُربي فيك صفة الإحسان لوجه الله، وتجعلك عبداً ربانياً كما وصف النبي ﷺ: ﴿الخلق كلهم عيالُ الله، وأحبُّ خلقه إليه أنفعهم لعياله﴾⁽¹⁾. فمن خدم الخلق جميعاً، دخل تحت وصف المحسنين الذين يحبهم الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽²⁾. وتكون تلك الخدمة باباً لتهديب النفس، ورفعة المقام، وبركة في العمر والعمل.

مسألة (136): هل يجوز للمريد أن يمنع خيره أو إحسانه عن شخص بسبب ماضيه أو خصومة سابقة؟

الجواب: لا يجوز للمريد أن يحبس الخير عن أحد لأنّ قلبه ممتلئ بالخصومة أو العداوة، بل عليه أن يرتقي إلى مقامات الصفح والتجرد من حظ النفس. الواجب عليه أن يكون من أهل العدل، فلا يمنع الإحسان عمن يستحقه، ولو كان في خصومة معه. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾⁽³⁾. بل إنّ من دلائل كمال السلوك أن يصل الإنسان من قطعه، وأن يعطي من حرمة، وأن يعفو عمن ظلمه، كما جاء في الحديث الشريف قول النبي ﷺ: ﴿لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَتُهُ وَصَلَّاهَا﴾⁽⁴⁾.

1 - الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2،

1415 هـ، ج10 ص86.

2 - [البقرة: 195]

3 - [المائدة: 8]

4 - صحيح البخاري، مصدر سابق، حديث رقم [5996]، ج8 ص18.

مسألة (137): ما أثر خدمة المختلفين دينياً أو مذهبياً في إظهار سماحة الطريقة؟

الجواب: خدمة جميع الخلق، مهما اختلفت أديانهم أو مذاهبهم، تُجسّد روح الرحمة التي جاء بها الإسلام، وتُظهر سماحة الطريقة وتجعلها مثلاً يُحتذى. إذا رأى الناس أنّ المريدين لا يُفرّقون في رحمتهم وعدلهم بين إنسان وإنسان، اطمأنت قلوبهم، ورغبوا في معرفة السر الذي أخرجهم من ضيق النفس إلى سعة القلب.

السلوك الصادق والعمل المخلص هما أعظم وسائل الدعوة إلى الله، وخدمة الناس جميعاً هي أعظم برهان على صدق المريد في سيره إلى الله تعالى.



رسالة [31]: كيف يكون المريد رحمة للجميع؟

يا مريد، إِنَّ طريق الله ليس طريقاً ضيقاً، ولا يسلكه إلا من نظر إلى الخلق بعين الرحمة، فلم يحصر إحسانه في قومه، ولم يجعل الخير مقيداً بأهل ملته، بل فهم أَنَّ كل إنسانٍ له حَقٌّ في البر، وأنَّ كل قلبٍ يستحق الرحمة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنْطَعِمُكُمْ لِيُوجِهَ اللَّهُ لَا نُريدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾⁽¹⁾. فأين الذين يطلبون وجه الله في إحسانهم، دون أن يسألوا عن هوية من أحسنوا إليه؟ وأين الذين يعطون ولا يفرقون بين مستحق ومستحق، لأنَّهم يرون في كل إنسانٍ صورة من خلق الله؟

إِنَّ من علامات صدق العطاء ألا تنتظر مقابله، فإن كنت لا تُحسِن إلا لمن تعرفه، ولا تعين إلا من يشبهك، فاعلم أَنَّ نفسك لا تزال حبيسة الأنا، فإن من أخلص لله، جعل عطاياه بلا حدود، ورحمته بلا قيود، ومدَّ يده لكل من يحتاج إليها، لا يسأل عن اسمه، ولا يتحقق من دينه، فإنما يسأل: هل يحتاج إلى العون؟ فإن كان الجواب: نعم، فقد وجب العطاء. يا مريد، اعلم أَنَّ الله يختبر عباده في رحمتهم بالخلق، فمن ضاقت رحمته، حُرِم من عطاء الله، ومن وسعت رحمته، وسَّع الله عليه. فإن شئت أن ترى نصيبك من الخير، فانظر إلى نصيبك من خدمة الناس، هل أنت ممن يجعلون الإحسان عادة، أم ممن يحسبون العطاء ديناً يُدفع؟ قال النبي ﷺ: ﴿في كل كبدٍ رطبةٍ أجر﴾⁽²⁾، فلم يقل: في كل مسلم، ولا في كل مؤمن، بل جعل الخير عامّاً، ليشمل كل كائنٍ حيٍّ يحتاج إلى الإحسان.

1 - [الإنسان: 9]

2 - صحيح البخاري، مصدر سابق، حديث رقم [2234]، ج2 ص833.

يا مريد، احذر أن تجعل نفسك ميزاناً لمن يستحق الرحمة ومن لا يستحق، فإنك عبدٌ، ولست ربّاً، فإن كنت ترى نفسك مخولاً أن تمنح الخير لمن شئت، وتحجبه عن من شئت، فقد ظلمت نفسك، فإنما العبد يعطي، والله هو الذي يُجازي. فلا تبخل على عبدٍ من عباد الله ببرٍّ، فإنما أنت وسيلة، وليس العطاء ملكاً لك.

يا مريد، لا تعتقد أنّ حسن التعامل مع أهل الرسالات الأخرى ضعفٌ في الإيمان، ولا تظنن أنّ البر بالناس جميعاً يخدش يقينك، فإنّ الله أمرنا بالعدل والإحسان مع الجميع، وجعل الأخلاق دليلاً على الإيمان، لا مجرد الكلمات. فإن كنت تحب الله، فأظهر ذلك في أفعالك، واجعل قلبك واسعاً، فإنّ العبد يُعرف بكرم يده، وسعة صدره، لا بضيق تفكيره.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لا يزال يظن أنّ الخير لا يُعطى إلا لمن وافقه، وفيهم من لم يتعلم بعد كيف يكون الإنسان إنساناً قبل أن يكون تابعاً لدينٍ أو مذهب. فكونوا لهم مرشدين، علّموهم أنّ الرحمة لا تُحدّ بحدود البشر، وأنّ الإحسان لا يُقيّد بقيد وضعته العصبية، فإنما هو خلقٌ أصيل، متى ما غرس في النفس، أزهر خيراً لا يفرّق بين أحد.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الطريق إلى الله ليس في أن يُحبوا أنفسهم فقط، بل في أن يُحبوا الخير لغيرهم، وألا يكون العبد ضيقاً في عطائه، واسعاً في طلبه، فإنّ من يعطي بلا حساب، يُعطى بلا حساب، ومن يقيد رحمته، فإنما يقيد على نفسه.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (138): ما هو ميزان العطاء عند المرید الصادق؟

یا مرید، إنّ العطاء فی الطريق لیس مقیداً بقید، ولا محدوداً بجنسٍ أو ملة، بل هو انعکاسٌ لرحمةٍ أودعها الله فی قلب السالك. فمن أعطى لوجه الله، لم یسأل عن هویة من ینفعه، بل رآه إنساناً یتحقق البر. وقد قال الحق تعالی: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾⁽¹⁾. فمیزان العطاء هو الإخلاص، لا القرابة أو الانتماء، ومن جعل لله عمله، جعل الله له باباً مفتوحاً لا یغلق.

مسألة (139): لماذا یُعد حبس الإحسان عن البعض ظلماً للنفس؟

یا مرید، إذا ضاقت نفسك عن بذل الخیر، فقد ضیقت علی نفسك باباً من أبواب الرحمة الإلهیة. ومن قید عطاياه بحکم الهوى أو العصبیة، فقد حبس النور عن قلبه، وظنّ أنه یملك ما لا یملكه. فالمال ودیعة، والفضل من الله، والعبد مستخلفٌ فیه. فمن أعطى، أعطاه الله، ومن بخل، بخل علی نفسه قبل أن یبخل علی الخلق، كما قال تعالی: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾⁽²⁾.

مسألة (140): كيف یتحقق المرید بکمال التخلق بالرحمة؟

إنّ کمال الرحمة أن تنظر إلى الناس بعین المحبة لخلق الله، فلا تفرّق فی إحسانك بین مؤمن وكافر، ولا بین قریب وغریب، بل ترى الجميع عبداً لله، تستوجب إنسانیتهم برك وإحسانك. فقد كان ﷺ یقول عن الجنابة: ﴿ألیست نفساً؟﴾⁽³⁾، وما كان یتوانی عن إكرام كل من طرق بابه، وإن اختلف معه فی الدین أو الرأي. فإذا أردت أن تكون عبداً ربانیاً، فلتكن یدك مبسوطة، ولسانك حسناً، وقلبك عامراً بحب الخیر للناس كافة.

1 - [الإنسان: 9]

2 - [محمد: 38]

3 - البخاری، صحیح البخاری، ج1 ص442.

رسالة [32]: الإصلاح للأيتام

يا مريد، إنّ من دلائل الرحمة في قلبك أن يكون لك حظٌ في رعاية الأيتام، فإنّهم فقدوا من كان يحنو عليهم، وانقطع عنهم السند الذي كان يسترّ ضعفهم، فكن لهم عوضاً عن ذلك، يكن الله لك عوضاً عن كل نقصٍ في حياتك. قال الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾⁽¹⁾، فليس الخير في الكلام عنهم، بل في العمل من أجلهم، وليس البرّ في الشفقة عليهم بالكلمات، بل في المسح على قلوبهم بالفعل.

يا مريد، اعلم أنّ كفالة اليتيم ليست مجرد إعالةٍ مادية، ولكنها قبل ذلك دفءٌ نفسي، ويدٌ تمتد لتقول له: "لست وحدك". فإن كان المال يُشبع الجسم، فإنّ الحنان يُغذي الروح. ومن ظنّ أنّ اليتيم يحتاج إلى طعامٍ أكثر من حاجته إلى الحنان، فقد جهل حقيقة الرحمة. قال النبي ﷺ: ﴿أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا﴾ وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى⁽²⁾، فانظر إلى هذا الفضل، كيف جعل القرب من اليتيم سبباً في القرب من رسول الله ، وكأنّما من أراد الجنة، فليبدأ بمسح رأس يتيّم.

يا مريد، إنّ بعض الناس يُحسن إلى الأيتام يوماً، ثم ينسى شهوراً، كأنّما أراد أن يُسجّل في صحيفته صدقة ثم مضى، ولكن اعلم أنّ اليتيم لا يحتاج إلى يدٍ تمتد يوماً ثم تُسحب، بل يحتاج إلى قلبٍ يثبت معه، فلا يشعر أنّه فقد السند مرتين. فإن لم تكن قادراً على العطاء الدائم، فكن ممن يفتح لهم أبواب الخير، ويدل عليهم

1 - [البقرة: 220]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [4998]، ج5 ص2032.

أصحاب الفضل، ويسعى في حاجتهم، ولو بكلمة طيبة، فإنّ الكلمة الطيبة قد تكون حياة لمن ظنّ أن العالم قد تخلّى عنه.

يا مريد، إنّ من أراد أن يرى أثر رحمته، فليبحث عن يتيمٍ يفرّج عنه حزنه، فإنّ من مسح على رأس يتيمٍ، مسح الله تعالى عن قلبه همّه، ومن فرّج عنه كربة، جعل الله تعالى له من كل ضيقٍ مخرجاً. فإن كنت تريد أن ترى أثر رحمتك في حياتك، فابحث عن يتيمٍ تحتاجه روحك كما تحتاجك.

يا مريد، إيّاك أن تعامل اليتيم وكأنك صاحب فضلٍ عليه، فإنّ الفضل كله لله تعالى، وإنّ الله تعالى قد وضعه في طريقك ليريك ماذا تفعل، فإن أحسنت إليه، فقد أحسنت لنفسك قبل أن تحسن له، وإن جفوته، فقد جفوت باباً من أبواب الرحمة كان مفتوحاً أمامك. فكن له أخاً إن كنت صغيراً، وكن له أباً إن كنت كبيراً، وكن له عائلة إن كنت تستطيع، فإنّ اليتيم لا يحتاج إلى المال فقط، بل إلى أن يشعر أنّ له في الحياة من يعوّضه.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ كفالة اليتيم ليست اختياراً، بل هي مسؤوليةٌ أخلاقيةٌ وإنسانيةٌ واجبةٌ على كل قادر، وفيهم من لم يتعلم بعد كيف يكون سنداً لغيره. فكونوا لهم مرشدين، علّموهم أنّ الأيتام ليسوا فقط من فقدوا آباءهم بالموت، ولكن كل من فقد الدعم والسند فهو يتيمٌ في معنى من المعاني، وإنّ من أراد أن يكون لله قريباً، فليكن للضعفاء رحيماً.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ خدمة اليتيم ليست مجرد إحسانٍ مؤقت، بل هي بناءٌ لنفسٍ كانت ستتخطم، ورفعٌ لروح كادت أن تذبل، وأنّ أعظم الأعمال أثراً هو الذي يصلح حياة إنسانٍ كان سيضيع لولا يدٌ امتدت إليه.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (141): ما الخطأ الذي يقع فيه بعض الناس مع اليتيم؟

الجواب: كثيرون يُحسنون إلى اليتيم يوماً ثم يغفلون عنه شهوراً، وكأنَّ العناية به فعلٌ عارض، لا التزام دائم. وهذا مما يزيد في ألم اليتيم، إذ يشعر بأنَّه فقد السند مرتين، مرة بفقد والديه، وأخرى بفقد من وعده بالرعاية ثم انصرف عنه. لذا، ينبغي للمريد أن يكون ثابتاً في عطائه، حاضراً في مواساته، ولو بالقليل المستمر، فإنَّ الكلمة الطيبة والوجه البشوش قد تكون أبلغ أثراً من النفقة.

مسألة (142): ما هو الأثر الروحي لخدمة الأيتام ؟

الجواب: خدمة اليتيم تُورث القلب رحمة وصفاء، وتجعل المريد أقرب إلى مقام الإحسان، إذ تنزع من قلبه القسوة والأنانية، وتبدلها بالشفقة والعطف. من جبر خاطر يتيماً، جبر الله خاطره، ومن مسح دمة طفل فقد حنانه، مسح الله عن قلبه هموم الدنيا والآخرة. قال النبي ﷺ: ﴿أَرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمَكُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ﴾⁽¹⁾. فالرحمة بالأيتام باب مفتوح لرحمة الله، وكلَّما رق القلب لضعيف، رقت عليه رحمة الله عز وجل.

مسألة (143): كيف يتحقق المريد من صحة نيته عند خدمة اليتيم، ويتجنب الرياء؟

الجواب: يتحقق المريد من صحة نيته بأن يستحضر أنَّ كل خير يصنعه هو فضلٌ من الله ساقه إليه، وأنَّه ليس صاحب منَّة، بل عبدٌ مأمور بأداء حق الله في عبادته. فإن أعان يتيماً، فليُخفِ إحسانه، ولا يطلب به مدحاً أو ثناء، وليعلم أنَّ الثواب الحقيقي لا يراه إلا يوم

1 - الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم [1924]، ج3 ص483.

الحساب. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾⁽¹⁾. فمن نزع من قلبه حظ النفس، وسلّم عمله خالصاً لله، كان له الأثر الطيب في الدنيا، والثواب الجزيل في الآخرة.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيدِينَا، رِجَالًا وَنِسَاءً، مِنَ الَّذِينَ
يُعِينُونَ الْأَيَّامَ، وَيَمْسَحُونَ دُمُوعَهُمْ، وَيَجْبِرُونَ قُلُوبَهُمْ، وَأَمْنَحَنَا
قُلُوبًا تُحِبُّ الْخَيْرَ، وَأَيَّادِي تُعِينُ وَلَا تَمُنُّ.

رسالة [33]: الحث على إطعام الفقراء والمساكين

يا مريد، إنّ من أبواب القرب إلى الله أن يكون قلبك رحيماً، وأن تكون يدك معطاء، فإنّ العابد الذي لا يعرف للفقير حقه لم يفهم حقيقة العبادة، وإنّ السالك الذي لا تمتد يداه بالعطاء لم يدرك أنّ الطريق لا يُسار فيه بالذكر وحده، بل بالسخاء، فإنّ الله جعل من صفات عباده الصالحين إطعام الطعام، وجعل ذلك من دلائل صدق الإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾⁽¹⁾. فانظر كيف أنّ إطعام الطعام خُصّ بالذكر كعملٍ من أعمال أهل القرب، فهل جعلت لنفسك نصيباً منه؟

يا مريد، لا تظنن أنّ إطعام الطعام هو مجرد سدّ جوع الجائعين، بل هو تربيةٌ للنفس على البذل، واختبارٌ للمحبة، وميزانٌ للقلوب، فإن كنت تأكل وتشبع ولا تفكر في غيرك، فاعلم أنّ قلبك لم يتهدّب بعد، وإن كنت ترى في طعامك حقاً للفقير، فاعلم أنّ الله قد أنعم عليك بنور الرحمة، فإن كنت في الطريق، فاجعل لك صدقة، واجعل لك عادة في إطعام المساكين، فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين. واعلم أنّ الطعام ليس في اللقمة وحدها، بل في اللطف والمواساة، فإن كنت تعطي لقمة بيدٍ متكبرة، فقد فاتك الأجر، وإن كنت تعطي لقمة بروح محبةٍ، فقد نلت القبول.

قال النبي ﷺ: ﴿أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدَ عَنْهُ جُوعاً﴾⁽²⁾. فانظر كيف جعل النبي إطعام الجائع من أعظم الأعمال، فإن كنت تسأل

1 - [الإنسان: 8-9]

2 - المنذري، الترغيب والترهيب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط1، 1417 هـ، ج1 ص564.

عن الطريق إلى الله، فاعلم أنّ جزءاً منه يمر عبر قلوب المساكين، فإن أردت أن ترى قربك من الله، فانظر إلى حالك مع الفقراء، فإن كنت معهم بالعطاء، فأنت قريبٌ، وإن كنت تنسأهم، فراجع نفسك، فإنّ في ذلك نقصاً في سلوكك. وتذكر أنّ النبي كان لا يرد سائلاً، وكان يرى أنّ حاجة الفقير بابٌ من أبواب الجنة، فمن أراد أن ينال الرحمة، فليكن رحيماً.

يا مريد، إنّ العطاء لا يكون عن فضل المال وحده، بل يكون عن فضل القلب، فإن كنت تملك القليل، فأعطِ منه، فكل لقمة مفتاحاً لك في الآخرة، وإن كنت تملك الكثير، فاجعل لك نصيباً يومياً، فإنّ الفقير ينتظر، واليتيم بحاجةٍ إلى كفالةٍ، والمحتاج ينظر إلى أهل الخير، فإن كنت ترى نفسك تسير إلى الله، فاعلم أنّ الطريق تمر عبر أبواب الرحمة، وإن كنت تريد أن تُربّي قلبك على الإحسان، فابدأ بإطعام الطعام، فإنّ القلب الذي يعطي، هو القلب الذي يشرق بنور الله تعالى. وإن كنت تريد البركة في حياتك، فاجعل يدك ممدودة بالعطاء، فإنّ المال الذي يُنفق في الخير يُبارك فيه، والمال الذي يُحجب عن المحتاجين يضيق على صاحبه ولو كثر.

يا مريد، لا تكن من الذين يكتزون المال ويحسبونه نفعاً لهم، فإنّ المال إن لم يكن وسيلةً للقرب، كان سبباً في البعد، وإن لم يكن أداةً للعطاء، كان وبالاً يوم القيامة، فإن كنت تُدرك حقيقة الطريق، فاجعل من مالك نصيباً للمحرومين، فإنّ الله هو الرزاق، وما تُنفقه يبقى، وما تَكُنْزُهُ يذهب.

يا مريد، البركة في البذل، فإنّ المال الذي لا يُنفق، لا يبارك الله فيه. وإن كنت تخشى الفقر من العطاء، فاعلم أنه وعد الشيطان، قال

تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾⁽¹⁾، وأنه كلما أعطيت، كلما فتح لك باباً من الرحمة لم تكن تتوقعه ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾.

الإطعام ليس مجرد صدقة، بل هو بابٌ من أبواب إصلاح القلوب، فإن كنت تشعر أنّ قلبك قد قسا، فابحث عن محتاج وأطعمه، وإن كنت تشعر أنّ الدنيا تأخذك، فابحث عن فقيرٍ وأعنه، فإنك بذلك تحرر قلبك من التعلق بالمال، وترفع نفسك عن شحها، وتقترب إلى الله بخير القربات. وإن كنت ترى أن العطاء نقص في المال، فاعلم أنه زيادة في البركة، وإن كنت ترى أنّ الفقير بحاجةٍ إلى عطائك، فاعلم أنّك بحاجةٍ إلى رحمته يوم تقف بين يدي الله.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ البذل جزءٌ من الطريق، وفيهم من يظن أنّ العبادة تكفيه بلا إحسان، وفيهم من يحتاج إلى من يرشده إلى أنّ القرب من الله لا يكون بالصلوات فقط، بل يكون برحمة عباده، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ العابد الذي لا يُنفق على الفقراء، لم يكتمل إيمانه بعد، وأنّ المريد الذي يرى الحاجة ولا يتحرك، لم يفهم معنى الإحسان، فإن كنتم تريدون لهم أن يسيروا إلى الله بحق، فاجعلوا العطاء منهجهم، والكرم عادتهم، والبذل دأبهم.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ العطاء تكريمٌ للمعطي قبل الآخذ، فإن كنت تنفق، فأنت الذي تربح، وإن كنت تبخل، فأنت الذي تخسر، فإن رأيت مريداً لا يعطي، فذكره أن المال زائلٌ، وأنّ ما ينفقه هو ما يبقى، وإن رأيت مريداً يعطي رياء، فذكره

1 - [البقرة: 268]

2 - [البقرة: 268]

أَنَّ العطاء الحقيقي هو الذي يكون لله تعالى.
يا خلفاء الطريقة، علّموا المريد أن ينظر إلى قلبه عند العطاء، فإن
يجد فيه فرحاً، فهو على السبيل السوي، وإن وجد فيه تردداً،
فليجته حتى يصل إلى مقام الإيثار.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (144): هل العطاء قاصر على من يملك المال الكثير، أم أن
على كل مريد نصيباً في البذل والانفاق؟

الجواب: يا مريد، العطاء لا يُقاس بكثرة المال، بل بصدق النية
وسخاء النفس. فمن ملك القليل فانفق منه، كان أعظم أجراً ممن
ملك الكثير وبخل. قال النبي ﷺ: ﴿سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ﴾⁽¹⁾.
دلالة على أن العطاء إنما يُوزن بميزان الإخلاص، لا بميزان الكم. فإذا
لم تملك إلا لقمة فأشرك فيها محتاجاً، فإنك بذلك تربى قلبك على
السخاء وتفتح لك باب البركة.

مسألة (145): ما أثر إطعام الفقراء في تهذيب النفس وإصلاح القلب؟
الجواب: إطعام الفقراء مدرسة لتزكية النفس، يُنقى القلب من
الشح والبخل، ويزيل عنه حظوظ النفس وحب المال. فمن اعتاد
البذل، رَقَّ قلبه، وانفتح له باب الرحمة الإلهية. وإن شعرت بقسوة
في قلبك، فابحث عن محتاج تطعمه، فإنّ في ذلك دواء لما تعانيه
نفسك من قسوة أو فتور. قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا

1 - النسائي، السنن الكبرى، حديث رقم [2328]، ج3 ص47.

أَذْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا
ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١﴾، فاجعل ذلك اقتحاماً للعقبات
التي تعيق النفس عن الكمال.

مسألة (146): ما هو الخطر على المريد إذا بخل بماله ؟

الجواب: البخل يحجب القلب عن نور القرب، ويجعل صاحبه في بعدٍ
عن الله وإن كثرت عباداته، فالسالك الذي لا يعطي لا يسلك حقاً.
المال إن لم يُنفق في الخير، كان سبباً في الخسران والوبال. قال الله
تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا
لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ (٢). فاحذر أن يحول حب المال بينك وبين بلوغ
القرب، فإنّ البخل لا يجتمع مع الصدق في السلوك.

مسألة (147): كيف يحصّن المريد نفسه من الرياء عند العطاء؟

الجواب: ليجعل المريد نيته خالصة لله تعالى، ولا يلتفت لمدح الناس أو
نظرهم إليه، فإنّما العمل يُقبل إذا كان لله وحده. ولِيُعْطِ فِي السِّرِّ أَكْثَرَ مِنْ
الْعَلَانِيَةِ، فَإِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ. وليتذكر أنّ الله هو الذي
أعطاه هذا المال ليبتليه، فإن أعطى وأخفى، فقد نجا، وإن أظهر وطلب
المدح، فقد أضاع عمله. قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ
وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣).

مسألة (148): هل الإطعام واجب في أوقات معينة، أم باستمرار؟

1 - [البلد: 11-16]

2 - [آل عمران: 180]

3 - [البقرة: 271]

الجواب: العطاء لا ينبغي أن يكون موسميّاً أو عند الحاجة فقط، بل هو صفة مستمرة للمريد في سلوكه، فإنّ الله يحب العبد المعطاء دائماً، لا المتقطع في بره. كما أنّ المداومة على الصدقة ولو بالقليل أحب إلى الله من الكثير المنقطع. قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ﴾⁽¹⁾.

مسألة (149): هل يجوز للمريد تأخير العطاء حتى يكثر المال؟

الجواب: يا مريد، لا تنتظر كثرة المال، فإنّ القليل مع الإخلاص أعظم بركة من كثير مع التأخير أو المنّ. قال النبي ﷺ: ﴿اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ﴾⁽²⁾. فالعبرة ليست بقدر ما تعطي، بل بصدق ما تنوي، فمن تأخر عن العطاء بحجة الفقر، منع نفسه من فضلٍ عظيم، ومن بادر بما عنده، فتح الله له باب الغنى والبركة، قال تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁽³⁾.

مسألة (150): ما علاقة إطعام الفقراء بتزكية النفس في السلوك؟

الجواب: إطعام الفقراء يُطهر القلب من أمراض الشح والأنانية، وهو تدريب عملي على مقام الإيثار، الذي هو من أرفع مقامات السالكين. فمن جاد بطعامه وماله، هان عليه كل ما سوى الله، وتحرر من سلطان الدنيا. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽⁴⁾. فمن أراد الفلاح، فليبذل مما رزقه الله، ولو كان قليلاً، حتى يبلغ مقام الرضا والقرب.

1 - صحيح مسلم، ج 1 ص 541.

2 - صحيح البخاري، حديث رقم [6563]، ج 5 ص 470.

3 - [الحشر: 9]

4 - [الحشر: 9]

مسألة (151): كيف ينظر المريد إلى الفقير عند الإطعام؟

الجواب: يا مريد، إيتاك أن ترى نفسك أفضل من الفقير، أو تشعر بالمرء عليه، بل انظر إليه كسبب ساقه الله إليك، لتنال به الأجر وتفتح لك به باباً من الرحمة. فالفقير هو صاحب الفضل، لأنه قبل منك ما أعطيت، ورضي أن تكون سبباً في رفع حاجته. قال بعض العارفين: «اليد العليا تعلق بالنية، لا بالظاهر؛ فمن أعطى وهو يرى الفضل لله، علت درجته، ومن أعطى وهو يرى نفسه، سقط عن مقام الإحسان». فاهد عطيتك مع التواضع والرحمة، لا مع تعظيم النفس.

مسألة (152): هل يكون الإطعام باللقمة وحدها ؟

الجواب: إطعام الطعام يشمل كل ما يدخل في قضاء حوائج الفقراء والمحتاجين، سواء بالطعام أو بإدخال السرور، أو بالدعاء لهم، أو بالسعي في تفريج كرباتهم. قال النبي ﷺ: ﴿ أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ ﴾⁽¹⁾. فالمرید لا يقتصر على إطعام البطن، بل يسعى لإطعام الروح بكلمة طيبة، وبوجه مبتسم، وبدعاء صادق، ليجمع بين جسدٍ يسد جوعه، وروحٍ تُشفى من همها.

مسألة (153): ما أثر التبسم واللفظ عند إطعام الفقير؟

الجواب: يا مريد، إنَّ اللقمة وإن كانت عظيمة، قد تذهب بركتها إن خلت من اللطف، وإنَّ الكلمة الطيبة قد تعادل طعاماً كثيراً. فإياك أن تطعم وأنت متجهم أو متكبر، بل اجعل العطاء مقروناً بالرحمة وحسن الخلق. قال تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى ﴾⁽²⁾. فأحسن في القول كما تحسن في العطاء، تكن بذلك ممن يُفتح لهم باب القبول والرضا.

1 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [5058]، ج5 ص2055.

2 - [البقرة: 263]

رسالة [34]: فضل الصدقة في تزكية النفس

يا مريد، إن كنت تريد أن ترى أثر الإحسان في نفسك، فانظر إلى يدك، هل تعطي بسهولة أم تتردد؟ فإن كانت يدك كريمة، فاعلم أن قلبك سليم، وإن كنت تجد في العطاء مشقة، فاعلم أن نفسك تحتاج إلى تهذيب.

يا مريد، إن المال إن لم يُنفق في الخير، كان نقمة على صاحبه، وإن لم يكن سبباً في الرحمة، كان وبالاً عليه، فإن كنت من أهل الله، فاجعل يدك مبسوطة بالعطاء، فإن المال الذي تعطيه لا يذهب، بل يعود إليك مضاعفاً. فإن كنت تظن أن الصدقة تُنقص المال، فاعلم أن الله وعد بزيادته، قال الله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعِ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾، فإن كنت من الموقنين، فأنفق ولا تخف.

يُروى أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان إذا أقبل عليه سائل، قال: «مرحبا بمن جاء يحمل لي زادي إلى الآخرة»⁽²⁾، فإن كنت تريد أن ترى البركة، فانظر إلى أثر الصدقة في حياتك، فإن وجدت فيها زيادة، فاعلم أن الله بارك فيها، وإن وجدت فيها قلقاً وضيقاً، فاعلم أنك بحاجة إلى مزيد من البذل.

يا مريد، إن الصدقة ليست فقط بالمال، بل بالكلمة الطيبة، والابتسامة، والعون، فإن كنت لا تملك مالاً، فابحث عن وسيلة

1 - [البقرة: 261]

2 - ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ط2000م،

ج1 ص355.

أخرى للعتاء؁ فإنّ المحروم من الخير ليس الذي لا يملك؁ بل الذي لا يعطي؁ وتيقن من أنّ الله لا يضيع أجر المحسنين.

يا خلفاء الطريقة؁ إنّ بين أيديكم مريدين؁ فيهم من لم يدرك بعد أنّ العطاء جزء من تزكية النفس؁ وفيهم من يظن أنّ الفضل في كثرة العبادات دون الإنفاق. فعلموهم إنّ الله يحب المحسنين.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى؁ وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (154): ما أثر الصدقة على حياة المريد الدنيوية؟

الجواب: الصدقة تجلب البركة في الرزق؁ وتدفع البلاء؁ وتفتح أبواب الخير. قال النبي ﷺ: ﴿دَاوُوا مَرَضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ﴾⁽¹⁾. فمن أكثر من الصدقة؁ وجد أثرها في طمأنينة القلب؁ واتساع الرزق؁ ودفع المكاره. فهي ليست فقط تزكية للآخرة؁ بل حماية ونفع في الدنيا أيضاً؁ كما وعد الله في كتابه.

مسألة (155): كيف يعرف المريد صدق نيته في الصدقة؟

الجواب: يعرف المريد صدق نيته إذا كان عطاؤه لله وحده؁ لا ينتظر مدحاً ولا شكوراً. ولا يفرح أن يعلم الناس بصدقته. وإن كان يعطي سراً أكثر من علانية؁ فهذه علامة إخلاصه؁ كما قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾⁽²⁾.



1 - البيهقي؁ السنن الكبرى؁ حديث رقم [6593]؁ ج3 ص536.

2 - [البقرة: 271]

رسالة [35]: لماذا يحضر الفتور عن خدمة الطعام؟

يا خلفاء الخدمة، ويا مريدي الطريق، قد نعلم أنّ بعضكم يقومون بمهمة الإطعام، فيملأون الأواني، ويوزعون الطعام، ويخدمون المحتاجين، ولكن بأجسادهم فقط دون قلوبهم، فكأنّي بهم وهم يؤدون عملاً روتينياً، أو وظيفة إلزامية من غير رغبة، ولا محبة، ولا خشوع قلب.

يا أحبائي، اعلموا أنّ اليد إذا امتدت بلا قلب، لم يرتقي صاحبها، وأنّ العمل إذا خلا من النية الصافية، كان جسداً بلا روح، وصورة بلا نور. فإن كنتم تطعمون أجسام الفقراء، وأنتم غافلون عن أرواحهم، فقد حرمتم أنفسكم أعظم الأجر، وفاتكم سرُّ العطاء، لأنّ العطاء لا يكون باليد فقط، بل يكون بالنفس والقلب، والمحبة والرحمة.

يا مريد، هل ظننت أنّ الشيخ حين وجه همته على الإطعام، أرادك مجرد خادم لطعام؟ كلا، والله! بل أراد أن يربي فيك صفة الإيثار، وأن يوقظ في قلبك الرحمة، وأن يخرجك من ضيق النفس إلى سعة الروح، لتكون من أهل الإحسان الذين قال الله فيهم: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾. فمن أطعم بغير حُب، ما أدرك هذا المقام، ومن خدم بغير قلب، فما دخل باب الإحسان.

يا خلفاء الطريق، علّموا المريدين إنّنا لا نريد منهم أن يملأوا البطون فقط، بل أن ينيروا القلوب، حيث يرى الفقير فيهم الرحمة قبل الطعام، واللفظ قبل اللقمة، والبسمة قبل الخدمة. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.

مسألة (156): ما قيمة العمل الصالح إذا خلا من حضور القلب؟
الجزء من جنس العمل، وجزاء أعمال البدن الأجر (الحسنات) أما
جزاء أعمال القلب فالنور، فهذين نوعين من الجزاء قال تعالى: ﴿لَهُمْ
أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾⁽¹⁾. العمل الصالح الذي يؤدي بالجوارح دون حضور
القلب والنية الخالصة، يكون له الأجر دون النور. وذلك أن العمل إنما
تُعطى حقيقته بالنية، فهي روحه وسرُّ قبوله. وقد قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا
الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَّا نَوَى﴾⁽²⁾. فمن أدى العمل بلا
حضور قلب، كان كمن يقدم قشراً لا لب فيه، ولكل جزاء يتناسب
معه. وأهل الطريق هم أهل اللب بلا ريب، فارتق في الأسباب.

مسألة (157): كيف يُحضر المريد قلبه أثناء خدمة الإطعام؟
يُحَضِّر المريد قلبه بأن يرى أنه يطعم لوجه الله، لا لمجرد تنفيذ الأمر
أو لمدح الناس أو التفاخر. وعليه أن يُذَكِّر نفسه أن الفقير باب من
أبواب الجنة، وأن الله ساقه إليه امتحاناً ورحمة. فإذا أعطى، فليعطي
بقلب منشرح، ولسان شاكر، ونفس ترجو رضا الله تعالى والزيادة.
وعليه أن يجدد نيته قبل البدء بالاستمداد من همة شيخه، وأن
يستغفر أثناء العمل إن شعر بالغفلة، حتى يعود إلى مقام الحضور.

مسألة (158): ما أثر أداء الخدمة بالجسم دون القلب على سير المريد؟
أداء الخدمة بالجسم دون مشاركة القلب يؤدي إلى فتور النفس،
ويجعل العمل عادة بلا روح، فيتسلل لها الملل، ويُفقد المريد حلاوة
الخدمة ونورها. فيبقى في مرتبة الجسم، دون أن يرقى إلى مقام

1 - [الحديد: 19]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [1]، ج 1 ص 3.

الإحسان. ومع الوقت، قد يتحول إلى متشاغلٍ عن العمل، فاقْدِ
للهمة، محرومٍ من مدد الرحمة. لهذا، كان واجباً على المريد ألا يرضى
إلا بأداء العمل الذي تصحبه حياة القلب.

مسألة (159): كيف يعرف المريد أنه يعمل بجسمه، دون قلبه؟
يعرف المريد ذلك من علامات تظهر عليه، منها أن يشعر بالضيق أو
الملل أثناء الخدمة، أو يتمنى الفراغ منها دون أن يجد فيها أنس.
ومنها أن ينصرف ذهنه إلى نفسه أو للناس أثناء العمل، دون أن
يرى فضل الله عليه في تلك الخدمة. فإذا لم يجد في عمله أثراً
نورانياً، أو لم يشعر بالرحمة تجاه من يخدمهم، فليعلم أن قلبه
غائب، وليجتهد في إصلاح نيته، وليستعن بالاستمداد والورد.



رسالة [36]: كُنْ سَخِيًّا بَلَا مَنْ وَلَا تَرُدُّ؟

يا مريد، اعلم أنَّ المال الذي في يدك ليس لك، وإنَّما هو وديعةٌ عندك، اختبرك الله بها، ليرى كيف تتصرف فيها، فإنَّ أمسكتها بخلاً، حرمت نفسك البركة، وإنَّ أنفقتها في الخير، فتحت لنفسك أبواب الرزق. فإنَّ الله لم يجعل العطاء سبباً للنقص، بل جعله باباً للزيادة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾⁽¹⁾، فانظر كيف جعل الله العطاء باباً للغنى، وجعل البخل سبباً للفقر.

يا مريد، إنَّ الإنفاق في سبيل الله ليس فقط في الصدقة على الفقراء، بل هو أوسع من ذلك، فكل ما تنفقه في نفع الناس، وكل ما تبذله لإصلاح الأرض، وكل ما تقدمه للخير، هو إنفاقٌ في سبيل الله. فإن كنت قادراً على العطاء، فلا تبخل، فإنَّك إن أمسكت المال، أمسكت البركة عن نفسك، وإن أعطيته، فتحت لنفسك باباً من الرحمة لا ينغلق.

يا مريد، احذر أن يكون إنفاقك مقروناً بالمنّ، فإنَّ الصدقة التي يُتبعها أذى لا تزيد صاحبها إلا بعداً عن الله، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾⁽²⁾. فمن أنفق، ثم تعاظم في نفسه، أو رأى نفسه فوق من أعطاه، فقد خسر ثواب عمله، فأعط كما يعطي الله، بغير منّ، وبغير انتظار لمقابل من الناس.

يا مريد، إنَّك إن كنت تُحب المال، فاعلم أنَّ الله يُحب أن يرى أثر نعمته عليك، ولكن لا تجعل المال إلهاً في قلبك، فأنفق بنفسٍ راضية، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، فإنَّ الكريم لا يخسر،

1 - [سبأ: 39]

2 - [البقرة: 264]

والسخي لا يندم، وإن كنت تريد أن ترى برهان ذلك، فانظر كيف أن الذين ينفقون لا تنقص أموالهم، وأن الذين يبخلون لا تزيد أموالهم إلا همماً وثقلاً.

يا مريد، إن المال وسيلة، فإن كنت تظن أنه لك وحدك، فاعلم أنك ستتركه يوماً، ولن تأخذ منه إلا ما أنفقته لله. فاجعل مالك جسراً إلى الآخرة، بدل أن يكون قيداً يشدك إلى الدنيا، فإن المال إن لم يكن في يدك وسيلة للخير، صار في قلبك عائقاً عن النور.

يا خلفاء الطريقة، إن بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أن العطاء لا ينقص المال، وفيهم من لم يتعلم بعد كيف يُنفق بلا رياء ولا من، وفيهم من يخشى الفقر، فيمسك المال خوفاً من أن يذهب. فكونوا لهم مرشدين، علموهم أن المال إنما يزيد بالبذل، وأن الأمان الحقيقي ليس في كثرة المال، بل في بركته، فإن المال إن لم يكن مباركاً، صار وبالاً على صاحبه، وإن كان مباركاً، كان قليله كافياً، وكثيره نافعاً.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أن من أعطى لله، أعطاه الله، ومن أنفق في الخير، وجد أثر ذلك في حياته قبل مماته، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ومن بخل، فإنما يبخل على نفسه، فإن كنت تريد أن ترى أين تذهب أموالك، فانظر كيف أنفقتها، فإن كانت في الخير، فهي في خزائن الله، وإن كانت في الدنيا وحدها، فقد فنت وضاع أثرها.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (160): ما الفرق بين السخي والمبذر؟

الجواب: السخي هو الذي ينفق عن حكمةٍ ورحمة، في وجوه الخير والبر، دون رياء ولا إسراف، فيضع ماله حيث أمر الله، ويقصد به مرضاة الله. أما المبذر فهو الذي ينفق المال بغير قيدٍ ولا تقدير، فيضيعه فيما لا ينفع، وقد نهى الله عن التبذير بقوله: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾⁽¹⁾. فالمريد الكريم يجعل ماله في الخير، والمبذر يضيعه في اللهو والشهوات.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيدِينَا، مِنَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِغَيْرِ
خَوْفٍ وَلَا رِيَاءٍ، وَلَا تَجْعَلُهُمْ مِنَ الَّذِينَ يُمْسِكُونَهَا خَوْفًا مِنَ
الْفَقْرِ، وَأَمْنَحُهُمُ الْقُلُوبَ الَّتِي تُحِبُّ الْخَيْرَ، وَالْأَيَادِيَ الَّتِي
تُعْطِي بِلَا أَنْتِظَارٍ لِمُقَابِلٍ



الفصل السابع

المرأة في الطريقة
مدرسة الحكمة ومنبع
الرحمة

رسالة [37]: كوني شريكةً في بناء الطريق

يا مريدة، اعلمي أنّ الطريق إلى الله ليس حكراً على الذكور، ولا يُختص به جنسٌ دون آخر، بل هو مفتوحٌ لكل قلبٍ صادقٍ، ولكل نفسٍ تطلب النور، فإن كنتِ تسيرين في هذا الطريق، فاعلمي أنكِ شريكةٌ في البناء، ولستِ مجرد تابعةٍ أو مساندة، فإنّ القلوب تتفاضل بالتقوى، لا بالجنس، والأرواح تتسابق في الصدق، لا بحسب المراتب الظاهرة. قال الله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَاتِتِينَ وَالْقَاتِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾⁽¹⁾. فانظري كيف ساوى الله بين الرجال والنساء في السباق إلى الفضائل، وكأن كل قلبٍ هو ميدانٌ مستقلٌ، لا يحكمه إلا صدق العبد.

يا مريدة، إياكِ أن تظني أنّ دوركِ في الطريق محدودٌ، فإنّ العلم لك كما هو لغيركِ، والذكر لك كما هو لغيركِ، والعمل لك كما هو لغيركِ، فإن كنتِ تظنين أنّ المرأة في الطريق مجرد ظلٍ للرجل، فاعلمي أنّكِ لم تدركي بعد حقيقة السير، فإنكِ لستِ تابعة، بل أنتِ شريكةٌ في البناء، فإنّ الأمة لا تنهض بذكورها فقط، بل تنهض بذكورها ونسائها معاً، وإن كنتِ تريدين أن تعرفي دوركِ، فانظري كيف كانت النساء في عصور العارفين، فكنّ عالماتٍ، وعابداتٍ، ومربياتٍ، ومجاهداتٍ، لم يكنّ قاعداتٍ في البيوت بلا تأثير.

قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ﴾⁽¹⁾. فانظري كيف جعل النبي المرأة شقيقة الرجل، أي أنها تقف معه على نفس الدرب، فإن كنت مريدة، فلا تظني أنّ الطريق يُختص بجنسٍ دون آخر، بل اعلمي أنّك طالبةٌ بالسير، طالبةٌ بالسعي، طالبةٌ بأن يكون لك أثرٌ، فإن كنت تريدين أن تسيري، فلا تجعلي المجتمع يُحدد لك مكانك، بل اجعلي قلبك هو الذي يُحدد مقامك.

يا مريدة، إنّ العبد يُختبر في قدرته على التوفيق بين جوانب حياته، فإن كنت زوجةً أو أماً، فاعلمي أنّ دورك في بيتك لا يُلغي دورك في الطريق، وإن كنت طالبة علم، فاعلمي أنّ دورك في المدرسة لا يُلغي دورك في التربية الروحية، فإن كنت تظنين أنّ عليك أن تختاري بين البيت والطريق، فاعلمي أنّ الخيار ليس بينهما، بل في كيف تجمعين بينهما، فإنّ العارفة لا تهمل بيتها، ولا تهمل قلبها، بل توازن بينهما، فتكون نوراً في بيتها، ونوراً في الطريق.

يا مريدة، إنّ الله لم يمنح المرأة قلباً أقل نوراً، ولا عقلاً أقل فهماً، فإن كنت تريدين أن تسيري في طريق الله، فكوني واعية بحقك في ذلك، ولا تسمحى لأحد أن يوقفك عن طلب العلم، أو أن يحد من طموحك في السير، فإنّ المريدة التي تعرف مقامها لا تنتظر إذناً من المجتمع كي ترتقي بنفسها، بل تأخذ حقها بصدقها، وتثبت مكاتها بعملها.

يا خليفات الطريقة، إنّ بين أيديكن مريدات، فيهن من لم تدرك بعد أنّ الطريق ليس خاصاً بالرجال، وفيهن من تحتاج إلى دعمٍ حتى تجد لنفسها موضعاً في السير، وفيهن من تُحارب من مجتمعهما إن طلبت العلم، أو إن سعت إلى فهمٍ أعمق، فكونوا لهنّ مرشداً.

1 - الترمذي، سنن الترمذي، ج1 ص155.

علموهنَّ أنَّ الله لا ينظر إلى الجنس، بل ينظر إلى القلب، وأنَّ المريدة التي تسير بعقلها وقلبها، لا تقل عن أي مريدٍ آخر، فإنَّ الطريق لمن صدق، لا لمن كان رجلاً أو امرأة.

يا خليفات الطريقة، اجعلوا المريدات يفهمنَّ أنَّ الطريق ليس انعزالاً عن الحياة، بل هو سلوكٌ فيها، فإن كانت المرأة واعية بمقامها، ثابتة في سيرها، فإنها تكون سبباً في إصلاح جيلٍ كامل، فإن أردت أن تَرَي أثر المرأة في الطريق، فانظري إلى الأمهات اللواتي يربين العارفين، وإلى العالمات اللواتي يُنرن العقول، وإلى الصالحات اللواتي يكنَّ قناديل هدى لغيرهن.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (161): هل على المريدة أن تختار بين البيت والطريق؟

الجواب: لا، يا مريدة، فإنَّ الطريق لا يطلب منك أن تتخلي عن بيتك، ولا عن رسالتك كزوجة أو أم، بل يطالبك أن توفقي بين الأمرين. فالعرفان الحق أن تكوني نوراً في بيتك، ونوراً في سلوكك إلى الله، كما كانت الصالحات من النساء عالماتٍ ومربياتٍ وعابداتٍ. التوازن بين حياتك الأسرية وسيرك الروحي هو علامة النضج وكمال السلوك.

مسألة (162): ما حق المريدة في طلب العلم والتربية الروحية؟

الجواب: للمريدة حقُّ أصيل في طلب العلم والتزكية، كما للرجل سواء بسواء، ولا يجوز لأحدٍ أن يمنعها من هذا الحق، أو يحجب عنها نور المعرفة. فإذا حوربت من مجتمعها أو قوبلت بالمنع، فعليها أن تثبت بصدقها، وتتمسك بطلبها، آخذة بالحكمة لا بالمصادمة، وسائرة باللين لا بالمعاندة، فإنَّ الله ينظر إلى القلوب لا إلى الصور، ومن صدَّق في طلب القرب فتح الله له الأبواب، وإن أغلقها الناس.

رسالة [38]: كوني معلّمةً للأجيال، وناشرةً للنور

يا مريدة، إنَّك لستِ مجرد ساعيةٍ في الطريق لنفسك، بل أنتِ من تُربِّي الأجيال، وتغرس في القلوب بذور الفهم، فإن صلحت، صلح جيلٌ بأكمله، وإن أهملت، نشأ مجتمعٌ ضعيفٌ في قيمه وعلمه. وإن كان العلم نوراً، فإن المرأة هي من تُشعل هذا النور في القلوب، فلا تكون المريدة صالحة لنفسها فقط، بل تكون شعلة تهدي غيرها. فإن كنتِ تعتقدين أنَّ دوركِ في الطريق يقتصر على الذكر والعبادة، فاعلمي أنَّكِ لم تفهمي بعد عمق الأمانة التي بين يديكِ، فإنكِ أمٌّ قبل أن تكوني مريدة، ومربيةٌ قبل أن تكوني سائرة، وحاملةٌ علمٍ قبل أن تكوني طالبة له.

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽¹⁾. فانظري كيف جعل الله المرأة والرجل شركاء في إقامة المعروف ونشر الهداية، وكأنَّ مسؤولية التربية وبناء الأمة ليست مقتصرة على الرجال وحدهم، بل هي مسؤولية متوازنة بين الجنسين.

يا مريدة، إنَّ أول مقامٍ في التربية أن تدركي أنَّ العلم لا يُطلب ليُحفظ، بل ليُورث، وأنَّ المعرفة لا تكون كمالاً لصاحبها حتى تُزرع في غيره، فإن كنتِ تظنين أنَّ العالمية هي التي تجمع الكتب، أو تحفظ النصوص، فاعلمي أنَّكِ لم تدركي حقيقة العلم بعد، فإنَّ العلم هو النور الذي ينتقل بين القلوب، فإذا حُبس في عقلٍ واحدٍ، كان كالماء الذي إذا حُبس أَسَن.

قال النبي ﷺ: ﴿إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ﴾⁽¹⁾. فانظري كيف جعل النبي العلم النافع صدقة جارية، أي أنّ العلم الذي يبقى بعد رحيل صاحبه، هو ما يجعل عمله ممتداً في الأثر، فإن كنت تريدين أن يكون لك أثرٌ في حياتك وبعد مماتك، فكوني من اللاتي يزرعن العلم في القلوب، ويربطن الناس بالحق، فإنّ العالم الذي لا يُنقل علمه، هو كالسراج الذي يوقد في غرفةٍ مغلقةٍ، لا يضيء طريق أحد.

يا مريدة، احذري أن تكوني ممن يتعلمن لأنفسهن، ولا يرين مسؤولية في تعليم غيرهن، فإنّ هذا هو عين الأنانية الروحية، فإن كنتِ تنالين الفهم، فاجعليه هدية لمن حولك، وإن كنتِ تتذوقين نور المعرفة، فلا تبخلي به على غيرك، فإنّ الكرم الحقيقي هو أن تنقلي ما وهبك الله، فإن كنتِ تظنين أنّ العالم يحتفظ بعلمه، فانظري إلى رسول الله، كيف كان معلماً قبل أن يكون أي شيءٍ آخر.

يا مريدة، إنّ أولادك، وأخواتك، وصديقاتك، بل والمجتمع من حولك، هم أمانةٌ في عنقك، فإن كنتِ تعلمين، فلا تظني أنّ الأمر يخصك وحدك، فإنّ الكلمة التي تقولينها قد تغير قلباً، وقد تفتح باب هداية، فإن كنتِ تعتقدين أنّ التغيير صعبٌ، فانظري إلى النساء اللواتي سبقنك في التاريخ، كيف كنّ سبباً في نهضة العقول، وإحياء القلوب، فإنّ العارفة ليست تلك التي تنعزل للعبادة فقط، بل التي تجعل من حياتها منبعاً للنور.

يروى أنّ الشفاء بنت عبد الله، كانت من أوائل النساء اللاتي تعلمن الكتابة في الجاهلية، فلما أسلمت، استخدمها النبي في تعليم نساء

1 - مسلم، صحيح مسلم، ج3 ص1255.

المدينة الكتابة والعلم. فانظري كيف كانت المرأة معلمة منذ عصر النبوة، وكيف أنّ النبي لم يُبعدها عن هذا الدور، بل جعلها مرشدة للمجتمع، فإن كنتِ تظنين أنّ التعليم خاصّ بالرجال، فاعلمي أنّك لم تفهمي بعد أنّ طريق الله لا يحجب عنه أحد.

يا خليفات الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدات، فيهنّ من لم تدرك بعد أنّها تحمل أمانة التعليم، وفيهنّ من تحتاج إلى من يشجعها على نشر المعرفة، وفيهنّ من تظن أنّ مقامها يقتصر على التعلم فقط، فكن لهنّ مرشدات. علموهن أنّ العالمية الحقيقية ليست من تُعلّم لنفسها، بل من تُعلم غيرها، وأنّ النور الذي لا يُنشر، يفقد أثره، فإن كنتِ تريد أن ترى أثر العلم، فانظر إلى كيف يُغير حياة الناس، فإن كان محبوباً في الكتب، لم يكن له أثر، وإن كان حياً في القلوب، كان سبباً في حياة أمة.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (163): كيف تتجنب المريضة أنانية طلب العلم؟

الجواب: التعلم دون تعليم هو إمساك للخير، والله يحب من عباده أن يكونوا أسباباً في إيصال الهداية والنور. فعلى المريضة أن تجعل من علمها وسيلة لنفع الأمة، وأن تتواضع في نقل المعرفة، فإنّ العلم الذي يُنقل مع الإخلاص، يبقى أثره حياً.



رسالة [39]: كوني قائدةً في السلوك والإصلاح

يا مريدة، إِنَّ الله تعالى قد منحك قلباً قادراً على التأثير، وعقلاً يستطيع التمييز بين الحق والباطل، فإن سرت في طريق الله بصدق، أصبحت نوراً لغيرك، وإن انشغلت عن دورك، خسر الطريق صوتاً لا يُعوّض. أنّ القرب من الله يُوزع على القلوب، لا على الأجسام.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾. فانظري كيف جعل الله العمل الصالح هو معيار الحياة الطيبة، لا لكون العبد رجلاً أو امرأة، فإن كنتِ تعملين لله، فلا تحصري نفسك في دائرة ضيقة، بل انطلقي بقلبك وعقلك لتكوني مصدر إصلاح ونور في مجتمعك.

يا مريدة، إِنَّكَ لست متلقية فقط، بل يمكنك أن تكوني قائدة وملهمة ومُصلحة، فإنّ الطريق لا يكون فيه المرء مجرد تابع، بل هو دعوة إلى التأثير والنهوض، فإن كنتِ تظنين أنّ دورك ينحصر في الاستماع، فاعلمي أنّ المريدة التي تسير بوعي، يمكنها أن تكون سبباً في هداية غيرها، فأنيّري به قلباً آخر.

قال نبينا ﷺ: ﴿بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً﴾⁽²⁾، فانظري كيف لم يحدد النبي من الذي يُبلّغ، بل جعل الأمر عاماً، فإن كنتِ تعرفين شيئاً من الحق، فلا تجعله حبيس قلبك، بل ازععيه في غيرك، فإنّ الكلمة التي تُقال بصدق، قد تغير مسار حياة بأكملها.

يا مريدة، إن كنتِ تظنين أنّ القائد هو من يظهر، فاعلمي أنّ القائد

1 - [النحل: 97]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [3274]، ج 3 ص 1275.

الحقيقي هو من يترك أثراً، فإن كنتِ تصنعين القلوب، فأنتِ قائدة. وإن كنتِ ترشدين العقول، فأنتِ قائدة. وإن كنتِ تصلحين النفوس، فأنتِ قائدة. فإنّ القيادة ليست في المنصب، بل في التأثير.

يروى أنّ فاطمة الفهرية، عندما رأت أنّ المجتمع في زمنها يحتاج إلى منارة علمية، لم تكتفِ بأن تتعلم فقط، بل أسست جامعة القرويين، التي بقي نورها ممتداً لقرون. فانظري كيف أنّ المرأة لم تكن تابعة فقط، بل كانت سبباً في بناء صروح من المعرفة.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكن مريدات، فيهنّ من لم تدرك بعد أنها تملك القدرة على التأثير، وفيهنّ من تحتاج إلى من يدفعها إلى الأمام، وفيهنّ من تُحارب من مجتمعتها إذا أظهرت وعيها، فكونوا لهن مرشداً. علّموهنّ أنّ المرأة ليست تابعة بلا دور، بل هي صانعة أجيال، وملهمة قلوب.

يا خليفات الطريقة، أفهموا المريدات أنّ القرب من الله لا يُقاس بالمكانة الاجتماعية، ولا بالظهور، بل بالأثر الذي يُترك في النفوس، فإن كانت المريدة صادقة، فإنّ كلماتها تُغيّر من حولها، وإن كانت مخلصّة، فإنّ أعمالها تُثمر في مجتمعاتها.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (164): كيف تبدأ المريدة طريق القيادة في إصلاح غيرها؟
الجواب: تبدأ المريدة قيادة الإصلاح حين تؤمن أنّ كل كلمة صادقة وكل عمل مخلص هو بذرة تُثمر، ولو كان قليلاً. فإذا نشرت الخير، أو علّمت غيرها ولو آية، أو أصلحت قلباً ولو بكلمة طيبة، فهي قد دخلت ساحة القيادة. فالقيادة تبدأ بالمبادرة الصغيرة التي تخرج من القلب، لا بالشكل ولا بالمقام.

مسألة (165): ما هو معيار القيادة الحقيقية عند المريدة ؟

الجواب: معيار القيادة الحقيقية هو الأثر الذي تتركه المريدة في النفوس، لا الظهور ولا المنصب. فالمريدة التي تهدي غيرها وتعينهم على السير، وترشدهم إلى الخير، فهي قائدةٌ بحق، سواء عُرِفَتْ أو لم تُعْرَف. القيادة في الطريق الصوفي هي تربية القلوب، لا تصدر عن حب الرياسة، بل عن صدق التربية وحمل الأمانة.

مسألة (166): ما أثر القيادة المريدة الصادقة على المجتمع والطريق ؟

الجواب: القيادة الصادقة من المريدة تثمر نهضة في الأمة، وتُنشئ جيلا من المريدات والمريدين الواعين. فهي التي تربي بنات جيلها على المحبة والصفاء، وتفتح لهم أبواب الفهم والذكر. وإنّ المريدة إذا كانت قائدة مخلصه، فهي التي تُسهم في نشر نور الطريقة، وتكون سبباً في قيام مجتمعٍ رباني.



رسالة [40]: كيف تحقق المريدة التوازن بين العبادة

والمعاملة؟

إلى السائرات في درب الله، من المريدات اللواتي يطلبن الكمال، والخليفات اللواتي يحملن أمانة التربية، سلامٌ عليكن ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

يا مريدة، إنكِ في الطريق لستِ مجرد عابدةٍ تُكثرين من الذكر، ولا متعلمةٍ تحفظين النصوص، بل أنتِ روحٌ تتجلى في أفعالكِ، تعبدين الله بإخلاصٍ، وتعاملين الناس بحكمةٍ ورحمة. فإن قصرتِ في العبادة، أضعفتِ صلتكِ بالله، وإن أهملتِ في المعاملة، فقدتِ تأثيركِ فيمن حولكِ، فإن كنتِ تريدين أن يكون سيركِ صادقاً، فاجعلي عبادتكِ نوراً يضيء قلبكِ، وسلوككِ نوراً يضيء حياة غيركِ، فإن الدين ليس صلاة بلا خلق، ولا علماً بلا سلوك.

قال الله تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾⁽¹⁾. فانظري كيف أن الله تعالى لم يجعل حسن المعاملة أمراً ثانوياً، بل قرنه بالعبادة والطاعة، فإن كنتِ تُصليين ولكنكِ ترفعين صوتكِ على من حولكِ، فراجعِي نفسك، وإن كنتِ تذكرين الله ولكنكِ تؤذين غيركِ بلسانكِ، فاعلمي أنكِ لم تكلمي طريقكِ بعد، فإن العبادة وحدها لا تصنع مريدة صالحة، بل هي جزءٌ من بناء الروح، وأمّا الكمال، فهو في أن تكوني نوراً في عبادتكِ، ونوراً في أخلاقكِ.

يا خليفة، احذري من أن يكون سيركِ ظاهرياً، فإن من العابدات من تُطيل الركوع، ولكن قلبها مليءٌ بالكبر، ومن المريدات من تحفظ الأوراد، ولكن لسانها يجرح الناس، فإن كنتِ تريدين أن تكوني قريبة

من الله تعالى، فلا تنظري إلى مظاهر العبادات فقط، بل انظري إلى ما في قلبك، فإن القلب الذي امتلأ نوراً، أشرق على كل شيء حوله، وإن القلب الذي لم يتطهر، لم تنفعه أعمال الجوارح.

قال النبي ﷺ: ﴿أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ﴾⁽¹⁾، فانظري كيف لم يجعل النبي المحبوبة عند الله هي التي تُكثر من العبادة فقط، بل التي تنفع غيرها، فإن كنتِ تريدين القرب، فكوني نافعة، فإن الصلاة تهذب النفس، ولكنها لا تكفي وحدها، وإن الذكر ينير القلب، ولكنه لا يعفيك من حسن الخلق.

يا خليفة، إن التوازن بين العبادة والمعاملة هو ميزان القرب، فإن كان لك وردٌ من الذكر، فاجعلي لك ورداً من حسن الظن بالناس، وإن كنتِ تحافظين على صلاتك، فاحفظي لسانك، فإن بعض النساء يظنن أنهن يسلكن الطريق إلى الله، ولكنهن يسيئن لمن حولهن، فلا يكون لسيهرن بركة. فإن كنتِ تريدين أن يكون لك أثرٌ، فابدئي بإصلاح نفسك، فإن القلوب إذا طابت، طابت الأفعال معها.

يروى أن امرأةً سالحة كانت معروفة بعبادتها، ولكنها كانت تُسيء إلى جيرانها، فسُئل النبي ﷺ عنها، فقال ﷺ: ﴿هي في النار﴾، وسُئل عن أخرى قليلة العبادة، ولكنها كانت حسنة الخلق، فقال ﷺ: ﴿هي في الجنة﴾⁽²⁾. فانظري كيف أن العبادة وحدها لا تكفي، فإن لم يكن في القلب صفاءً، لم يكن للعبادة أثرٌ حقيقي. فإن كنتِ تريدين أن يكون سيرك كاملاً، فاجعلي عبادتك سلوكاً، لا مجرد طقوس.

يا خليفات الطريقة، إن بين أيديكن مريدات، فيهن من لم تدرك بعد

1 - الطبراني، المعجم الصغير، ج 2 ص 106.

2 - أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ، حديث

رقم [9676]، ج 15 ص 422.

أَنَّ السلوك هو ميزان السير، وفيهِنَّ من تظن أَنَّ الطريق هو في كثرة الأوراد فقط، وفيهِنَّ من تحتاج إلى من يُعَلِّمها أَنَّ العبادة إذا لم تثمر أخلاقاً، كانت ناقصة. فكِنَّ لهن مرشداً. علمنهن أَنَّ الدين ليس ركعاتٍ تُؤدى، ولا أذكراً تُردد، بل هو خُلُق ينبض في القلوب، فإن كنتِ تريدين أن تعرفي قيمة مريديّة، فانظري كيف تتعامل مع الناس، فإن كان فيها رحمةٌ، فهي من أهل النور، وإن كان فيها كِبَرٌ، فهي لا تزال في البداية.

يا خليفات الطريقة، اجعلنّ المريدات يفهمن أَنَّ الطريق ليس في الجلوس في الزوايا، بل في أن يكون لكل واحدةٍ أثرٌ في واقعها. فإن كانت تصلي، فليكن لصوتها وقعٌ طيبٌ في بيوت أهلها. وإن كانت تذكر الله، فليكن لكلامها أثرٌ جميلٌ فيمن حولها. فإن كنتِ تريدين أن تكوني من أهل الطريق حقاً، فلا تظنّي أَنَّ القرب من الله يكون في الأوراد فقط، بل هو في أن تكوني مصدر خيرٍ ورحمةٍ في الأرض. والسلام على من وعَت، وسلكت فارتقت.

مسألة (167): كيف تزن المريدة أثر سيرها في الطريق؟

الجواب: تزن أثر سيرها في ميزان المعاملة مع الخلق. فإن رأت نفسها لينة الجانب، رحيمة، متواضعة، متوازنة، عرفت أن نور الطريق قد بدأ يشرق في قلبها. وإن رأت كِبَرًا، أو قسوة، أو حباً للظهور، فهي لا تزال تحتاج إلى مجاهدة النفس. فالسير الحقيقي يُعرف بما تثمره العبادة من سلوك حسن، لا بكثرة الأعمال وحدها.



رسالة [41]: كيف تثبت الخليفة في طريقها رغم

الصعاب؟

يا خليفة، إنّ الطريق إلى الله ليس مفروشاً بالورود، ولا يُقطع بالأمانى، بل هو طريقٌ تتخلله الابتلاءات والمجاهدة، والعبد الذي يسير فيه لا بد أن يُختبر، فإن صبر، ارتقى، وإن جزع، توقف. فإن كنتَ تظنين أن السير سهلٌ، فاعلمي أنك لم تدركي بعد حكمته، فإن الله لا يمنح القرب بلا ابتلاء، ولا يرفع القلوب بلا امتحان، فإن كنتِ تريدين أن تصلي، فثبتي، فإن الثبات هو مفتاح كل مقامٍ روحيّ.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾⁽¹⁾. فانظري كيف أن الله جعل الابتلاء سنة في الطريق، وكيف أن الرسل سألوا عن النصر، فإن كنتِ تظنين أنك ستسيرين بلا محنة، فاعلمي أنك لم تفهمي بعد سرّ القرب.

يا خليفة، إنّ الصبر ليس استسلاماً، بل هو ثباتٌ في مواضع الشدة، فإن كنتِ تظنين أن الصبر يعني أن تقبلي الظلم، أو أن تستسلمي للعجز، فراجعِي نفسك، فإن الصبر الحق هو أن تثبتي على الحق، وأن تجاهدي نفسك إذا فترت، فإن كنتِ تصلين ثم تفترين، فثابري، وإن كنتِ تذكرين ثم يغلبك الفتور، فواصلِي، فإن القلوب لا تُصفى إلا بالمجاهدة، وإن الروح لا تُزهر إلا بالصبر.

قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ

قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ⁽¹⁾.
فانظري كيف جعل النبي الابتلاء علامة على محبة الله، فإن كنتِ
تمرين بمحنةٍ، فلا تظني أنها عقوبةٌ، بل هي بابٌ للترقي، فإن كنتِ
تفهمين الحكمة، فاسألي نفسك: ماذا يريد الله أن يُعلمني بهذا
البلاء؟ فإن كنتِ في ضيقٍ، فاعلمي أن بعده سعة، وإن كنتِ في
اختبارٍ، فاعلمي أن بعده نورا.

يا خليفة، إنَّ السير في الطريق يحتاج إلى قلبٍ قويٍّ، فإن كنتِ
تضعفين مع أول ابتلاءٍ، فكيف ستصلين إلى مقامات الصادقين؟
وإن كنتِ تجزعين عند أول اختبارٍ، فكيف ستفهمين معنى
السكينة؟ فإن كنتِ تريدين أن يكون لك نصيبٌ في هذا الطريق،
فاصبري، وجاهدي، ولا تيأسي، فإنَّ الله لا يضيع أجر الصابرات.

يروى أنَّ رابعة العدوية كانت تُبتلى بالفقر والمرض، ولكنها كانت
تقول: «إلهي، لا أسألك ردَّ القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه».
فانظري كيف أنَّها لم تكن تطلب أن تُرفع عنها المحنة، بل كانت
تطلب أن تكون قادرة على تحملها، فإن كنتِ تظنين أنَّ الكمال في
الراحة، فانظري إلى العارفات، كيف كنَّ أقوى من البلاء، وكيف كان
صبرهن سبباً في رفعتهن.

يا خليفات الطريقة، إنَّ بين أيديكن مريدات، فيهن من لم تدرك بعد
أنَّ الطريق ليس راحة، بل مجاهدة، وفيهن من تظن أنَّ كل محنةٍ
هي إبعادٌ عن الله، وفيهن من تحتاج إلى من يرشدها إلى أنَّ الصبر
ليس ضعفاً، بل هو عين القوة، فكنَّ لهن مرشدات. علمنهن أنَّ
القرب لا يُنال بالتمني، بل بالصبر، وأنَّ السير لا يكون بلا عزم. فإن

1 - الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم [2396]، ج4 ص202.

كنتِ تريدين أن تعرفي قيمة خليفة، فانظري كيف تواجه الصعاب، فإن كان فيها جَلَدٌ وثباتٌ، فهي من أهل الطريق، وإن كانت تتراجع عند المحن، فهي لا تزال في البداية.

يا خليفات الطريقة، اجعلن المريدات يفهمن أن الطريق يحتاج إلى نفسٍ صَبُورَةٍ، وإلى عزيمةٍ لا تضعف، فإن كنتِ تصلين، فاثبتي على صلاتكِ، وإن كنتِ تذكرين، فلا تقطعي وردكِ، فإن كنتِ تريدين أن تكوني من أهل الله، فاصبري، فإن من ثبت، وصل، ومن تراجع، ضاع عليه الطريق.

والسلام على من وعَت، وسلكت فارتقت.



مسألة (168): الثبات هو معيار صدق الطلب

الثبات في الطريق هو ميزان صدق المريد، فمن استقام في وقت الفرح كما استقام في وقت الشدة، دلَّ على أن قلبه معلقٌ بالله لا بالحال. فإن وجدتِ نفسك تميلين مع الأحداث، فرحاً وقت الرخاء، وجزعاً وقت البلاء، فراجعِي إخلاصكِ. فالصدق لا يظهر إلا عند الامتحان، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾⁽¹⁾.

مسألة (169): البلاء تصفيةٌ للنية وتطهيرٌ للنفس

يا خليفة، لا تحسبي أن البلاء نقمةٌ، بل هو رحمةٌ تنقي القلب من شوائب الدنيا، وتصرفه إلى الله وحده. فكل ألمٍ تتعرضين له، هو بابٌ لمراجعة نفسك، وتصحيح نيتك، وتهذيب رغبتك. فإنما يحب الله

1 - [آل عمران: 179]

لعبده أن يعود إليه طاهر السريرة، خالص النية، كما قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنَزِلَةً، لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ، ابْتِلَاهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ﴾⁽¹⁾.

مسألة (170): دوام الذكر وقت البلاء يورث السكينة

يا خليفة، إذا اشتد البلاء، فاثبتي على ذكرِك، فإنَّ الذكر هو حبل النجاة الذي يُنزل السكينة على القلب في وقت العاصفة. وإن رأيت قلبك يضطرب، فاستمسكي بحبل الذكر، فإنَّ المداومة عليه تجعل البلاء خفيفاً، والنفوس مطمئنة. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾⁽²⁾.

مسألة (171): صحبة الصالحين زاد الثبات

يا خليفة، إذا ثقل عليك حمل الطريق، فالتمسي صحبة من يذكرك بالله، ويشد أزرِك عند المحن، فإنَّ الصحبة الصالحة عونٌ للمريد والخليفة في زمن الفتور والابتلاء. فالمرء وحده يضعف، ولكن مع الجماعة يثبت ويقوى.

مسألة (172): الصبر الجميل لا شكوى فيه

يا خليفة، احرصي على أن يكون صبرك صبراً جميلاً، لا شكوى فيه لأحد من الخلق، بل شكواك تكون إلى الله وحده، كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾⁽³⁾. فاحفظي لسانك من الشكوى، وارفعي حاجتك للحق سبحانه، فهو الذي بيده الفرج.

1 - أبو داود، سنن أبي داود، ج5 ص8.

2 - [الرعد: 28]

3 - [يوسف: 86]

مسألة (173): الشكر وقت الشدة رفعة عظيمة

يا خليفة، إذا وُفِّتَ لأن تشكري الله في وقت المحنة، فاعلمي أن الله قد أكرمك بمقام رفيع، فإن أكثر الناس لا يحسنون الشكر إلا وقت النعمة، أما الصابر الشاكر في البلاء، فهو من أهل الاصطفاء. قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾⁽¹⁾.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَ خَلِيفَاتِنَا وَمُرِيدَاتِنَا، وَأَنْ يَمْنَحَهُنَّ
الصَّبْرَ الْجَمِيلَ وَالثَّبَاتَ الْكَامِلَ، حَتَّى يَبْلُغْنَ مَنَازِلَ الْقُرْبِ، إِنَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ



الفصل الثامن

الذكر والأوراد والرياضات الصوفية مفاتيح السير وأسرار التحقق

رسالة [42]: أهمية الوضوء والطهارة

يا مريد، إنّ الطهارة ليست مجرد غسل للجسد، بل هي صفاء للروح، واستعداداً للقاء الله، فإن كنت تريد أن يكون قلبك نقياً، فابدأ بجسّدك، وإن كنت تطلب النور في صلاتك، فاجعل وضوءك مفتاحه، فإنّ الوضوء ليس فقط إزالة للنجاسة، بل هو تهيئة للقلب ليكون في حضرة الله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾⁽¹⁾، فانظر كيف أنّ الله جعل الطهارة علامة على محبته، فإن كنت تريد القرب، فاجعل الطهارة جزءاً من حياتك، ولا تغفل عنها في أوقات الرخاء قبل الشدة.

يا مريد، إنّ وضوءك ليس مجرد غسل الأعضاء، بل هو غسل للغفلة، ورفع للحجب، فإن كنت تتوضأ دون استحضر النية، فاعلم أنّك قد أضعت جزءاً من النور، وإن كنت تتوضأ وتستشعر أنك تغسل ذنوبك مع كل قطرة ماء، فاعلم أنّك على الطريق، فإن النبي ﷺ قال: ﴿إذا توضأ العبد المسلم، أو المؤمن، فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء﴾⁽²⁾. فانظر كيف أنّ الوضوء ليس فقط طهارة ظاهرة، بل هو تطهير للذنوب، فإن كنت تريد أن تبدأ عبادتك بنقاء، فابدأها بوضوء خاشع، فإنّ القلوب التي تتوضأ بحضور تجد في صلاتها لذة لا يجدها الغافلون.

يا مريد، لا تكن من الذين يتوضؤون بلا روح، فإنّ الوضوء الذي يؤديه العبد بفتور لا يفتح له أبواب النور، وإن كنت تريد أن ترى أثر الوضوء في قلبك، فانظر إلى صلاتك، فإن وجدت فيها خشوعاً، فاعلم أنّ

1 - [البقرة: 222]

2 - مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم [244]، ج1 ص215.

وضوءك كان صادقاً، وإن وجدتَ فيها تشتتاً، فاعلم أنّك بحاجةٍ إلى أن تحسن وضوءك، فإنّ الوضوء هو مفتاح الصلاة، والصلاة هي مفتاح القرب، فإن كنتَ لا تتقن المفتاح، فكيف تفتح الباب؟ وإن كنتَ تجد في نفسك فتوراً، فجدد وضوءك حتى تجد فيه حياة لقلبك، فإنّ من اعتاد على الطهارة، اعتاد قلبه على القرب من الله.

يا مريد، إنّ الطهارة ليست فقط في الماء، بل هي في القلب، والنية، والعمل، فإن كنتَ تتوضأ وجسّدك نظيفاً، ولكن قلبك مشحونٌ بالغفلة، فاعلم أنّ طهارتك لم تكتمل. وإن كنتَ تريد أن يكون وضوءك سبباً في رفعك عند الله، فاجعل معه نية التوبة، فإنّ الله يحب القلوب الطاهرة كما يحب الأجساد الطاهرة. فإن كنتَ في الطريق، فاجعل طهارتك ظاهراً وباطناً، فإن كنتَ طاهراً في جسّدك وقلبك، كنتَ قريباً من الله. وإن كنتَ تريد أن تتذوق حلاوة الطهارة، فاجعلها عادة في حياتك، لا تؤديها فقط من أجل الصلاة، بل اجعلها عادة لتنقية روحك، فإنّ النفس التي تعيش في طهارة تجد النور يتجدد فيها كل يوم.

إن كنتَ تريد أن تبدأ يومك بنقاء، فابدأه بوضوء، وإن كنتَ تريد أن تختتم يومك بصفاء، فاجعل آخر عملك وضوء. فإنّ المريد الذي يكون دائم الطهارة، يكون دائم النور. وإن كنتَ تبحث عن طريق يجعلك في معية الله دائماً، فكن على وضوء في كل وقت، فإنّ الطاهرين في الدنيا هم الطاهرون في الآخرة، والمريد الذي يحافظ على وضوئه، يحافظ على قربهِ من الله.

يا مريد، لا تحرم نفسك من بركة الوضوء، فإنّ النبي ﷺ قال: ﴿لَا

يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ⁽¹⁾. فانظر كيف جعل النبي المداومة على الطهارة علامة على الإيمان، فإن كنت تريد أن يكون إيمانك قوياً، فاجعل الوضوء عادتك. فإن كنت تريد أن يكون لسانك ذاكراً، فاجعل يديك طاهرتين. وإن كنت تريد أن يكون قلبك عامراً بالنور، فاجعل وجهك دائم الطهارة. فإن الطاهرين في الدنيا هم الأقربون إلى الله في الآخرة. وإن كنت تريد أن يكون قلبك حيّاً، فحافظ على وضوئك كما تحافظ على أنفاسك، فإن الماء الذي تغتسل به هو سرٌّ من أسرار النور.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد سرّ الطهارة، وفيهم من يؤدي الوضوء بلا حضور، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ الوضوء ليس فقط إعداداً للصلاة، بل هو إعدادٌ للروح، فكونوا لهم مرشدين. علموهم أنّ الطهارة ليست عادة، بل هي عبادة، فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا من أهل القرب، فاجعلوهم يحرصون على الوضوء كما يحرصون على صلاتهم، فإنّ الطاهرين في الدنيا هم أهل النور في الآخرة. وإن كنتم تريدون أن يكون المريدون مستنيرين، فاغرسوا فيهم حب الطهارة، فإنّ القلب الذي تعود على الطهارة، لا يطيق أن يكون في حالة نجاسة، وإنّ النفس التي تعيش على الطهارة، تكون أقرب إلى الله من غيرها.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الطهارة ليست فقط ماء يُسكب، بل هي نورٌ يُسكب في القلب، فإن كنت ترى مريداً يتوضأ بلا روح، فذكره أنّ الوضوء هو بداية الاتصال بالله. وإن رأيت مريداً يتوضأ بلا تدبّر، فاجعله يستشعر أنّ الماء الذي يغسل به يزيل ذنوبه، فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى

1 - ابن ماجه، سنن ابن ماجه، حديث رقم [3940]، ج5 ص90.

قلبك عند وضوءك، فإن وجدته يستبشر به، فأنت على الحق، وإن
وجدته يؤديه بلا شعورٍ، فاجتهد حتى يكون وضوءك بداية النور، فإنَّ
الطريق إلى الله يبدأ بخطوةٍ، وأول خطوةٍ فيه هي الطهارة.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (174): الطهارة بداية السير إلى الله

الطهارة ليست غاية في ذاتها، بل هي مقدمة ضرورية للتهيئة إلى
مقام الحضور بين يدي الحق عزَّ وجلَّ. فمن أراد أن يكون قلبه نقياً،
فليبدأ بطهارة الجسم، لأنَّ صفاء الظاهر مدخلٌ إلى صفاء الباطن.
والوضوء هو غسلٌ للغفلة قبل أن يكون غسلًا للأعضاء، فإذا تطهَّر
المريد بالماء، وجب أن يصحب ذلك نية صافية بأن يغتسل قلبه
من أدران الغفلة والذنوب، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾⁽¹⁾، فكلما تطهَّر العبد، ازداد قرباً من
محبة الله.

مسألة (175): الطهارة الظاهرة لا تكمل إلا بالطهارة الباطنة

يا مريد، الطهارة الحقيقية لا تقتصر على نظافة الجسم، بل تشمل
القلب والنية والعمل. فإذا توضأت وأنت مشغولٌ بالدنيا، فاعلم أنَّ
طهارتك ناقصة. وإن أردت أن تنال الطهارة الكاملة، فلتصحب
وضوءك بنية التوبة الصادقة، والتوجه إلى الله بقلب طاهر من الغل
والحسد، حتى تكون ممن وصفهم الحق سبحانه بأنَّهم مَّطْهُرُونَ في
ظواهرهم وباطنهم، فتكون قريباً من مقام القرب والرضا.

مسألة (176): واجب الخلفاء في تعليم المريدين سرّ الطهارة
يا خلفاء الطريقة، إنّ من حق المريد على خليفته أن يعلمه أنّ
الوضوء ليس عادة بل عبادة عظيمة، وهو باب إلى نور الله. فذكّروا
المريدين أنّ الطهارة بداية السير، وأنها إعداد للقاء الحبيب، وليست
مجرد غسل بالماء. وإن وجدتم من يتوضأ بغير حضور، فردّوه إلى
استحضار أنّ الوضوء تطهير للذنوب، واغرسوا في قلوبهم أنّ من
عاش طاهراً، عاش قريباً، ومن عاش على وضوء، عاش في معية
الحق سبحانه. وإن كنتم تريدون أن يكونوا من أهل النور، فاجعلوهم
يحبون الطهارة حباً لا ينقطع، فهي سلّم الصعود إلى الحضرة الإلهية.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيدِينَا رِجَالًا وَنِسَاءً، مِنْ الْمُتَطَهِّرِينَ
فِي ظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ، وَآمِنْهُمْ الْحِكْمَةَ، وَالْبَصِيرَةَ، وَالنُّورَ،
وَأَعِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَتَطَهَّرُونَ بِمَحَبَّتِكَ

رسالة [43]: الصلاة والزكاة والصيام

يا مريد، إنّ الطريق إلى الله ليس مجرد أقوالٍ تُردّد، ولا مشاعر تُحس، بل هو أعمالٌ تُجسد العبودية لله، وإنّ من أعظم ما يُثبّت المريد في سيره أن يكون قائماً على أركان العبادة الكبرى: الصلاة، والزكاة، والصيام، فإن كنت تريد أن تكون مستقيماً في الطريق، فلا تهمل هذه الأركان، فإنها ليست فقط أعمالاً شرعية، بل هي مفاتيح تفتح لك أبواب القرب، وطُرق تنير لك السبيل.

الصلاة .. قلب لا يغفل:

يا مريد، إنّ الصلاة ليست حركاتٍ يؤديها العبد، بل هي لقاء بين الروح وربها، فإن كنت تصلي ولا تجد أثرها في قلبك، فاعلم أنك بحاجة إلى أن تعيد النظر في صلاتك، فإنّها إن أُقيمت بحق، نُهي العبد بها عن الفحشاء والمنكر، وإن أُديت بفتور، بقي القلب في غفلته. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف جعل الله الصلاة علاجاً للقلب، فإن كنت لا تجد في نفسك أثرها، فاجتهد حتى تكون صلاتك حياة لقلبك.

قال النبي ﷺ: ﴿أَرِحْنَا بِهَا يَا بَلال﴾⁽²⁾، فانظر كيف كانت الصلاة راحة لقلب النبي، فإن كنت تراها ثقيلة، فاعلم أنّ قلبك لم يتصل بعد، وإن كنت تستبشر بها، فاعلم أنك في الطريق الصحيح. فاجعل صلاتك مفتاحاً لكل همٍّ، وسراجاً لكل ظلمةٍ، فإنّ من كان قلبه معلقاً بالصلاة، كان قلبه حيّاً.

1 - [العنكبوت: 45]

2 - أبو داود، سنن أبي داود، ج7 ص338.

الزكاة - بركة الحياة:

يا مريد، إنّ المال إن لم يكن أداة للخير، كان فتنة لصاحبه، وإن كنت تظن أنّ ما تملكه هو لك وحدك، فاعلم أنّ في مالك حقاً للفقراء، وإن كنت من أهل الله، فاجعل يدك معطاءة، فإنّ المال الذي لا يُزكى يصبح وبلاً على صاحبه. وإن كنت تريد البركة، فلا تحجب زكاتك، فإنّ الله يُبارك لمن يعطي، ويُضيق على من يبخل.

قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾⁽¹⁾، فانظر كيف أنّ الزكاة ليست مجرد إعطاء المال، بل هي تطهير للقلب، فإن كنت تريد أن ترى أثر الزكاة في حياتك، فانظر إلى البركة، فإن وجدتتها، فاعلم أنّ يدك كانت كريمة، وإن كنت لا تجدها، فابحث عن تقصيرك في العطاء.

روي عن النبي ﷺ: ﴿دَاوُوا مَرَضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ﴾⁽²⁾، فانظر كيف جعل النبي العطاء باباً من أبواب الشفاء. فإن كنت تشكو قلقاً، أو همّاً، أو ضيقاً، فابحث عن محتاج وساعده، فإنّ الصدقة ترفع البلاء، وتجلب الرزق، وتطهر النفس من حب الدنيا.

الصيام.. مدرسة الصبر:

يا مريد، إنّ الصيام ليس فقط إمساكاً عن الطعام، بل هو انقطاع عن كل ما يبعدك عن الله، فإن كنت تصوم بجسدك، ولا تجد أثر الصيام في قلبك، فاعلم أنك بحاجة إلى أن تفهم روح الصيام، فإنّ الصائم الحق هو من يجوع، ولكن قلبه ممتلئ بالله، ومن يعطش، ولكن روحه تفيض بالنور، فإن كنت تريد أن يكون صيامك مقبولاً، فاجعل

1 - [التوبة: 103]

2 - الطبراني، المعجم الكبير، ج10 ص128.

صيامك تصفية لنفسك، لا فقط امتناعاً عن الشهوات.

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف جعل الله الصيام وسيلة للتقوى، فإن كنت لا تجد في نفسك ازدياداً في التقوى بعد صيامك، فاعلم أنك لم تصم كما ينبغي. فإن كنت تريد أن يكون لصيامك نور، فاجعل منه عبادة للقلب كما هو عبادة للجسد.

قال النبي ﷺ: ﴿لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ﴾⁽²⁾، فانظر كيف أن الصيام ليس مشقة، بل هو فرح، فإن كنت تجد في نفسك ثقلاً فيه، فاجتهد حتى يكون لك أنس به. فإن الصيام هو سرُّ بين العبد وربه، فإن كان صيامك صادقاً، كنت قريباً من الله. يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أن هذه العبادات ليست أعمالاً شكلية، بل هي أساس الطريق، ومفتاح الترقى، فإن كنتم تريدون لهم أن يسيروا إلى الله بحق، فذكروهم أن الصلاة ليست حركات، بل صلة، وأن الزكاة ليست مالاً يُخرج، بل تطهير للروح، وأن الصيام ليس جوعاً، بل مدرسة للنفس، فإن أدركوا هذه المعاني، كانوا من أهل الله حقاً.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (177): الصلاة صلة بين العبد وربه وليست عادة تؤدي

الصلاة في طريق السالكين هي باب الصلة بالله، وليست فقط حركات

1 - [البقرة: 183]

2 - البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، حديث رقم [1151]، ج3 ص158.

ظاهرية تؤدي بغير روح. فإذا قام المريد إلى صلاته وهو حاضر القلب، شعر بلذة القرب واطمأن قلبه بذكر الله. وإن صلى بقلب غافل، بقي أثرها محدوداً، فلم تثمر فيه خشية أو إصلاح. فمن أراد أن تكون صلاته مفتاحاً للقرب، فليجعل قلبه أول الداخلين إلى حضرة الله قبل جوارحه، وليتلذذ بالركوع والسجود كأنها مناجاة لا تمل.

مسألة (178): الزكاة تطهير للقلب قبل المال

الزكاة ليست فقط أداء مال للفقراء، بل هي طهارة للنفس من الشح وحب الدنيا. من جاد بماله لله طابت نفسه، وزكاه الله وزاد له في رزقه وبركته. الزكاة تطهير داخلي للعبد، لأنها تخفف من علائق التعلق بالدنيا وتدريب النفس على السخاء. فمن بخل زاد فقره الروحي، ومن أعطى طابت حياته ووجد أثر ذلك في قلبه وماله، كما قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾⁽¹⁾.

مسألة (179): الصيام عبادة تطهر النفس وتصفّي القلب

الصيام في حقيقته ليس امتناعاً عن الطعام والشراب فقط، بل هو تربية للنفس على التقوى والطهارة الباطنية. فالصائم الحق هو الذي يصوم عن كل ما لا يرضي الله، من قول أو فعل أو نظر، حتى يكون صيامه سبيلاً لترقية نفسه وكسر شهواتها. فمن وجد قلبه بعد الصيام أنقى وأقرب إلى الله، علم أنه صام كما يريد الله، ومن صام بجسده فقط دون قلبه، بقي على حاله ولم يستفد من الصيام إلا الجوع والعطش.

مسألة (180): أركان تثبت المريد في السير إلى الله

من أراد الثبات في طريق السلوك إلى الله، فعليه بالمحافظة على هذه الأركان الثلاثة، لأنها غذاء القلب والروح. الصلاة تهذب النفس وتورث الخشوع، والزكاة تطهر القلب من حب الدنيا، والصيام يقوي الإرادة ويعلم الصبر. لا يصح السير إلى الله لمن أهمل هذه الأركان، ولا يبلغ الفتح إلا من أداها بحققها، حاضر القلب، مخلص النية، عامر الفعل بالصدق والتجرد لله تعالى.

مسألة (181): واجب الخلفاء في تعليم المريدين حقيقة العبادات

الخلفاء مسؤولون عن تعليم المريدين أن الصلاة والزكاة والصيام ليست صوراً جامدة أو طقوساً شكلية، بل هي روح الطريق وأساس السير. عليهم أن يبينوا للمريدين أن الصلاة صلة، والزكاة تزكية، والصيام مجاهدة للنفس. ومن أهمل هذه الأركان في ظاهرها أو باطنها، ضعف حاله، وتعثر في طريق القرب، ومن اعتنى بها كان من أهل السلوك المستقيم. فليجعل الخلفاء هذه المعاني حاضرة في تربية السالكين، حتى يتأدبوا بآداب القرب، ويسيروا بنور العبودية إلى الله تعالى.



رسالة [44]: الفكر في الذكر

يا مريدي الطريق، يا طلاب الحقيقة، اعلّموا أنّ الذكر ليس تردّاداً بلا وعي، ولا أعداداً تُحصى، ولا أوراذاً تُكرر، إنما هو مشكاة تُضيء ظلمات النفس، وسُلّمٌ للترقي في مدارج العلم والفهم.

إنّ كثيراً منكم يجتهد في الذكر، يطيل القيام، ويسهر الليالي، ولكنه لا يسأل نفسه: هل زادت بصيرتي؟ هل تطهرت نفسي من الأوهام؟ هل تحررت روعي من العادات التي ورثتها بلا تمحيص؟ فاعلموا أنّ من لا يسأل، لا يُعطى، ومن لا يدق باب لا يأتيه جواب. فمن أراد أن يُفتح له، فليتفكر في ذكره، وليجعل قلبه حاضراً في أثره، فإنّ الطريق إلى الله أعظم من أن يكون ميداناً لتكديس المحفوظات، أو سجلاً لتعداد الأوراد، إلّا لمن شاء ذلك منكم، إذ لكل ما أراد.

فيا مريد، الذكر بلا فكرٍ حركةٌ بلا روح، فمن سار في الطريق دون أن يتفكر، ظنّ أنه يمضي، لكنه يراوح في محله، لم يتحرك إلّا في ظاهره، وبقي قلبه في مكانه.

لقد شهد أهل الحال من خلفائنا ومريدنا في أنفسهم مراراً أنهم كلّما رأوا شيخهم بدا لهم وكأنهم يرونه أول مرة، مع إنّ صورته هي هي، وما ذاك إلّا أنّ قلبه يتقلب مع الحق، فهو في تجدد دائم مع الانفاس، وأهل السير والسلوك وقوف أمامه في التباس. قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾⁽¹⁾.

الحركة في الطريقة يا مريد حركتان: حركة الذكر في الأبدان، وحركة القلب في العرفان. فتحرك يرحمك الله، تحرك، فالبركة كل البركة في الحركة. كن متحركاً أي: ذاكراً بعقلك كما تذكر بلسانك، وانغمس في

الأسماء كما ترددها، ثمَّ أسأل نفسك بعد تسبيحك: أي باب أطرق؟ وأي حجاب أرفع؟ وأي نور أستقبل؟ وأي زيادة حصلت؟ وأي اثر تحققت؟ وأي عائق أزلت؟ وأي علم نلت؟ ...

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين أنّ الذكر حياة لا عادة، وأنّ الفكر في الذكر هو الذي يجعله نوراً ممتداً في الروح. وأخبروهم أنّ الله لا يفتح إلّا لمن طلب، ولا يمنح إلّا لمن سأل، فمن دق الباب، جاءه الجواب. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (182): الذكر بلا فكر حركة بلا روح

الذكر الذي لا تصحبه بصيرة ولا تدبّر، هو كجسد بلا روح، يتحرك في الظاهر ولا ينمو في الباطن. من اقتصر على تكرار الألفاظ دون أن يربطها بفهم ووعي، فإنّما يراوح في مكانه، يحسب نفسه في مسير، وهو باقي حيث كان. فالمرید الحق هو من يجعل ذكره بوابة للفهم، ويجعل كل تسبيحة سلماً يرقى به إلى علم جديد، وحال أرقى. الذكر إن لم يثمر نوراً في الفكر، ووعياً في القلب، فهو كالسراج الذي لا زيت فيه.

مسألة (183): التفكير في الذكر باب الفتح والفهم

من دأب على الذكر، ثم جلس يتأمل أثره على نفسه، ويتساءل: ماذا تظهرت؟ ماذا زدتُ علماً؟ ماذا أزحت من حجاب؟ كان ساعياً إلى الله على بصيرة. فإنّ الله لا يفتح إلّا لمن سأل، ولا يعطي إلّا لمن طلب، كما جاء في الأثر: "من دق الباب، فُتح له". وكل ذكر لا يعقبه فكر، هو ذكر ناقص، أما إذا صحبه سؤال وطلب وفهم، صار نوراً يزداد ويترقى به العبد في مدارج العرفان.

مسألة (184): حركة الذكر في الجسم، وحركة الفكر في القلب

السير إلى الله حركتان: حركة الجوارح بالذكر، وحركة القلب بالفهم والعرفان. فمن اقتصر على تحريك اللسان، وفاته تحريك القلب، فقد ضيّع نصف الطريق. ومن جمع بين الحركتين، ذكراً حياً وقلباً واعياً، كان في تجديد دائم مع أنفاسه، كما يتجدد أهل المعرفة، الذين إذا نظروا إلى شيخهم رأوه كأنهم ينظرون إليه أول مرة، وما ذاك إلا لأن الأرواح الحاضرة في الذكر، تتقلب بنور الحق في كل لمحة.

مسألة (185): البركة في الحركة المستنيرة لا في التكرار المجرد

البركة كل البركة في الحركة، لا في الجمود، وليس كل تحريك يثمر، بل الحركة التي يرافقها حضور القلب، وسؤال النفس بعد كل ذكر: ماذا استفدت؟ وأي حجاب زال؟ وأي نور دخل؟ ومن بقي غافلاً عن هذا التفكير، حُرِمَ بركة الحركة، وظلّ يردد بلسانه، دون أن يفتح له باب في قلبه. أما من تحرك بلسانه وقلبه معاً، كانت حركته سبباً في قربهِ وزيادة نوره.

مسألة (186): وظيفة الخلفاء في تعليم المريدين حقيقة الذكر

يا خلفاء الطريقة، عليكم أن تُبَصِّرُوا المريدين أنّ الذكر ليس عادة محفوظة ولا أعداداً تُعد، بل هو حياة تُعاش، ونورٌ يُلتَمَس. علموهم أنّ الفكر في الذكر هو الذي يفتح أبواب المعرفة، وأنّ الله لا يمنح إلا لمن دقّ الباب بصدق السائلين. فمن عوّد لسانه الذكر، وعوّد قلبه الفكر، صار من السائرين إلى الله على بصيرة، ونال الفتح والنور في الدنيا قبل الآخرة.

مسألة (187): متى يكون التفكير في الذكر؟

الجواب: الذكر مراحل لا تَفَاضِل بينها، ومنها اثنان: فعلٌ وجزاء، بذل وأخذ. ففي المرحلة الأولى، وهي مرحلة الفعل، يجب على المريد أن يلتزم بآداب الذكر كاملة، من الطهارة، والتوجه القلبي الذي نسميه الرابطة الروحية، والتقيد بصيغ وأعدادٍ محددة، والانهماك التام في الذكر كفعلٍ بلا تفكير، بل بتوظيف كل القوة والهمة في تحقيق الأداء بإتقانٍ تام. ففي هذه اللحظات، لا مجال للعقل في التدبر، وإنما يكون القلب كله منصباً على الحضور في الذكر، متصلاً بالرابطة، ليجري الذكر في روحه كما يجري الدم في العروق.

أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة الهدوء والسكون والعودة إلى النفس والواقع، وهنا يكون التفكير مطلوباً، حيث يراجع المريد ما جرى، فيفتش في باطنه عن الأثر الذي تركه الذكر. فإن وجد في نفسه زيادة في الفهم، أو فتحاً في البصيرة، أو إجابة لسؤالٍ قد شغل باله قبل الذكر، فقد حصل له من الذكر علمٌ جديد، وصار ببركته عالماً به، مستنيراً بنوره.

أما إن لم يجد في نفسه أمراً جديداً، فليطمئن أن أجره محفوظ، وليعلم أن هناك حاجباً قد منعه من العلم، قد لا يكون مدركاً له بعد. فعليه أن يوطن العزم في الذكر القادم أن يلتمس معرفة هذا الحجاب، أو أن يعمل على رفعه، حتى يتحقق له العلم الذي يفتح له أبواب الفهم والفتح.

مسألة (188): لماذا البركة كل البركة في الحركة ؟

الجواب: البركة هي حصول خيرٍ مضافٍ أو متنوع من فعلٍ واحد، فهي ليست مجرد الأجر المحفوظ، بل هي أن يُثمر العمل الواحد فضلاً زائداً، أو أن يجمع للعبد بين أكثر من منفعةٍ في آنٍ واحد، قال

تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾⁽¹⁾، فقرن البركة بما بالخير المضاف .

فإذا اقتصر المريد على الذكر دون الفكر، فقد أدّى عملاً حسناً، لكنه قد فوّت على نفسه فضلاً آخر كان قريباً منه، وكان يمكن أن يناله لو أضاف التفكير إلى الذكر. فيخلف البركة وراءه. لأنه لم يأخذ منه إلا جانباً واحداً، وكان في متناول يده أن يجني منه خيرين في فعل واحد. أما إذا تحرك المريد بالذكر والفكر معاً، فإنّه في عمل واحد يحصل على نعمتين، أو فضلين، أو خيرين: ذكر ينور قلبه، وفكر يفتح له باب العلم. وهذا هو سر ارتباط البركة بالحركة، فمن تحرك في طريق الله بوعي وعمل، كان عمله أوسع أثراً، وأعظم ثمرة، وأقرب إلى الفتح.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ ذِكْرَ خُلَفَائِنَا وَمُرِيدِينَا، رِجَالًا وَنِسَاءً، عَامِرًا
بِالْحُضُورِ، وَفِكْرَهُمْ مُسْتَنِيرًا بِنُورِكَ، وَافْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ الْفَهْمِ
كَمَا فَتَحْتَ لَهُمْ أَبْوَابَ الذِّكْرِ، حَتَّى يَكُونَ سَيْرُهُمْ إِلَيْكَ عَلَى
بَصِيرَةٍ

رسالة [45]: الرياضة الصوفيّة.. تهذيب النفس وترويض

الجسم

يا مريد، إنّ الطريق إلى الله ليس سلوك القلب وحده، بل هو سلوك الجسم والروح معاً، فإنّ النفس إن لم تُهذَّب، والجسم إن لم يُروّض، فإنّ القلب لن يستطيع أن يسير بثباتٍ في الطريق. فكما أنّ الجسم بحاجةٍ إلى طعامٍ يبقّيه حياً، فإنّ الروح بحاجةٍ إلى رياضةٍ ترفعها، وإنّ المريد الذي يهتم بجسده دون قلبه، يبقى في أسر الدنيا، وإنّ المريد الذي يهمل جسمه بإسم الروح، فإنه يضعف، فيتعثّر في السير. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾⁽¹⁾. فانظر كيف جعل الله المجاهدة سبباً للهداية، فإن كنت تريد أن تُهدى إلى طريق الله، فابدأ بمجاهدة نفسك، وجسدك، وهواك.

يا مريد، إنّ الرياضة الصوفية ليست مجرد تمريناتٍ بدنية، ولا مجرد رياضاتٍ روحيةٍ بلا أثرٍ ظاهر، بل هي توازنٌ بين القوة الجسمية والرقى الروحي، فإنّ الجسم إذا كان ضعيفاً، ضعف معه العزم، وإذا كان قوياً بغير تهذيبٍ، طغى على النفس. فإن كنت في طريق الله، فاجعل نفسك بين الحزم واللين، فإن كان الجسم معتاداً على الراحة، فعوده المشقة، وإن كانت النفس تستسلم للشهوات، فعودها الانضباط، فإنّ الطريق ليس لمن يُسائر رغباته، بل لمن يضبط نفسه، فإن لم تستطع أن تحكم نفسك، فكيف تريد أن تسير إلى الله؟ وإن لم تكن لديك عزيمةٌ على ضبط نفسك، فكيف يكون لك عزيمةٌ على الثبات في الطريق؟ قال النبي ﷺ: ﴿الْمُؤْمِنُ

1 - [العنكبوت: 69]

الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ﴿١﴾،
فانظر كيف أنَّ القوة ليست مذمومة، بل هي خيرٌ إذا كانت في طاعة
الله تعالى، فإن كنت تريد أن تكون من أهل الله تعالى، فاجعل
لجسمك نصيباً من الرياضة، فإنَّ النفس التي لا تعرف إلا الراحة،
تضعف عند أدنى بلاءٍ، وإنَّ النفس التي تعودت على التحدي، تصمد
في الطريق. فإن كنت ترى نفسك تميل إلى الكسل، فاعلم أنك
بحاجةٍ إلى رياضةٍ ترفع همتك، وإن كنت تجد في نفسك قوة بلا
تهذيبٍ، فاجعل القوة لله، واضبطها بميزان الحكمة.

يا مريد، إنَّ الرياضة الصوفية ليست فقط تقشفاً أو حرماناً، بل هي
تدريبٌ على التوازن، فإن كان المريد يأكل بلا ضبط، فلن يستطيع
أن يتحكم في نفسه، وإن كان ينام بلا نظامٍ، فلن يستطيع أن يقوم
لذكره، فإن كنت تريد أن ترى أثر الرياضة، فانظر إلى نفسك، فإن
كنت تشعر بالخفة والنشاط في العبادة، فأنت في الطريق الصحيح،
وإن كنت تشعر أنَّ جسدك يثقل عليك، فاعلم أنك بحاجةٍ إلى
تهذيب نفسك، فإنَّ الجسم هو مركبٌ للروح، فإن لم يكن الجسم
مستعداً، بقيت الروح مقيدة. يروى عن أحد العارفين أنه قال: «من
ملك نفسه عند الطعام، وملك نفسه عند الغضب، وملك نفسه
عند الراحة، فقد أخذ بزمام الطريق»، فانظر كيف أنَّ السيطرة على
الجسم ليست تحكماً فيه فقط، بل هي تحريراً للنفس من سيطرته،
فإن كنت في سيرك، فانظر: هل أنت منضبطٌ في طعامك؟ هل تقوم
لصلاتك وأورادك دون كسل؟ هل تستطيع أن تتحكم في شهواتك؟
فإن كنت كذلك، فأنت تسير بثباتٍ، وإن كنت تجد نفسك أسيراً
لعاداتك، فابدأ بالرياضة نفسك حتى تتحرر. وإن كنت تريد أن ترى

1 - مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم [2664]، ج8 ص56.

كيف ترتقي، فانظر إلى مدى قدرتك على مجاهدة نفسك في كل صغيرة وكبيرة، فإنّ المجاهدة لا تكون فقط في الأمور العظيمة، بل في تفاصيل الحياة كلها.

يا مريد، إنّ الرياضة ليست فقط في الطعام والشراب، بل هي في كل شيء، فإن كنت سريع الغضب، فعود نفسك على الحلم، وإن كنت تستعجل الأمور، فعود نفسك على الصبر، وإن كنت تملّ من الذكر، فعود نفسك على الاستمرار، فإنّ الرياضة ليست فقط مجاهدة الجسم، بل هي تدريبٌ للنفس على الاستقامة، فإن كنت تريد أن تسير إلى الله، فابدأ بإصلاح نفسك، فإنّ النفس التي تعودت على الرياضة، تشتاق إلى المجاهدة، ولا تجد في الطاعة مشقة، بل تجد فيها لذة.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ الطريق يحتاج إلى قوة في النفس والجسم، وفيهم من يظن أنّ التصوف هو راحة دائمة، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ الرياضة ليست تعذيباً، بل هي تحريرٌ من العادات التي تقيد النفس، فكونوا لهم مرشدين. علموهم أنّ الرياضة ليست فقط في الجسم، بل هي في العزيمة، فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا ثابتين في الطريق، فاجعلوا لهم تمرينات في الصبر، والجوع، وكظم الغيظ، والعمل بلا شكوى، فإنّ الطريق يحتاج إلى نفوس قوية لا تتراجع عند أول تعبٍ.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الرياضة ليست ترفاً، بل هي ضرورةٌ لئلاّ، فإن كنت ترى مريداً يستسلم للراحة، فذكره أنّ المريد لا يصل بلا مجاهدة، وإن رأيت مريداً يهمل بدنه، فذكره أنّ الجسم إن ضُعب، ضُعب معه السعي. فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى نفسك عند المشقة، فإن كنت

تستسلم، فاجتهد حتى تصبح المجاهدة لك عادة، وإن كنت تجد فيها لذة، فاعلم أنك قد بدأت تفهم سر الرياضة.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (189): مجاهدة النفس والجسم أساس الثبات في الطريق
الطريق إلى الله يتطلب جهاد النفس وترويض الجسم معاً، فلا يكفي أن يسلك القلب وحده بينما الجسم متراخ، ولا أن يكون الجسم نشيطاً بلا صفاء في الروح. من أهمل رياضة النفس ضعف عزمه، ومن أهمل رياضة الجسم تعثر خطوه. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾⁽¹⁾، والمجاهدة هنا تشمل النفس والبدن والهوى. فمن جاهد في كل ذلك، هُدي إلى سبيله سبحانه.

مسألة (190): التوازن والوعي في تطبيق الرياضات الصوفية
يا مريد، إذا وضع شيخ الطريقة لك منهجاً في الرياضات الصوفية، فاعلم أن هذا المنهج لم يُشرَّع إلا بحكمة وبصيرة، مراعيّاً فيه أحوال النفوس وأحوال الأجسام، حتى يكون وسيلة لتهديب النفس وترويض الجسم معاً. ولكن الواجب على المريد أن يطبق هذا المنهج بوعي ورعاية دائمة للتوازن في نفسه، فلا يكون تنفيذه بطريقة صماء يغيب عنها العقل، ولا برتابة تُذهب روح المجاهدة. فإن الرياضة الصوفية ما وُضعت إلا لتصفية القلب وتقوية العزيمة، فإذا أثقلت على نفسك أو على جسمك بغير بصيرة، ربما انقطع بك السير، وضعفت عزيمتك، وذهب عنك سر المجاهدة. راقب أثر الرياضة على قلبك، فإن رأيت قلبك ينشرح، وروحك تأنس،

وجسمك يزداد نشاطاً في العبادة، فاثبت على ذلك. وإن وجدت نفسك تتكلف فوق الطاقة، أو شعرت أن جسمك يضعف عن أداء فرائض الطريق، فراجع شيخك، واستمد من نوره التوجيه والتعديل. فالرياضة في الطريقة ليست مغالبة للنفس بلا حكمة، ولا تحميلاً للجسم فوق وسعته، بل هي سلوكٌ متزنٌ، يجمع بين الحزم والرحمة، وبين الانضباط والرأفة بالنفس والجسم معا.

مسألة (191): قوة الجسم وسيلة لخدمة الطريق إلى الله
القوة في الجسم نعمة إذا استُعملت في الطاعة. قال النبي ﷺ: ﴿الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ﴾⁽¹⁾.
والقوة هنا ليست فقط قوة البدن، بل قوة الإرادة والهمة. المريد الذي يقوّي بدنه بالرياضة معتدلة، ويهذب نفسه بصدق المجاهدة، يثبّت في طريق الله، ولا تضعفه مشقة، ولا يردّه تعب. فمن وجد في نفسه ميلاً للكسل، فهو في حاجة لرياضة تحرك همته وتقوي عزمته، حتى لا تعوقه دنياه عن السير إلى مولاه.

مسألة (192): الرياضة الصوفية تحرير للنفس لا تعذيب لها
الرياضة الصوفية تهدف إلى تحرير النفس من قيود العادات والشهوات، لا إلى تعذيبها. من ملك نفسه عند طعامه، وفي غضبه، وعند راحته، فقد أخذ بزمام الطريق. السالك الحق هو الذي يضبط نفسه في كل أحواله، فلا يتركها تسترسل في شهوة، ولا تستعجل أمراً، بل يعودها الحلم والصبر والثبات. كل ذلك ليس من باب الحرمان، بل من باب إعداد النفس لتكون مطمئنة بالله، قادرة على

1 - مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم [2664]، ج8 ص56.

المجاهدة، لا تجد في الطاعة مشقة، بل تجد فيها أنساً ولذة.

مسألة (193): واجب الخلفاء في التربية على الرياضة الصوفية
يا خلفاء الطريقة، عليكم أن تعلموا المريدين أنّ الرياضة الصوفية
ليست ترفاً، بل ضرورة لطالب القرب. ذكّروهم أنّ النفس التي لم
تُعوّد الصبر والجوع وكظم الغيظ والعمل بلا شكوى، ستراجع عند
أول تعب. وإن وجدتم مريداً يستسلم للراحة، فنبهوه أنّ المجاهدة
هي طريق الوصول، وإن وجدتم من يهمل بدنه فذكّروه أنّ ضعفه
يعوقه عن إتمام السير. كل مريد لا يتذوق لذة المجاهدة لم يفهم
بعد سر الطريق، ومن وجد في الجهد سكينه، فهو على أولى درجات
الفتح.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيدِينَ، رِجَالًا وَنِسَاءً، مِنَ الَّذِينَ
يُجَاهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ لَكَ، وَلَا تَجْعَلَهُمْ مِنَ الَّذِينَ تَسْتَعْبِدُهُمُ
الشَّهَوَاتُ، وَأَمْنَحَهُمُ الْحِكْمَةَ، وَالْبَصِيرَةَ، وَالنُّورَ، وَأَعِنَّهُمْ عَلَى
أَنْ يَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَرَوْضُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَحَبَّتِكَ، وَيَسِيرُونَ إِلَيْكَ
بِعَزَائِمٍ ثَابِتَةٍ

رسالة [46]: أهمية حلقات الذكر في التكية.. مجالس

النور والتربية الروحية

يا مريد، إنّ القلب لا يصفو إلّا بذكر الله، وإنّ الروح لا تزكو إلّا في مجالس النور. فإن كنت تبحث عن سكينّة تغمر قلبك، وعن نورٍ يمحو ظلمات نفسك، فاجعل لك قدماً ثابتة في حلقات الذكر، فإنها محافل الملائكة، ومجالس القرب، وموائد أهل الطريق. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾⁽¹⁾، فانظر كيف أمر الله بالذكر الكثير، فإن المجالس التي تعمّر بذكر الله، تعمّر بالرحمة، وتُطهّر النفوس من الغفلة، وتكون رياضاً تفوح منها رائحة القرب.

يا مريد، إنّ التكية ليست جدراناً يؤوى إليها، ولا مكاناً للراحة والاسترخاء، بل هي منارةٌ روحيةٌ تنبعث منها أنوار الذكر، وأصوات القلوب المخبّئة، فإن كنت تظن أنّ الطريق يُقطع وحدك، فاعلم أنك بحاجةٌ إلى مجالسة الذاكرين، فإنّ الذكر الجماعي يفتح للقلب أبواباً لم يكن ليفتحها بمفرده، ويقوي الهمة، ويرفع الغفلة، فإن كنت من أهل الله، فكن من أهل مجالس الذكر. فإنّ حضورك فيها ليس لك وحدك، بل هو لك ولمن حولك، فإنّ الذكر حين يتردد في القلوب، ينعكس على الأرواح، فتُشرق النفوس وتتحلر من قيود الغفلة، فإن كنت تريد أن تعرف نفسك، فانظر كيف تتفاعل روحك في تلك المجالس، فإن وجدت فيها حياة، فأنت حيٌّ بالله، وإن وجدت فيها ثقلاً، فاسأل الله أن يفتح لك باب القبول.

قال النبي ﷺ: ﴿مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ،

وَعَشِيَّتَهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ⁽¹⁾. فانظر كيف جعل النبي مجالس الذكر محلاً للرحمة والسكينة. فإن كنت تشعر بالضيق في قلبك، فابحث عن حلقة ذكر، وإن كنت تشعر أنّ روحك مثقلة بالهموم، فانضم إلى مجالس النور، فإنّ فيها دواء لا تجده في غيرها. فكم من مريدٍ دخل إلى التكية بقلب مليء بالحزن، فخرج منها بروح نقية، وكم من سالكٍ ظنّ أنه بعيدٌ عن الله، فوجد في الذكر طريق العودة، فإن كنت تسير وحدك فتعثرت، فاجعل الذكر جماعة عوناً لك حتى تنهض.

يا مريد، إنّ ذكر الله في الجماعة يُحيي القلب كما تُحيي الأمطار الأرض الجافة، فإن كنت تذكر الله وحدك، فذلك فضلٌ عظيمٌ، ولكن إن انضمت إلى الذاكرين، ازددت نوراً على نور، فإنّ القلوب تتواسى، والأرواح تتعاضد، والهمم ترتفع حين يجتمع المريدون على ذكر الله، فإن كنت في شكٍ، فانظر إلى نفسك بعد مجلس الذكر، كيف تجد في قلبك سكينة لم تكن تجدها قبل ذلك، وكيف تجد في روحك خفة كأنك تحررت من أثقالٍ كانت ترهقك. فإن كنت تطلب السكينة، فالزم مجالس الذكر، فإنها رياض الجنة في الأرض، وإذا كانت الأرواح تشعر بالغربة في الدنيا، فإنّها في حلقات الذكر تجد وطنها.

يروى أنّ أحد السالكين سئل: «ما سرّ تعلقك بحلقات الذكر؟»، فقال: «إني دخلتها يوماً وأنا مثقلٌ بالذنوب، فخرجت منها وأنا أحب الله أكثر من نفسي». فانظر كيف أنّ مجالس الذكر ليست مجرد تجمعاتٍ، بل هي محطاتٌ يُولد فيها الحب، وتُطهر فيها القلوب، فإن كنت تريد أن تعرف مقامك عند الله، فانظر إلى قلبك في مجالس الذكر، فإن وجدته حاضراً، فأنت قريبٌ، وإن وجدته غائباً، فاجتهد حتى

1 - أحمد بن حنبل، مسند أحمد، حديث رقم [11892]، ج 18 ص 389.

تكون من أهل القرب. فإنّ الذكر هو باب الروح إلى أنوار السماء، فمن أغلقه على نفسه، بقي في ظلمة، ومن فتحه، وجد الطريق.

يا مريد، لا تكن من الغافلين عن حلقات الذكر، فإنّ الغفلة هي موت القلوب، وإنّ ذكر الله هو حياة الأرواح. فإن كنت ترى أنك تستطيع أن تسير وحدك، فاعلم أنّ الذكر الجماعي يقوي ضعفك، ويسندك حين تتراجع، ويجدد همتك حين تفتر. فإن كنت تبحث عن قوة في قلبك، فلا تتأخر عن حلقات الذكر، فإنها مفتاح الاستقامة. فكم من قلب غافل دخل إلى التكية، فخرج منها مستنيراً، وكم من مريد وجد في مجالس الذكر عزاء لم يجده في مجالس الناس. فإن كنت تشعر أنك ضعيف، فالتحق بمجالس أهل القوة، فإنّ قوة الذاكرين ترفع الغافلين. وإذا كنت في ظلمة، فابحث عن جماعة من الذاكرين، فإنهم كالمصابيح في ليل الطريق.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد قيمة الذكر الجماعي، وفيهم من يظن أنّ التكية مكان للراحة لا مكان للعمل على النفس، وفيهم من يحتاج إلى من يأخذ بيده إلى رياض النور، فكونوا لهم مرشدين. علموهم أنّ مجالس الذكر ليست عادة تُمارس، بل هي حياة تُستمد، ونور يُستضاء به، فإن كنتم تريدون أن يكون لكم أثر في نفوسهم، فاجعلوا التكية مركزاً للذكر الحي، لا مكاناً للتجمع فقط، فإنّ الذكر إن غاب، غابت الروح، وإن حُضر، امتلأت القلوب بالحياة. وإن كنتم تبحثون عن علامات القرب، فانظروا إلى قلوب المريدين بعد مجالس الذكر، فإن وجدت فيها طمأنينة، فاعلموا أنّ الطريق حيّ، وإن وجدتم فيها غفلة، فاجتهدوا في إحياء المجالس بالنور والصدق.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الذكر ليس مجرد ترديد للكلمات، بل هو حضور في القلب، واتصال بالله. فإن كنت

تذكر بلسانك وقلبك غائب، فاعلم أنّ الذكر لم يثمر فيك بعد، وإن كنت تذكر وقلبك يخفق بحب الله، فأنت في مقامٍ عظيم، فإن كنت تريد أن تعرف هل أنت في الطريق الصحيح، فانظر إلى قلبك في مجالس الذكر، فإن وجدته في سكينة، فأنت على الحق، وإن وجدته في غفلة، فاستعن بالله حتى تصل.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (194): التكية مجالس ذكر لا مجالس راحة

يا مريد، اعلم أنّ التكية في طريق أهل الله ليست مكاناً للجلوس والراحة، بل هي محراب للذاكرين، وساحة للتربية الروحية. من دخل التكية بنية العمل على نفسه، وتربية قلبه بالذكر، رجع منها وقد استنار بنور الله. أما من ظنها مجلساً للحديث أو الراحة، فقد حرم نفسه من بركتها. فالتكية موطن تطهير القلوب، وفيها مجالس الذكر التي تنزل فيها الرحمة، وتحفها الملائكة، فاجعل حضورك فيها حضوراً ذاكراً لا غافلاً، متأدباً لا لاهياً.

مسألة (195): الذكر الجماعي يفتح أبواب النور

الذكر بين أهل التكية جماعة، أعظم أثراً وأقوى مدداً من الذكر الفردي. لأنّ الذكر حين يلتقي فيه اللسان والقلب والجماعة، تشرق الأرواح ويزداد النور. فمن جلس في مجلس ذكرٍ حي، شعر بانسراح في صدره، وزوال للهموم، وقوة على الطاعة لا يجدها وحده. فكم من قلب كان بعيداً، فقربه الله ببركة الذكر الجماعي، وكم من مريد دخل حلقة الذكر مثقلاً بالذنوب، فخرج منها طاهر القلب نقي السريرة.

مسألة (196): مجالس الذكر رياض للجنة في الأرض

يا مريد، اعلم أنّ حلقات الذكر التي تتعقد في التكايا هي رياض للجنة، من جلس فيها ذاق طعم القرب، ووجد سكينة لا يشبهها شيء في الدنيا. قال النبي ﷺ: ﴿إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعَوْا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حَلَقُ الذِّكْرِ﴾⁽¹⁾. فليكن حضورك إليها بنية النهل من هذا الخير، واجعل قلبك يقظاً حاضراً، فإن غفلت، فاستغفر، وإن وجدت سكينة، فاحمد الله على هذا الفتح.

مسألة (197): الذكر ليس ترديد ألفاظ بل حضور قلب

الذكر في طريق القوم ليس مجرد كلمات تتكرر على اللسان، بل هو حضور كامل للقلب مع الله. فمن اقتصر على التردد دون حضور، لم يجد ثمرة الذكر. أما من استشعر أنه بين يدي الله، يذكره بلسانه ويشهده بقلبه، فذلك هو الذكر الحق الذي يجلب النور. إن وجدت قلبك حاضراً في مجالس الذكر، فاعلم أنك تسير في النور، وإن وجدت قلبك غافلاً، فاجتهد في مجاهدة نفسك حتى يفتح الله عليك.

مسألة (198): واجب الخلفاء إحياء التكايا بذكر الله

يا خلفاء الطريقة، إنّ التكية التي لا يعمرها الذكر، تموت روحها، فلا تكون إلا بناء بلا روح. واجبكم أن تُحيوا هذه المجالس بالذكر الحي، وتدعوا المريدين إليها، وتبينوا لهم أنّ الذكر حياة القلوب، ونور للروح. فمن وجد في التكية روح الذكر، تعلق قلبه بها، وسعى إليها شوقاً. علّموا المريدين أنّ الذكر الجماعي يقوي العزائم، ويجدد الهمم، ويرفع الغفلة. وإن وجدتم مجلساً خمد فيه النور، فأحيوا فيه حياة القلوب بالذكر الصادق، حتى يعود النور، وتدب فيه روح المحبة.

1 - الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم [3510]، ج5 ص488.

رسالة [47]: الأوراد والتسابيح الخاصة في الطريقة..

مفاتيح الإمداد

يا مرید، إِنَّ الطریق إلى الله ليس مجرد خطواتٍ تُقطع بالأقدام، بل هو تربيةٌ تُصقل فيها القلوب، وتُرتقى فيها الأرواح. وليس في الطريق زادٌ أعظم من الذكر، ولا سراجٌ ينير ظلمته مثل الأوراد والتسابيح، فإن كنتَ تريد الوصول، فاجعل لك ورداً ثابتاً، يكون لك منه نصيبٌ في كل يومٍ وليلة، فإنه غذاء الروح، وسرُّ الترقى، وبابٌ مفتوحٌ لمن أراد القرب من الله. قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾⁽¹⁾ فانظر كيف أمر الله عباده بالإكثار من الذكر، فإن القلوب لا تحيا إلا به، والأرواح لا تزكو إلا بنوره.

يا مرید، إِنَّ الأوراد ليست مجرد كلماتٍ تُردد باللسان، بل هي طريقٌ لفتح القلب على نور الله، فإن كنتَ تذكر وأنت غافلٌ، فاعلم أن وردك لم يؤت ثماره بعد، وإن كنتَ تذكر وقلبك يخفق بحب الله، فاعلم أنك على الطريق. فإن كنتَ تريد أن تتذوق حلاوة الذكر، فاجعل وردك في كل وقتٍ، حتى يصبح جزءاً من حياتك، فإن من كان له وردٌ ثابتٌ، كان له مددٌ دائمٌ من النور.

قال النبي ﷺ: ﴿مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ﴾⁽²⁾. فانظر كيف جعل النبي الذكر حياة للقلوب. فإن كنتَ تريد أن ترى أثر أورادك، فانظر إلى قلبك بعد الذكر، فإن وجدته في راحةٍ وسكينة، فاعلم أن ذكرك مقبولٌ، وإن وجدته كما كان، فاعلم

1 - [آل عمران: 41]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [6044]، ج5 ص2353.

أنك بحاجة إلى مزيدٍ من الإخلاص.

يا مريد، إنّ الأوراد التي تلقّيتها في طريقك ليست بدعاً من القول، ولا أعمالاً بلا فائدة، بل هي أسرارٌ مجربة، وصل بها السالكون قبلك، وسار بها العارفون إلى مراتب القرب. فإن كنت تظن أنّ الأوراد مجرد عادةٍ، فاعلم أنك لم تذق حقيقتها بعد، وإن كنت تراها نوراً، فاستمسك بها، فإنها حبلٌ بينك وبين الله. فإن كنت مخلصاً في سيرك، فاجعل وردك أنيساً لك في كل وقتٍ، فإنّ الله يحب العبد الذي يذكره دائماً.

يا مريد، لا يكن وردك مجرد أعدادٍ تُحصى، بل اجعل قلبك حاضراً فيها، فإنّ الذكر بلا حضورٍ لا يورث النور. وإن كنت تسير في الطريق، فاحذر أن تترك وردك، فإنّ من كان له وردٌ يومي، كان له مددٌ من الله، ومن أهمل أوراده، ضعف قلبه. فإن كنت تريد أن تعرف مقامك في الطريق، فانظر إلى مدى التزامك بوردك، فإن كان قلبك يحن إليه، فاعلم أنك في القرب، وإن كنت تتثاقل عنه، فاجتهد حتى تتصل به اتصالاً لا ينقطع.

يروى أنّ أحد العارفين كان إذا تأخر عن وردٍ واحدٍ شعر أنّ يومه لم يكتمل، وكان يقول: «من فاته وردٌ، فاته مددٌ، ومن فاته مددٌ، فاته سرٌّ من أسرار الطريق». فانظر كيف أنّ أهل المعرفة لا يفرطون في أورادهم. فإن كنت تريد أن تصل، فاجعل وردك بابك إلى الله، ولا تدعه أبداً.

يا مريد، إنّ التسابيح التي تتلقاها في الطريقة ليست مجرد ألفاظ، بل هي مفاتيح تفتح لك الأبواب المغلقة، فإن كنت تردد "سبحان الله"، فلتكن تسبيحتك تطهيراً لقلبك، وإن كنت تقول "الحمد لله"، فليكن حمدك شكراً حقيقياً، وإن كنت تقول "الله أكبر"، فاجعلها تعظيماً يملأ كيائك، فإنّ التسبيح ليس مجرد ألفاظ، بل هو معراجٌ

للقلب. وإن كنت تريد أن تعرف مكانك في الطريق، فانظر كيف تؤدي أذكارك، فإن كانت مجرد كلمات، فاسأل الله أن يمنحك نورها، وإن كانت تملأ قلبك، فاعلم أنك في القرب.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد سر الأوراد، وفيهم من يؤديها بلا حضورٍ وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ الذكر ليس عادة، بل هو مفتاح لكل باب، فكونوا لهم مرشدين. علموهم أنّ الأوراد ليست مجرد تكليفٍ يؤدي، بل هي حياة تُعاش، فإن كنتم تريدون لهم النور، فاجعلوهم يتعلقون بالذكر كما تتعلق النفس بالماء حين تعطش، فإن القلب إذا ذاق حلاوة الذكر، لم يعد يرى شيئاً أجمل منه.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الذكر ليس عبثاً، بل هو راحة، وأنّ التسابيح ليست مجرد ألفاظ، بل هي سلّم يرفع السالكين، فإن كنت ترى مريداً قد أهمل أوراده، فذكره بلطفٍ أنّ الطريق لا يُقطع بلا زاد، وإن رأيت مريداً يؤديها بلا روح، فاغرس في قلبه حب الذكر، فإنّ من أحبّ الذكر، لم يتركه أبداً. فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى قلبك عند الذكر، فإن كان يستنير، فأنت على الحق، وإن كان غافلاً، فاجتهد حتى تنال حلاوته. والسلام على من وعى، وسلك فارتقى.



مسألة (199): الأوراد زاد المريد في سيره إلى الله تعالى

الطريق إلى الله لا يُقطع بالأقدام، بل يُقطع بصفاء القلوب ودوام الذكر. والأوراد هي الزاد الذي يقوّي قلب السالك، ويمنحه مدداً من النور، ويجعل سيره مستمراً دون انقطاع. فمن جعل له ورداً ثابتاً، وجد مدداً دائماً، ومن أهمل أوراده، تراجع قلبه وضعفت عزيمته.

فالسالك الذي يكثر من الذكر يجد في قلبه سكينه، وفي سيره ثباتاً، وفي روحه نوراً يضيء له الطريق.

مسألة (200): الورد حياة للقلوب وليس عادة تُؤدى

الأورد والتسابيح ليست مجرد كلمات تُردد، بل هي أنوار تنزل على القلب، فتطهره وتفتح له أبواب الفهم. قال النبي ﷺ: ﴿مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ﴾⁽¹⁾. فمن وجد قلبه حاضراً في الذكر، فهو من الأحياء بنور الله، ومن وجد قلبه غافلاً، فليجتهد حتى يذوق حلاوة الذكر. فإن كنت تذكر الله ولا تجد أثر ذلك في قلبك، فاعلم أن ذكرك لم يبلغ حقيقته بعد، وإن كنت تجد فيه سكينه، فأنت على طريق القرب.

مسألة (201): الأورد في الطريقة مفاتيح للفتح

الأورد التي يتلقاها المريد ليست أمراً تقليدياً، ولا تكراراً بلا فائدة، بل هي مفاتيح مجربة، فتح بها السالكون أبواب القرب، وساروا بها إلى مراتب العرفان. فمن التزم بها بصدق، وجد في قلبه نوراً لم يكن فيه، ومن فرط فيها، أغلق على نفسه باب الفيض. المريد الصادق لا يترك أوراده مهما تغيرت حاله، لأنَّ أهل الله يعلمون أنَّ الورد هو الصلة التي تربط القلب بالله، فإن ضُغف الورد، ضُغف الاتصال.

مسألة (202): التسابيح ليست ألفاظاً بل معارج للقلوب

التسبيح ليس مجرد كلمات تُقال، بل هو تطهير للقلب، ورفع له إلى معارج القرب. فإذا قلت: "سبحان الله"، فاجعلها تنزيهاً صادقاً في قلبك، وإذا قلت: "الحمد لله"، فاجعلها شكراً نابضاً باليقين، وإذا

1 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [6044]، ج5 ص2353.

قلت: "الله أكبر"، فاستشعر عظمة الله في كيانه كله. فمن أدرك هذه المعاني، صار ذكره مفتاحاً للفتح، ومن لم يتجاوز التردد اللساني، بقي بعيداً عن أنوار الذكر الحقيقية.

مسألة (203): واجب الخلفاء في ترسيخ حب الأوراد عند المريدين
يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين يحتاجون إلى من يغرس في قلوبهم حب الأوراد، لا أن يأمرهم بها فقط. علموهم أنّ الذكر ليس فرضاً ثقيلاً، بل هو حياة القلوب، وأنّ التسبيح ليس تكليفاً، بل هو سلمٌ يرفع السالكين إلى الله. فإذا وجدتم مريداً يؤدي أوراده بلا روح، فأحيوا فيه شوق الذكر، وإن وجدتم مريداً ترك أوراده، فذكّروه أنّ الطريق لا يُقطع بلا زاد. فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى حال قلبك مع الذكر، فإن وجدت فيه نوراً، فأنت على الحق، وإن وجدته غافلاً، فاجتهد حتى يذوق حلاوة الذكر.



رسالة [48]: الرابطة القلبية بين المريـد والشيخ.. سرّ

الإمداد الروحي

يا مريد، إنّ السير إلى الله لا يكون بمعرفة العقول وحدها، ولا بكثرة الأوراد فحسب، بل هو نورٌ يتنزل في القلب، وروحٌ تمتدّ عبر الصُحبة الصالحة، وقلبٌ يستقي من قلبٍ، فإن لم تكن هناك رابطةٌ بين قلبك وقلب من سبقك في الطريق، فاعلم أنّ سيرك سيبقى ناقصاً، فإنّ النهر لا يجري إلّا إذا اتصل بمنبعه، وإنّ السراج لا يضيء إلّا إذا مسّه النور، وإنّ الروح لا تترقى إلّا إذا وجدت من يأخذ بيدها. قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾⁽¹⁾، فانظر كيف أنّ الله أمر بالاتباع، فإن كنتَ تسير وحدك، فإلى أين تسير؟ وإن كنتَ تأخذ من نفسك، فبأي عين ترى؟

يا مريد، إنّ الشيخ ليس مجرد معلّم، ولا مجرد دليل، بل هو القلب الذي يحمل الأسرار، وهو المصباح الذي ينير الطريق، وهو الروح التي تحيي الأرواح، فإن كنتَ ترى أنّ الطريق يُسلك وحده، فاعلم أنك لم تفهم بعد حقيقة الصُحبة، وإن كنتَ تظن أنّ الشيخ هو مجرد رجلٍ ينقل المعرفة، فاعلم أنك لم تتذوق بعد حلاوة الارتباط. فإنّ الشيخ هو مرآة، ترى فيها نفسك، فإن نظرت إليه فلم تجد نفسك تتغير، فابحث عن صدق ارتباطك، وإن وجدتَ قلبك يسير معه حيثما سار، فاعلم أنك على الطريق.

قال النبي ﷺ: ﴿الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ﴾⁽²⁾، فانظر كيف أنّ الصُحبة ليست مجرد لقاء، بل هي تشكيلٌ للنفس،

1 - [لقمان: 15]

2 - أبو داود، سنن أبي داود، حديث رقم [2696]، ج4 ص299.

فإن كنتَ مع شيخك ولم تجد في قلبك أثراً له، فابحث في نفسك، فإنَّ الشيخ كالدواء، لا ينفع إلَّا إذا شُرب، وكالنور، لا يضيء لك إلَّا إذا فتحتَ عينيك. فإن كنتَ تتبعه بجسدك لا بقلبك، فلن تجد في نفسك تغييراً، وإن كنتَ معه بروحك، فاعلم أنَّ النور سيصلك ولو كنتَ بعيداً.

يا مريد، إنَّ الرابطة القلبية ليست علاقة دنيوية، ولا مجرد إعجابٍ بشخصية الشيخ، بل هي امتدادٌ للنور من قلبٍ إلى قلبٍ، فإن رأيتَ في شيخك نوراً، فاجعل نفسك قابلة له، وإن وجدتَ في قلبك صدقاً، فسيصل إليك ذلك النور ولو كنتَ بعيداً، فإنَّ الرابطة الحقيقية لا تحتاج إلى قرب الأبدان، بل إلى قرب الأرواح، فإن كنتَ معه في قلبك، فاعلم أنك ستنال من نوره، وإن كنتَ تراه ولكن قلبك بعيدٌ عنه، فلن تستفيد من صحبته شيئاً.

يا مريد، لا تظن أنَّ الرابطة القلبية ضعفٌ، ولا تظن أنها تعلّقُ بشخص، بل هي تعلّقٌ بالله من خلال من جعله الله سبباً، فإن كنتَ في الطريق، فاجعل قلبك مستضيئاً بقلب شيخك، فإنَّ النور إذا انتقل، أضاء، وإذا انفصل، انطفأ، فإن كنتَ ترى أنَّ قلبك لا يستنير، فانظر إلى صلتك بشيخك، فإنَّ القلب الذي يرتبط بنورٍ، يصبح هو نفسه نوراً، وإنَّ القلب الذي انفصل، يتيه في ظلمات نفسه.

يروى عن أحد العارفين أنه قال: «إذا كنتَ مع شيخك، فكن معه بقلبك، فإنك إن كنتَ معه بجسدك لا بقلبك، فلن ترى منه إلَّا صورته، وإن كنتَ معه بروحك، فستنال من روحه». فانظر كيف أنَّ الارتباط ليس جسدياً، بل هو روحيٌّ، فإن كنتَ تريد أن تستفيد من صحبة الشيخ، فاجعل قلبك متصلاً به، فإنَّ القلب إذا انفتح، نال البركة، وإن انغلق، بقي في ظلمته.

يا مريد، لا تكن ممن يبحثون عن شيخ ليحمل عنهم أعباء الطريق، ثم يتخلون عنه حين تتبدل الأهواء، فإنَّ الشيخ لا يربّي النفوس التي تذبذبها العواصف، ولا يقود القلوب التي لا تثبت، فإن كنت تريد أن تسير بحق، فاجعل محبتك ثابتة، لا تهزها الظروف، واجعل رابطتك قوية، لا تفصلها الأهواء، فإنَّ الشيخ ليس باباً يُفتح ويُغلق حسب الرغبة، بل هو طريقٌ إذا سلكته، فعليك أن تثبت فيه حتى تصل.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ الرابطة القلبية هي سر الطريق، وفيهم من يظن أنّ التصوف مجرد علوم تُحفظ، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ الطريق ليس بالكلمات، بل بالأنوار التي تنتقل من القلوب، فكونوا لهم مرشدين. علموهم أنّ الارتباط بالشيخ ليس تقديساً للأشخاص، بل هو انتقالٌ للبركة، فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا مستنيرين، فاجعلوا قلوبهم متصلة بمشايخهم، فإنّ القلب إذا استنار، أثار غيره.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الرابطة القلبية ليست ضعفاً، بل هي سر الامتداد، فإن كنت ترى مريداً لا يجد في قلبه نوراً، فذكره أنّ القلب لا يستنير وحده، وإن رأيت مريداً يظن أنّ الطريق مجرد فكر، فاجعله يدرك أنّ الفكر بلا نور يبقى معلقاً، فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى قلبك، فإن وجدته متصلاً، فاعلم أنك في النور، وإن وجدته منقطعاً، فابحث عن سبب الفتور، فإنّ النور لا يُمنع عن القلوب إلّا إذا أغلقت هي أبوابها.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (204): الرابطة القلبية امتداد لا انفصال فيه

الرابطة القلبية بين المريد وشيخه ليست مجرد صحبة أو معرفة، بل هي امتداد لنور الروح من قلبٍ إلى قلب. فإذا انفصل قلب المريد عن شيخه، تيه في ظلمة نفسه، وإن بقي متصلاً، استمر فيه مدد النور والهداية، حتى ولو تباعدت الأبدان. فليس العبرة بقرب الجسم، بل بقرب القلب. فمن أراد أن يبقى في النور، فليجعل قلبه دائماً التوجه إلى شيخه، متلقياً عنه، كما يتلقى الزرع ماء السماء، فإن فارقته النور، جفّ وانقطع.

مسألة (205): الشيخ هو الوسيلة إلى الفتح، لا الغاية

يا مريد، الشيخ في الطريق ليس غاية تُعبد، بل هو وسيلة للهداية والفتح، جعل الله على يديه الفيض والبركة. فمن تعلق بشخص الشيخ دون أن يرى النور الذي يحمله، حُجب عن الحقيقة، ومن تعلق بنور الله الذي يُجريه الله على يديه، نال القرب. فإنّ الرابطة القلبية ليست تعظيماً للأشخاص، بل توجّها صادقاً إلى من جعله الله طريقاً وأماناً للسالكين. فاجعل رابطة قلبك معه لله، لا لمصلحةٍ ولا لعرض الدنيا، تجد البركة في نفسك وتصل إلى المدد الحق.

مسألة (206): صحبة الشيخ ليست صحبة جسم، بل صحبة روح

كثير من المريدين يظنون أنّ القرب من الشيخ يكون فقط بالمجالسة وكثرة اللقاء، ولا يعلمون أنّ القرب الحقيقي هو قرب الروح، لا قرب الجسم. فمن كان مع شيخه في روحه، وإن بُعد جسده، كان في مدد النور، ومن كان حاضراً بجسمه وغائباً بقلبه، فاته المدد. فالصحبة الصادقة هي أن تجعل قلبك حاضراً مع

شيخك أينما كنت، مستمداً منه النور، مراقباً حالك في السير، مستعداً لقبول التوجيه، ولو لم تسمعه إلا في قلبك.

مسألة (207): الرابطة القلبية قوة للمريد في الطريق

يا مريد، اعلم أنّ الطريق محفوف بالمشاق، وأنّ النفس أمارة بالسوء، وأنّ القلب إذا تُرك وحده تردد وضعف. والرابطة القلبية بالشيخ هي القوة التي تثبت قدم المريد، وتربط قلبه بالمدد الإلهي. فمن أحكم هذه الرابطة، وجد في قلبه قوة على المجاهدة، وثباتاً عند المحن، ونوراً عند الظلمات. ومن تركها ضعفت عزيمته، وسقط في شباك النفس والهوى. اجعلها حبلاً لا ينقطع، ووصلة لا تنفصم، تكن دائماً على الطريق.

مسألة (208): واجب الخلفاء في ترسيخ معنى الرابطة القلبية عند المريدين

يا خلفاء الطريقة، إنّ من واجبكم أن تعلّموا المريدين حقيقة الرابطة القلبية، وأنها ليست مجرد تبعية، بل هي سر الامتداد الروحي. بيّنوا لهم أنّ الشيخ مرآة يرى فيها المريد نقصه، ومصباح يهتدي به في ظلمة الطريق، ويداً تمتد إليه حين يضعف. فإن غفلوا عن هذه الحقيقة، تاهوا في السير، وظنوا أنّ الطريق علم أو فلسفة. علموهم أنّ القلوب لا تنال الفتح إلا بالارتباط بمن سبقهم إليه، فإن المصاييح لا تُضيء إلا إذا كانت موصولة بمصدر النور.



رسالة [49]: أهمية الاستمداد من مشايخ الطريقة

يا مرید، إِنَّ السیر فی الطریق لا یكون بعقل العبد وحده، ولا بقوته، ولا بمجرد اجتهاده، فَإِنَّ الطریق إلى الله دقیقٌ، لا یُدرک إِلَّا بمصباح ینیر ظلمته، ولا تُفتح أبوابه إِلَّا بمفتاح یحسن صاحبه استعماله. وَإِنْ لم یکن للمرید شیخٌ یستمد منه النور، فقد یتیه، أو یظن أنه قد وصل وهو لا یزال بعیدا. قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، فانظر کیف أمرنا الله أن نأخذ العلم ممن سبقنا إليه، فَإِنْ كنتَ ترید الوصول، فخذ بيد من یعرف الطریق.

يا مرید، إِنَّ المشایخ هم الأدلاء، فَإِنْ كنتَ فی الظلام، ووجدتَ من یحمل مصباحاً، فهل تتركه وتسير وحدك؟ وَإِنْ كنتَ فی صحراء، ووجدتَ من یعرف الطریق، فهل ترفض أن تسیر معه؟ فَإِنْ كنتَ تظن أنك تستغني عن الشيخ، فاعلم أنك لا تزال فی نفسك شیءٌ من الکبر، فَإِنَّ القلب الصادق لا یرى فی الشيخ إِلَّا رحمة من الله.

قال النبی ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّرَ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ﴾⁽²⁾. فانظر کیف أن الطریق لا یكون إِلَّا بأخذ العلم ممن سبق. فَإِنْ كنتَ ترى نفسك تستطيع السیر وحدك، فاعلم أن نفسك تخذعك، فَإِنَّ القلب یحتاج إلى يد تأخذ به، فَإِنْ كنتَ صادقاً فی طلب القرب، فاطلب ممن سبقك فی السیر.

يا مرید، إِنَّ التلمیذ لا یتعلم إِلَّا بأستاذ، وَإِنَّ المریض لا یعالج نفسه. فَإِنْ كنتَ ترى نفسك فی الطریق، فاعلم أنك تحتاج إلى من یُرشدك، فَإِنَّ الطریق لیس مجرد أوراِد تُقال، أو عباداتٍ تُؤدی، بل هو تهذیبٌ

1 - [النحل: 43]

2 - الطبرانی، المعجم الکبیر، ج19 ص395.

للنفس، وتربيةً للقلب، وكسرٌ للهوى، فإن كنت تريد أن تعرف نفسك، فانظر هل تقبل التوجيه، فإن كنت تأنف من أن تؤخذ بيدك، فاعلم أنّ نفسك لا تزال فيها مقاومةً.

يا مريد، إنّ المشايخ لا يمنحون النور لمن لم يفتح قلبه لهم، فإن كنت تأخذ منهم ولا تعمل، فلن تستفيد، وإن كنت تظن أنّ مجرد صحبتهم تكفي، فقد أخطأت، فإن البركة تكون لمن يستمع ويتبع، لا لمن يسمع وينسى، فإن كنت تريد أن يكون لك نصيبٌ من الفتح، فخذ من الشيخ، واعمل بما يُرشدك إليه، فإنّ العبد إذا اتبع أهل الطريق، فتح الله له من حيث لا يدري.

أيها المريد : من ظن أنه يصل وحده، فقد بدأ في التراجع، فإنّ القوم ما وصلوا إلّا بالأخذ عمن سبقهم. فانظر كيف أنّ القلب الذي يستغني عن الإرشاد، قد يضيع وهو يظن أنه يسير. فإن كنت تريد أن تكون من أهل الله، فاجعل لنفسك مرشداً، فإن العبد قد يرى نفسه في النور وهو في ظلمةٍ، فإن كنت تريد أن تصل، فخذ بيد من يُريك الطريق.

يا مريد، لا تكن ممن يظنون أنّ الاستمداد ضعفٌ، فإنّ القلب الذي يأخذ عن أهل الله، يزداد نورا. فإن كنت تريد أن تعرف مقامك، فانظر إلى نفسك: هل ترى أنك تحتاج إلى من يُرشدك، أم تظن أنك تستطيع وحدك؟ فإن كنت ترى نفسك مكتفياً، فاعلم أنك قد أصبت بشيءٍ من الغرور، وإن كنت ترى نفسك محتاجاً، فاعلم أنك في الطريق الصحيح.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ الطريق لا يؤخذ بالرأي، بل بالاستمداد، وفيهم من يظن أنّ الوصول يكون بالاجتهاد وحده، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ العبد لا

يُؤْخَذُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِيَدٍ مِنْ سَبْقُوهِ، فَكُونُوا لَهُمْ مُرْشِدِينَ. عِلْمُوهُمْ أَنَّ
الطَّرِيقَةَ لَيْسَتْ فَرْدِيَّةً، بَلْ هِيَ سِلَاسِلٌ مِنَ النُّورِ تَنْتَقِلُ، فَإِنْ كُنْتُمْ
تُرِيدُونَ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ اللَّهِ، فَاجْعَلُوهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ
الِاسْتِمْدَادَ لَيْسَ تَقْيِيدًا، بَلْ هُوَ بَابُ الْفَتْحِ.

يَا خُلَفَاءَ الطَّرِيقَةِ، اجْعَلُوا الْمُرِيدِينَ يَفْهَمُونَ أَنَّ الشَّيْخَ لَيْسَ مُجَرَّدَ
مُعَلِّمٍ، بَلْ هُوَ أَبُو الْقَلْبِ، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى مُرِيدًا يَنْفِرُ مِنَ الْإِرشَادِ،
فَذَكِّرْهُ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَسْتَنِيرُ إِلَّا إِذَا أُخِذَ. وَإِنْ رَأَيْتَ مُرِيدًا يَرَى نَفْسَهُ
مُسْتَغْنِيًا عَنِ الشَّيْخِ، فَاجْعَلْهُ يَفْهَمُ أَنَّ الْإِنْفِرَادَ عَنْ أَهْلِ اللَّهِ طَرِيقٌ
إِلَى التَّيِّهِ. فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ أَيْنَ أَنْتَ فِي الطَّرِيقِ، فَانْظُرْ هَلْ
قَلْبُكَ مَفْتُوحٌ لِلِاسْتِمْدَادِ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَأَنْتَ فِي خَيْرٍ، وَإِنْ كَانَ
مُغْلَقًا، فَاجْتَهِدْ حَتَّى يَلِينُ.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلِّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (209): لَا سِيرَ بِلَا دَلِيلٍ، وَلَا وَصُولَ بِلَا شَيْخٍ

يَا مُرِيدَ، الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ مَلِيٌّ بِالْأَسْرَارِ، لَا يَكْشِفُهَا الْعَقْلُ وَحْدَهُ، وَلَا
تَدْرِكُهَا النُّفْسُ دُونَ مُرْشِدٍ مَأْذُونٍ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ. فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ
يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ بِجَهْدِهِ، دُونَ الْإِسْتِمْدَادِ مِنْ شَيْخٍ عَارِفٍ، فَهُوَ كَمَنْ
يَسِيرُ فِي ظُلَامِ الصَّحْرَاءِ بِلَا دَلِيلٍ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾. فَلَا غِنَى لِّلْسَالِكِ عَنْ نُورِ الشَّيْخِ، فَإِنَّمَا
تَصِلُ الْأَرْوَاحُ بِمَدَدِ النُّورِ الْمُتَّصِلِ مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ إِلَى قَلْبِ الْمُرِيدِ،
وَمَا انْقَطَعَ هَذَا النُّورُ عَنْ قَلْبٍ إِلَّا تَاهَ فِي ظُلُمَاتِ نَفْسِهِ.

مسألة (210): الاستمداد من الشيخ ليس ضعفا بل هو سر القوة
يا مريد، اعلم أنّ حاجتك إلى الشيخ ليست ضعفاً، بل هي مفتاح
القوة والثبات. فإنّ الماء لا يجري في النهر إلّا إذا كان متصلاً بمصدره،
والنور لا يضيء إلّا إذا اتصل بمصدر الضياء. والاستمداد من أهل الله
هو سرّ الامتداد الروحي، فمن استمدّ منهم، قوي قلبه، وصفا سره،
وتيسّر له الفتح. ومن ظنّ أنه مكتفٍ بنفسه، وقع في أسر الغرور،
وانقطع عن مدد أهل القرب، فصار قلبه يتيه وإن ظنّ أنه سائر.

مسألة (211): من لا يقبل التوجيه لا يتأهل للفتح
يا مريد، من لم يفتح قلبه للإرشاد، ولم يتلقّ التوجيه برضا وتسليم،
لن ينال نصيباً من الفتح. فإنّ الشيخ لا يربي جسداً، بل قلباً وروحاً.
فإذا رأى فيك استكباراً على النصح، تركك وشأنك، ولو كان
حاضرك بجسده. واعلم أن التربية ليست في تكرار الكلام، بل في
صدق الأخذ والعمل، فمن أخذ بالتوجيه في صمت، فتح الله له،
ومن خاصم وجادل، أغلق على نفسه أبواب الرحمة.

مسألة (212): الصحبة الصادقة مع الشيخ تثمر البركة في العمل
يا مريد، اعلم أنّ صحبة الشيخ لا تنحصر في حضور المجالس أو
الأخذ المباشر، بل هي صحبة قلب وقرب روح. فمن صحب الشيخ
بهذه الحال، صار فعله مباركاً، ونيته مخلصاً، وسعيه موصولاً. وما
دام قلبه مفتوحاً لاستمداد النور، بقي في مدد أهل الطريقة، ومن
انقطع عن صحبة الشيخ بباطنه، انقطع عنه الفيض، ولو لازم
المكان. فاجعل قلبك موصولاً، تجد الخير بلا انقطاع.

مسألة (213): ترسيخ معنى الاستمداد عند المريدين

يا خلفاء الطريقة، إنّ من واجبكم أن تزرعوا في قلوب المريدين حقيقة الاستمداد من الشيخ، وأنه لا وصول بدونه. علموهم أنّ الشيخ ليس فقط عالماً أو معلماً، بل هو سرُّ الطريق وأمانه، ومن فاته الاتصال به، فاته مدد النور. إن وجدتم مريداً يستكبر عن الاستمداد، فذكّروه أنّ الأنبياء أمروا بالاتباع. وإن وجدتم من يستقل بنفسه، فبيّنوا له أنّ السلاسل الروحية لا تُقطع إلّا بيد الشيخ. وإن أردتم لهم القرب، فافتحوا لهم أبواب التعلق بنور مشايخهم، فإنهم لا يصلون إلى الله إلّا بما فتحه الله على أيدي أهل الله تعالى.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيدِينَا، رِجَالًا وَنِسَاءً، مِنَ الَّذِينَ
يَأْخُذُونَ عَنْ أَهْلِ النُّورِ، وَلَا تَجْعَلْهُمْ مِنَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ
يَسْتَعْنُونَ عَنِ الْإِرْشَادِ، وَأَمْنَحْهُمْ الْحِكْمَةَ، وَالْبَصِيرَةَ، وَالنُّورَ،
وَأَعِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَسِيرُونَ إِلَيْكَ بِقُلُوبٍ
مُتَوَاضِعَةٍ، وَأَرْوَاحٍ مُسْتَنِيرَةٍ



الفصل التاسع

السير والسلوك

في الطريقة

رحلة القلب

من المجاهدة إلى الشهود

رسالة [50]: اجعل نواياك خالصة لوجه الله تعالى

يا مريد، إنّ الطريق إلى الله ليس بالمظاهر، ولا بكثرة الأعمال، بل بما في القلب من نية صادقة، فإن صلحت النية، صلح العمل، وإن فسدت، فسد حتى لو بدا ظاهره حسنا. فالنية ليست مجرد خاطر يمر بالقلب، بل هي أصل كل خطوة في السير، وهي التي تُحدد مقام العبد عند الله، فإن كنتَ تسير، فاسأل نفسك: لماذا أسير؟ هل أريد الله وحده، أم أبحث عن شيءٍ آخر؟ فإن كنتَ تبحث عن غيره، فاعلم أنك لا تزال في أول الطريق، وإن كنتَ صادقاً، فابشر، فإن النية الصافية ترفع العبد ولو قلّ عمله. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف أنّ الله لم يطلب من العبد كثرة الأعمال، بل طلب منه الإخلاص. فإن كنتَ تعمل بلا نية صافية، فاعلم أنّ عملك لا يرفعك. وإن كنتَ تعمل لله وحده، ولو كان عملك قليلاً، فإنّ الله يبارك فيه، فإنّ العمل يُقبل بنيته، وإنّ القلب لا يُرفع إلا بإخلاصه.

يا مريد، إنّ النية هي الأساس، وهي التي تجعل العمل ثقیلاً في الميزان أو لا وزن له. فإن كنتَ تُصلي، فاسأل نفسك: هل أصلي لأنني أحب الله، أم لأنني أخشى لوم الناس؟ وإن كنتَ تذكر، فاسأل نفسك: هل أذكر الله لأنني أشتاق إليه، أم لأنني أبحث عن مقام بين الناس؟ فإن كنتَ تفعل ذلك لله، فأنت في النور، وإن كنتَ تفعل ذلك من أجل شيءٍ آخر، فراجع قلبك، فإنّ القلب إذا لم يخلص، لم يجد لذة في القرب.

قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى﴾⁽²⁾.

1 - [البينة: 5]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [1]، ج1 ص3.

فانظر كيف أنَّ العمل كله لا يُنظر إليه إلَّا من جهة نيته. فإن كنتَ تريد أن يكون عملك مقبولاً، فاجعل نيتك صافية، فإنَّ النية هي الميزان، فإن كانت لله، رفعتَه، وإن كانت لغيره، حجبته، فإن كنتَ تعمل ولا ترى أثراً في قلبك، فابحث عن نيتك، فإنَّ العمل إذا لم يكن لله، لم ينفع صاحبه.

يا مريد، إنَّ من علامات النية الصافية أن يكون العمل لله وحده، فإن كنتَ تعمل ولو لم يركَ أحدٌ، فأنت صادقٌ، وإن كنتَ تعمل لأجل الناس، فأنت في خطرٍ، فإنَّ القلب لا يصل إلى الله حتى يتحرر من طلب القبول عند الخلق. فإن كنتَ تسير، فاسأل نفسك: هل أستمر في هذا الطريق لو لم يعرفني أحد؟ هل أعبد الله لو لم يُثنِ علي أحد؟ فإن كان الجواب: نعم، فاعلم أنك في النور، وإن كنتَ تنتظر شيئاً من الناس، فاجتهد في تصفية قلبك.

يا مريد، إنَّ النفس تُحب أن تُمدح، والعقل يُحب أن يكون له مكانةٌ، لكنَّ القلب الذي عرف الله، لا يرى لنفسه شيئاً، بل يرى أن كل شيءٍ بفضل الله. فإن كنتَ تريد أن تحمي نفسك من الرياء، فاجعل عملك خفياً، فإنَّ العمل الذي يُرى، قد يدخل فيه الهوى، وإن كنتَ تعمل في السر كما تعمل في العلن، فأنت صادقٌ، فإن كنتَ تجد في نفسك فرحاً عندما يُذكر عملك، فاعلم أنك بحاجةٍ إلى مراجعة نفسك، فإنَّ القلب الصادق يعمل، ولا ينتظر شيئاً من الخلق.

يا مريد، لا تكن ممن يسرون في الطريق، وهم لا يعرفون لماذا يسرون، فإن كنتَ تريد القرب، فاجعل لنفسك نيةً واضحة، فإنَّ القلب إذا لم يكن له نيةٌ صافيةٌ، تشتت في الطريق، فإن كنتَ تفعل الخير، فاجعل نيتك لله، ولا تلتفت إلى غيره، فإنَّ العبد الذي يعمل لله، لا ينتظر شيئاً، فإن جاءه الخير، شكر، وإن لم يأت، لم يتأثر. فإن

كنتَ تريد أن تعرف نفسك، فانظر إلى حالك بعد العمل، فإن كنتَ تنتظر الثناء، فأنت بحاجةٍ إلى تصفية نيتك.

يا خلفاء الطريقة، إنَّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنَّ النية هي أساس كل شيءٍ، وفيهم من يظن أنَّ الطريق بالمظاهر، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أن العبد لا يُرفع إلَّا بنيته، فكونوا لهم مرشدين. علموهم أنَّ النية ليست كلمة تُقال، بل هي حقيقةٌ تعيش في القلب، فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا من أهل الله، فاجعلوهم يتفقدون نياتهم، فإنَّ العمل إذا لم يكن لله، فهو سرابٌ لا يُسَمِّن ولا يغني.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنَّ النية ليست أمراً يُدعى، بل هي حالٌ يُكشَف، فإن كنتَ ترى مريداً يعمل ولا يجد نوراً، فذكره أنَّ النور لا يأتي إلَّا بصدق النية، وإن رأيتَ مريداً يُكثر من العمل، لكنه لا يجد أثراً، فاجعله يدرك أنَّ النية هي الأساس. فإن كنتَ تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى نيتك، فإن كانت لله، فابشر، وإن كانت لغيره، فاجتهد حتى تصل إلى الإخلاص. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (214): ما هو الأساس الذي يقوم عليه العمل في الطريق؟
الأساس هو النية الصافية الخالصة لله تعالى، فإن صلحت النية صلح العمل، وإن فسدت النية لم ينفع العمل ولو كُثر، لأنَّ الله لا ينظر إلى ظاهر الأفعال، بل إلى ما في القلوب من إخلاص.

مسألة (215): لماذا تُعد النية أصل كل خطوة في سير المريد؟
لأن النية تحدد وجهة السالك، فإن كانت لله وحده سلك الطريق

المستقيم، وإن كانت لغيره تاه في الدروب. والنية الصادقة ترفع العبد إلى مقام القرب، ولو قلّ عمله، كما قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁽¹⁾.

مسألة (216): ما هي علامات النية الصافية ؟

أن يعمل لله ولو لم يره أحد، وأن يستمر في العبادة والسير حتى لو لم يُعرف أو يُمدح، وألا ينتظر شيئاً من الخلق، بل يعمل انتظاراً للقبول من الله وحده، فإن وجد في نفسه فرحاً بذكر عمله، فليعلم أنه بحاجة إلى تصفية نيته.

مسألة (217): كيف يقي المريد نفسه من الرياء؟

بأن يجعل عمله خفياً ما استطاع، وأن يراقب نفسه بعد كل عمل، فإن وجد أنه ينتظر الثناء أو المدح، اجتهد في تصحيح نيته. وأن يعمل في السر كما يعمل في العلن، فالقلب الصادق لا ينتظر من الخلق شيئاً، بل يرى أن كل فضل من الله.

مسألة (218): ما أثر النية على قلب المريد بعد العمل؟

إن كانت نية المريد لله، وجد أثر العمل نوراً في قلبه، وسكينة في روحه، وإن لم تكن صافية، لم يجد لذلك العمل أثراً، بل قد يناله التعب بلا ثمرة، لأن العمل إذا لم يكن لله، فهو سراب لا يُغني عن العبد شيئاً.

مسألة (219): لماذا يحتاج المريد إلى مراجعة نيته باستمرار؟

لأن النفس تميل إلى المدح، والعقل يحب المكانة، فإذا لم يراقب

المريد نيته، دخل الهوى إلى قلبه دون أن يشعر. فالمريد الصادق دائم التفقد لنيته، وكلما أحس بشائبة، اجتهد في تصفيتها حتى يكون عمله لله وحده.

مسألة (220): ما واجب الخلفاء في التربية على الإخلاص في النية؟
على الخلفاء أن يذكروا المريدين بأن النية هي أساس كل عمل، وأن يعلموهم أن الإخلاص ليس كلمة تقال، بل حال يعيش في القلب، وأنهم لن يجدوا أثراً لأعمالهم إلا إذا صحت نياتهم، وأنّ النور لا يدخل قلباً فيه التفات إلى غير الله.

مسألة (221): كيف يعرف المريد أنه صادق في نيته لله؟
يعرف المريد صدق نيته إذا استوى عنده مدح الناس وذمهم، وإذا عمل لله ولو لم يره أحد، وإذا وجد راحته في الخفاء أكثر من العلن، وإذا كانت كل حركاته وسكناته لله وحده، طلباً للقبول لا طلباً للثناء.



رسالة [51]: حقيقة الفتح.. بين الصبر والعجلة

يا أحبائي، إنّ الطريق إلى الله ليس قفزة ولا طفرة، ولا يُقطع بلهفة العَجول، بل هو سيرٌ متأنٌّ، خطوةٌ بعد خطوة، ومجاهدةٌ بعد مجاهدة، وصبرٌ لا ينفد.

قد تهمس لكم أنفسكم قائلة: "أين الفتح؟ أين أنوار الطريق؟ لماذا لم أبلغ المقامات بعد؟"

فاعلموا، وفقكم الله تعالى، أنّ الفتح لا يأتي لمن يستعجله، بل لمن استعد له.

لو كان الفتح يأتي دفعة واحدة، لما احتاج الأنبياء إلى سنين من الصبر، ولا المصلحون إلى أزمانٍ من المجاهدة. إنما هو كالنبته، تُغرس أولاً، ثم تُسقى بماء الصبر، وتُرعى بمجاهدة النفس، حتى تثمر في أوانها. فمن استعجل قطف الثمرة قبل نضجها، لم يذق منها إلا طعم المرارة.

إنّ بعض المريدين يظنون أنّ الفتح يُنال بكثرة الأوراد وحدها، أو بكثرة مجالسة الصالحين، أو بملازمة زاوية واعتزال الدنيا، دون أن تمر قلوبهم بمرحلة التزكية الحقيقية. فيريدون أن يصلوا دون أن يسيروا، ويريدون أن ينالوا دون أن يعطوا، ويريدون أن يُفتح لهم وهم بعد لم يتهيأوا. فكيف يُشرق النور في قلبٍ لم يُطهّر؟ وكيف يُعطى السر من لم يكن له وعاءٌ يسعه؟

من ظنّ أنّ الفتح سيأتيه دون سعي، فقد ترك العمل وبقي في الوهم. ومن ظنّ أنّه سيصل بمجرد اجتهداه، فقد وقع في الغرور وظنّ أنّه يستجلب عطاء الله بقوة نفسه. وكلاهما على غير الجادة. فإنّما يكون الفتح حين يسير العبد بقدميه، ولكنه يعلم أنّ الوصول بيد الله، حين يجتهد بكل طاقته، ثم يسلم زمام الأمر إلى الحكمة

الإلهية. فالتوكل ليس تواكلاً، واليقين ليس دعوى.

لا تظنوا كل خاطرٍ فتحاً، ولا كل شعورٍ خفقة من النور. إنّ الفتح الصادق يُعرف بثمرته، فإذا أورثك خشية لله تعالى، وزهداً في الدنيا، وتواضعاً للخلق، وزيادة في الحلم والرضا، فاعلم أنه نورٌ حقيقي. أمّا إن أورثك كبراً، أو غروراً، أو شعوراً بالاستغناء عن السير، فاعلم أنه فتنةٌ لا فتح.

وأعلموا أنّا قد رأينا في الطريق من استعجل المقامات، فظنّ أنه بلغ، وهو بعدُ لم يتحرك من مكانه. ورأينا من ظنّ أنه صار من العارفين، فاحتجب عن النور، ولم يزد إلا تيهًا. فاحذروا، حماكم الله تعالى، من أن يخدعكم استعجالكم، فتطلبوا ما لم يحن أوانه، أو تظنوا أنكم بلغت وما زلتُم في أول الطريق.

وخذوا عني: إن ضاقت صدوركم تأخرًا، فاعلموا أنكم لم تستعدوا بعد، وإن سألتُم: "متى؟" فاعلموا أنّ سؤالكم هذا هو علامة عدم النضج.

لا تسألوا متى الفتح، ولكن اسألوا: "هل نحن أهلٌ له؟".

لا تقولوا: "لماذا لم يُعطنا الله؟" ولكن قولوا: "هل صنعنا قلوبا تستحق أن تُملأ بالنور؟".

إنّ من أراد النور، فليَنقِ قلبه من الظلمة، ومن أراد الفتح، فليحمل المفتاح بين يديه.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (222): لماذا لا يأتي الفتح للمريد بالعجلة واللهفة؟

الجواب: لأنّ الفتح ثمرة نضج القلب وصفائه، وليس عطاء يُنال بالاستعجال أو اللهفة. من تعجل قطف الثمرة قبل أوانها، لم يذق إلا مرارة، كما أنّ النبتة لا تثمر إلا بعد سقي ورعاية وصبرٍ طويل.

فالفتح رزقٌ، يتهيأ له القلب بالمجاهدة والتزكية، ويأتي في الوقت الذي يقدره الله، لا في الوقت الذي يريده العبد.

مسألة (223): ما المقصود بالفتح عند أهل الطريقة؟

يا مريد، الفتح هو نورٌ يقذفه الله في قلب عبده الصادق، فيفتح له من أبواب المعرفة، ومن أسرار القرب، ومن أنوار اليقين، ما يعجز اللسان عن وصفه، والعقل عن إحاطته. هو إدراكٌ عميق لحقيقة العبودية، وشهودٌ لجلال الحق سبحانه، ومقامٌ فيه ترتقي الأرواح من علم الظاهر إلى شهود الباطن، ومن حضور العادة إلى مقام المشاهدة.

الفتح، في حقيقته، هو انتقال السالك من حال الجهل بالله إلى حال المعرفة به، ومن ظلمة النفس إلى نور الرب، حتى يصبح قلبه مرآة صافية تعكس أنوار الحق، ويكون سمعه وبصره وقلبه لله، كما جاء في الحديث القدسي: ﴿وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به﴾⁽¹⁾....

وقد قال أهل التحقيق: الفتح هو إزالة الحُجُب عن القلب، ليشهد أنوار الحقيقة، وهو كشفٌ للمعاني التي كانت خفية عليه، سواء في فهم كتاب الله، أو في معرفة النفس، أو في شهود تجليات الحق في الوجود. والفتح درجات، منه ما يكون فتحاً في العلم، ومنه ما يكون فتحاً في الفهم، ومنه ما يكون فتحاً في الأحوال.

يا مريد، الفتح ليس أمراً وهمياً، ولا هو مجرد شعور بالطمأنينة العابرة، بل هو يقينٌ يُورث العبد تواضعاً وخشية، ويجعله أكثر رحمة للخلق، وأشد إخلاصاً في سيره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ

1 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [6137]، ج5 ص2385.

فَتْحًا مُبِينًا⁽¹⁾ وهو فَتْحٌ بالعلم، وفتْحٌ بالحال، وفتْحٌ بالنصر على النفس والهوى، وهو الفتح الأعظم.

مسألة (224): ما هو السبب في تأخر الفتح؟

الجواب: السبب في تأخر الفتح أنهم يريدونه قبل أن تنهيا قلوبهم لحمله. بعضهم يظن أن كثرة الأوراد أو العزلة كافية، دون تزكية النفس وتطهير الباطن من الآفات. فلا يُشرق النور في قلبٍ لم يُطهر من الأهواء، ولا يُعطى السر لمن لا يسعه صدره، فالعطاء على قدر الاستعداد، لا على قدر الطلب.

مسألة (225): ما الفرق بين الاجتهاد والغرور بطلب الفتح؟

الجواب: الاجتهاد هو أن يسعى العبد في الطريق، مجتهداً في طاعة الله، عارفاً أن الفتح بيد الله، وليس بقوة نفسه. أما الغرور فهو ظن العبد أنه إذا اجتهد بعمله، فإنه يستحق الفتح، وكأنَّ بيده مفاتيح العطاء الإلهي. والحق أن المجتهد الحق هو من يجمع بين السعي والتوكل، ويعلم أن الحكمة الإلهية هي التي تُقدّر متى وكيف يكون الفتح.

مسألة (226): كيف يعرف المريد أن الفتح الذي جاءه فتحٌ حقيقي وليس وهماً أو فتنة؟

الجواب: الفتح الصادق يُعرف بآثاره، فإذا أورث القلب خشية لله، وزهداً في الدنيا، وتواضعاً للخلق، وزيادة في الحلم والرضا، فهو نورٌ حق. أما إذا أورث العبد كبراً أو شعوراً بالاستغناء، أو اعتقاداً أنه لم يعد بحاجة إلى السير والمجاهدة، فهو فتنة، لا فتح. فالثمرة هي الميزان، ودوام الحال الصالح دليل صحة الفتح.

1 - [الفتح: 1]

رسالة [52]: التجلي بين الإلهام والوهم

يا مريد، إنّ السير إلى الله ليس بالضرورة أن يكون محفوظاً بالأُنوار الظاهرة، ولا أن تُفرش أمامكم التجليات في كل خطوة. فمن ظنّ أنّ الطريق يقوم على الكشوفات والخواطر وحدها، فقد جانبه الصواب، وإنها لفتنةٌ أن يطلب السالك الحظوظ الروحية قبل أن يستوي قلبه على الحق، فليس كل خاطرٍ إلهاماً، وليس كل إشراقٍ هداية. إنما يكون الإلهام رحمة لمن كان قلبه خالصاً، وابتلاء لمن تعلّق به. فاحذروا أن تجعلوا من التجليات مطلباً، ومن الخواطر دليلاً لا يُناقش، فإنّ أكثر من زلّ في الطريق، زلّ يوم أن ظنّ أنه صار من أهل الفتح.

يا مريد، لو كان الكشف والخواطر علامة الكمال، لكان إبليس أول العارفين، فقد رأى من النور ما لم تره قلوب كثيرين، ولكن لم يكن قلبه طاهراً فاحترق بالطرد.

العبرة ليست بما يتراءى لك في يقظتك أو في نومك، بل العبرة بما يُثمر فيك من يقين وخشوع وخضوع. فإن رأيت نوراً فزادك طاعة لله، فهو نورٌ، وإن رأيت نوراً فزادك شعوراً بالتميز على الخلق، فهو ظلمةٌ تتخفى في صورة النور.

كم من سالكٍ ظنّ أنه صار من أهل الإلهام، فوقع في غرورٍ لم يره، وظنّ أنه مستغنٍ عن السير لأنه صار يرى، فاحتجب عن الله من حيث ظنّ أنه اقترب. يا بني، اعلّموا أنّ الأنبياء أنفسهم لم يأمنوا على قلوبهم، وكانوا يسألون الله الثبات، فكيف يأمن المريد وهو لم يُختبر بعد؟ كم من خاطرٍ توهّمه السالك نوراً، فإذا هو هوى نفسه يلبس ثوب الوحي، وكم من تجلٍّ حسبه العارف فتحاً، فإذا هو ابتلاءٌ في صورة إكرام.

يا مريد، لو كان خاطر ميزان الحق، لما احتجنا إلى كتابٍ يُنير الطريق، ولما احتاج الأنبياء إلى الوحي. ولكن الحق لا يُعرف بالخواطر وحدها، بل بميزان الشرع والعقل والقلب معا. فاختبروا ما يُلقى في قلوبكم، ولا تأخذوا كل خاطرٍ مأخذ التصديق، فإنَّ الله لا يفتن العبد بشيءٍ أكثر مما يفتنه بنفسه.

يا مريد، الإلهام الصادق يزيد صاحبه استقامة، ويجعله أكثر تواضعاً وأشدَّ التصاقاً بحقائق الدين، وأعمق رحمة بالخلق. أمَّا الوهم، فيجعل صاحبه يبتعد عن الناس، ويحسب نفسه فوقهم، ويظن أنه وصل إلى مقامٍ لا يخضع فيه لميزان، فاحذروا الفخاخ التي تلبس ثوب النور، ولا تسيروا خلف كل خاطرٍ دون نظرٍ وثبت.

يا مريد، لا تجعلوا التجليات هاجسكم، بل اجعلوا همكم أن يرضى الله عنكم. لا تبحثوا عن نورٍ يُدهش أبصاركم، بل عن نورٍ ينير بصائرکم. فإن كان ما يُلقى في قلوبكم من الحق، فسيرسخ فيكم دون اضطراب، وإن كان من النفس، فسيأخذكم إلى حيث تأخذ الأهواء أصحابها.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (227): ما الفرق بين الفتح والتجلي؟

الجواب: الفتح والتجلي يشتركان في أنهما أنوار ربانية، وهبات إلهية، ولكن: الفتح هو رفع الحجاب عن القلب، وانكشاف حقيقة العبودية فيه، حتى يُفتح للعبد باب القرب إلى الله تعالى، ويترقى في معرفته، ويُعطى الفهم العميق في معاني التوحيد.

الفتح أوسع وأشمل من التجلي، هو مقام ثابت يبدأ حين يفتح الله لك باب السير، ويزيدك منه إلى أن تصل إلى مقام العارفين بالله،

كما جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾⁽¹⁾.

الفتح هو بداية الوصول، بل هو الباب الذي تدخل منه إلى رحاب المعرفة، وقد يكون فتحاً علمياً أو فتحاً روحانياً أو فتحاً في المجاهدة والتزكية.

الفتح يُبدّل أحوال العبد، ويضعه في مقام جديد في القرب، وهو أشبه بمقام "اليقين" الذي لا تزعزعه الخواطر، ولا تغريه الأحوال. أما التجلي، فهو لحظة أو حالة يظهر فيها نور الله أو أحد تجليات أسمائه وصفاته على قلب العبد أو في عالمه، ليرى من الحقائق ما لم يكن يراه، أو ليزداد يقينه، أو ليقوى على السير. فالتجلي ليس مقاماً دائماً، بل هو إشراق.

والتجلي قد يكون ابتلاء كما يكون إكراماً، فهو عرض من العروض، يأتي ويذهب، ليُمْتَحَن العبد، أثبت على الطريق، أم يغتر بما رأى!

مسألة (228): الفتح والتجلي، أيهما مقام وأيهما حال؟ ولماذا؟

الفتح: مقام، أي مرتبة روحية تستقر في العبد. إذا فُتح لك، استقر الفتح وإن تعددت تجلياته.

التجلي: حال، يظهر ويختفي، ولا يبقى دائماً، حتى مع الأنبياء والأولياء. لو أن عبداً اجتهد في السير، وجاهد نفسه، ثم فتح الله عليه، صار يرى بنور الله، ويفهم أسرار التوحيد، ويثبت على اليقين. ثم، وهو في سيره، يتجلى الله عليه بنور من أنوار رحمته، فيشعر بانسراح، أو يرى نوراً في قلبه، أو يفهم معنى دقيقاً من معاني القرآن. فالتجلي هنا ثمرة لحظية، والفتح بداية مقام.

الفتح: هو بداية المقامات العالية، ويُبدّل حالك من ظلمة الغفلة إلى نور القرب.

التجلي: هو إكرام أو اختبار يقع في أثناء السير، وقد يتكرر ويختلف، وهو كالضيء الذي يظهر في قلبك ليقويك.

مسألة (229): هل يشترط في الفتح أن يكون مصحوبا بالتجلي؟

الجواب: الفتح قد يأتي بلا تجلٍ ظاهر، وإنما بإيقاظ القلب، والتجلي قد يكون بلا فتح، ويكون ابتلاء لا ترقية. يقول سيدي عبد القادر الجيلاني (قدّست أسرارہ المباركة): «الفتحُ رحمة، والتجلي فتنة، إلّا لمن كان قلبه ثابتاً على المعرفة».

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيدِينَا، رِجَالًا وَنِسَاءً، مِنَ الَّذِينَ
يَسِيرُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ، فَلَا تُعَجِّلُهُمْ أَنْفُسُهُمْ، وَلَا تُؤَخِّرُهُمْ
غَفْلَتُهُمْ، وَأَمْنَحُهُمْ فَتْحًا صَادِقًا يَا وَهَّابُ

رسالة [53]: الخلوة بين العزلة والتجرد

يا مريد، الخلوة بحرٌ ذو أمواج متلاطمة، فيها من النور بقدر ما فيها من الظلمة، وفيها من الصفاء بقدر ما فيها من الفتنة. ليست كل خلوة هداية، وليست كل عزلة سبيلاً إلى النقاء. إنّما العبرة في حقيقتها، ولماذا يسير إليها السالك، وهل هو يطلب بها وجه الله أم أنه يفرّ بها من نفسه وواجبه؟

يا مريد، إنّ الخلوة ليست هروباً من الناس، بل لقاء بالنفس، فمن دخلها لابتعد عن الخلق، قد يجد فيها وحشته بدل أن يجد أنسه.

الخلوة التي تُثمر هي تلك التي يدخلها السالك ليعرف نفسه، لا ليعزلها، وليطهر قلبه، لا ليخدع روحه بأنه بلغ الصفاء بمجرد الانقطاع. فإنما ينجو من يدخلها وقد أعدّ لها قلباً حياً، وروحاً يقظة، وعقلاً لا يغفل عن حقيقة الطريق.

يا مريد، ليست كل خلوة حقيقية. فكم من سالكٍ أغلق على نفسه الباب، وظنّ أنه قد تفرّغ لله، وما فرّ إلا من نفسه، ولم يواجه حقيقة قلبه. وكم من منعزلٍ حسب أنه صار من أهل التجرد، وما زادته وحدته إلا قسوة وعزلة عن خلق الله. فإن كنت تريد أن تخلو بنفسك، فاجعلها خلوة تُطهرك، لا خلوة تحجبك، خلوة تعيدك إلى الحياة أنقى، لا عزلة تبعدك عن الحياة جفاء.

يا مريد، من دخل الخلوة وهو يحمل علائق الدنيا في قلبه، فلن يزيده انقطاعه إلا تعلقاً، ومن دخلها وهو لا يعرف هدفها، خرج منها وقد زاد حيرته أضعافاً. فاسأل نفسك: لماذا تريد أن تخلو؟ فإن كان همك أن تهرب من واجبك في الطريق، أو من حقيقة نفسك، فلا تدخلها، فإنها ستزيدك غفلة. أمّا إن كنت تريد أن تطهر قلبك، وتُعدّ نفسك لحمل الأمانة، فحينها تكون الخلوة نوراً، ويكون اعتزالك حياة جديدة لك، لا موتاً بطيئاً.

يا مريد، العزلة المذمومة ليست أن تبتعد عن الناس قليلاً، بل أن تظن أنك قد استغنيت عنهم. ليست أن تبحث عن لحظة صفاء، بل أن تقطع أواصرك مع الحياة، وتعيش وهم الكمال. احذر أن تُفَرِّط في الأُنس بالوحدة، فتصير السكينة وحشة، ويصير الصمت خواء. فإنَّ السالك الذي يغرق في وحدته، يُصبح أشدَّ عجزاً عن رؤية الحق من ذلك الذي ضاع في زحام الخلق.

يا مريد، التجرد عن العلائق لا يعني القطيعة مع الخلق. فإنما يُطلب التجرد ليكون القلب لله، لا ليكون في عزلةٍ عن عباده. الصحبة فيها حكمة، كما أنَّ الخلوة فيها نور، والموازنة بينهما هي سر السير السليم. فلا تعتزل حتى تتيقن أنك تفهم معنى العزلة، ولا تُقبل على الناس حتى تتأكد أنَّ قلبك لا يتيه في زحامهم.

يا مريد، إنَّ ميزان الطريق قائمٌ على التوازن، فمن أراد الخلوة بلا صحبة، تاه في نفسه، ومن أراد الصحبة بلا خلوة، ضاع في الناس. اجعل للخلوة وقتاً لتطهر قلبك، وللصحبة وقتاً لتحفظ توازنك، وكن في كل حالك مع الله، لا منعزلاً عنه وإن كنت بين الناس، ولا غافلاً عنه وإن كنت وحدك.

اللهم اجعل خلفاءنا ومريدنا، رجالاً ونساءً، ممن يخلون بك، لا ممن يعتزل الحياة في وهم الزهد، واجعلهم ممن يصفو قلبه، لا ممن يغفل عقله، واجعل لهم في كل مقامٍ نصيباً من نورك وهديك.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (230): ما الفرق بين الخلوة والعزلة والتجرد؟

أولاً، الخلوة هي انفراد ظاهر وباطن، يقصد به تطهير النفس من شواغل الدنيا، وتفريغ القلب من الخلق، حتى يكون مستعداً لتلقي

أنوار الذكر، وسماع الخطاب الباطن. الخلوة وسيلة تربوية في الطريق، ولها آدابها وشروطها، يدخلها المريد بإذن الشيخ حصراً، ويقيم فيها على ذكرٍ مخصوص ومراقبة قلبه. الخلوة أشبه بما كان من أمر نبي الله موسى عليه السلام حين واعده الله ثلاثين ليلة وأتمها بعشر، فكانت خلوة إعداد للقاء وتجلي الخطاب.

ثانياً، العزلة هي مفارقة الخلق، إما بالجسم أو بالحال أو بالفكر. وهي نوعان، عزلة محمودة، إذا كان القلب منشغلاً بالله حتى وإن كان الجسم بين الناس، أو اختار السالك الانقطاع عنهم مؤقتاً للتزكية، كما فعل النبي في غار حراء. وهناك عزلة مذمومة، إذا كانت هروباً من مسؤوليات الخلق، أو تكبراً عليهم، أو انعزالاً عن واجبات عمارة الأرض. العزلة تختلف عن الخلوة، فالعزلة قد تكون دائمة أو طارئة، بينما الخلوة مقام مؤقت مقصود به التهذيب والتطهير.

ثالثاً، التجرد هو حال القلب، وهو التخلي عن التعلق بكل ما سوى الله. التجرد لا علاقة له بمكان الجسم، فقد يكون الإنسان بين الناس، لكنه متجرد عن الدنيا وشهواتها. التجرد أعلى مراتب الزهد، وهو دوام الحضور مع الله بلا علائق تشغل القلب، كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁽¹⁾، وهو القلب الذي تجرد عن كل ما سوى الله.

الخلاصة:

الخلوة: عمل ظاهر وباطن، يقوم به السالك فترة محددة للتهذيب.
العزلة: حالة ابتعاد عن الناس، قد تكون محمودة وقد تكون مذمومة بحسب النية والمقام.

التجرد: مقام قلبي دائم، لا يتوقف على الخلوة أو العزلة، بل هو حال السالك أينما كان.

العلاقة بين الثلاثة أنّ الخلوة تهيب القلب للتجرد، والعزلة قد تكون وسيلة للخلوة أو قد تكون انحرافاً عنها، أما التجرد فهو الثمرة المقصودة من كل خلوة وعزلة.

المقصود من كل هذه المقامات هو عمارة القلب بالله، لا الهروب من الحياة، فالسالك الحق هو الذي يعمّر دنياه بيديه، وقلبه معلق بالله.

مسألة (231): كيف يعرف السالك حاجته إلى الخلوة أو الصحبة؟
يعرف السالك حاجته للخلوة إذا رأى قلبه منشغلاً بالعلائق، محتاجاً للتصفية والهدوء، فيعتزل قليلاً ليعيد التوازن لنفسه.
ويعرف حاجته للصحبة إذا رأى نفسه تميل إلى الانطواء المذموم أو الاستعلاء، فيرجع إلى الناس ليعيد التواضع لقلبه ويقوي نفسه بالمخالطة والصبر.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا حَيْثُ تَرْضَى، لَا حَيْثُ تَهْوَى نُفُوسُنَا، وَأَرْزُقْنَا
الرِّضَا بِمَا قَسَمْتَ لَنَا، فَإِنْ كَانَ الظُّهُورُ فِتْنَةً، فَاجْعَلْنَا فِي
الْخَفَاءِ آمِنِينَ، وَإِنْ كَانَ التَّصَدُّرُ أَمَانَةً، فَثَبِّتْنَا عَلَى الْحَقِّ فِيهِ

رسالة [54]: الخفاء والظهور.. بين صدق التجرد وفتنة

التصدر

يا مريد، إنّ الطريق إلى الله ليس مظاهر تُطلب، ولا مقامات تُنتزع، بل هو صفاء القلب، واستقامة النية، وتجرّد العمل. قد ترى نفسك في خفاءٍ فلا تصبر، وتظن أنّ القبول مرهونٌ بأن يراك الناس، وقد تُبتلى بالظهور فتظن أنك قد بلغت مقاماً ما، بينما هو اختبارٌ لك قبل أن يكون تمكيناً. فإياك أن تفرح بالظهور، وإياك أن تجزع من الخفاء، فليس المقياس في أعين الخلق، بل في وزن القلب عند الحق.

يا مريد، لو كان الخفاء وحده علامة الإخلاص، لما ظهر الأنبياء بين الناس، ولو كان التّصدر وحده دليل القبول، لما توارى أهل الله في محاريبهم. لكن الأمر أدقّ من أن يُحصر في صورة، فكما قد يكون الخفاء رحمة تحميك من فتنة النفس، قد يكون أيضاً كسلاً وخوفاً من المسؤولية. وكما قد يكون التّصدر وسيلة لنشر الحق، قد يكون كذلك امتحاناً تتعرض فيه النفس لأشد أنواع البلاء.

يا مريد، فتش في قلبك، لماذا ترغب في الخفاء؟ ولماذا تميل إلى الظهور؟ إن كنت تهرب من الناس خوفاً من التكليف، فأنت تفرّ من الأمانة، لا تزهد فيها. وإن كنت تطلب التّصدر طمعاً في الهيبة، فأنت تطلب الدنيا بثوب الدين. ولكن إن كنت تخفى عن الخلق لأن قلبك اكتفى بالله، فهذا مقام، وإن تّصدّرت لأنك وجدت فيك قدرة على نصرته الحق، فهذا مقام. فانظر أيّ المقامين مقامك، ولا تلبس على نفسك.

يا مريد، إن أردت أن تعرف حقيقة حالك، فانظر إلى قلبك حين تتخفى، وحين تظهر. فإن كنت في الخفاء مستأنساً بالله، مطمئناً بقربه، لا يضيق صدرك لأنّ الناس لا يرونك، فقد وجدت حقيقة العبودية. وإن كنت في الظهور ناصحاً للخلق، متجرّداً من حظوظ

النفس، لا تفرح بمدح، ولا تجزع من ذم، فقد جُعلت حيث يريدك الله، لا حيث تريد نفسك.

يا مريد، احذر من أن يكون الخفاء عندك حيلة تبرر بها الكسل، وأنت تقول "لا أريد التصدر"، بينما في الحقيقة تخشى المسؤولية. واحذر أن يكون التصدر طلباً خفياً في قلبك للثناء، وأنت تقول "أخدم الدين"، بينما النفس تطلب لنفسها أكثر مما تعطي لله. فمن كان صادقاً، رضي حيث وضعه الله، ولم يسعَ لنفسه في شيء.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، منهم من يحجم عن التصدر حيث يكون نافعاً، ومنهم من يطلب الظهور حيث لا يكون أهلاً له. فانظروا في قلوبهم، لا في ظواهر أحوالهم. لا تدفعوا إلى الصدارة من لم تنضج نفسه، فيُفتن، ولا تتركوا في الظل من أُعطي القدرة، فيضيع نفعه. فإنّما الحكمة أن تضعوا الرجل في موضعه، فتدفعوا الصادق للعمل حين يتردد، وتردعوا المتسرع حين يندفع.

يا خلفاء الطريقة، ذكّروا المريدين أنّ العبد لا يختار لنفسه، بل يختار الله له، فإن رفعه، فليكن عبداً متجّرداً، وإن أخفاه، فليكن عبداً قانعاً. اجعلوهم يتعلمون أنّ الله لا ينظر إلى أماكنهم في الحياة، بل إلى مواقع قلوبهم منه.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (232): كيف يميز المريد بين مقامه في الخفاء أو التصدر؟

يميز المريد مقامه بالنظر في قلبه. فإن وجد نفسه مطمئناً بالله في الخفاء، لا تضيق نفسه لكونه مجهولاً، فهو في موضعه. وإن وجد في نفسه نية خالصة، واستعداداً لحمل أعباء الدعوة، واستواء على مقام التواضع، وكان التصدر تكليفاً من شيخه أو خليفته، فهو على

بينة في التصدر. أمّا إن وجد نفسه متطلعة إلى مدح الناس أو مشغولة بمقامها في أعينهم، فهو لم يتجرّد بعد، وعليه أن يرجع إلى الخفاء حتى تزكو نيته.

مسألة (233): معيار القبول عند الله، هل هو في الظهور أو الخفاء؟
القبول عند الله ليس في شهرة العبد أو خفائه، بل في صدق قلبه وتجرّده لله. فمن رضي بوضعه، وأدى ما عليه في السر والعلن، ولم يطلب لنفسه شيئاً، كان مقبولاً عند الله، سواء أكان معروفاً بين الخلق أو مجهولاً. فالمقياس هو وزن القلب عند الحق، لا وزن الإقدام بين الناس.

مسألة (234): ما دور الخفاء في التوجيه بين الخفاء والتصدر؟
دور الخفاء أن ينظروا إلى أحوال المريدين بميزان الحكمة، فيمنعوا من التصدر من لم تتهدّب نفسه، ويشجعوا على العمل من نضج قلبه وتأهل للخدمة. لا يرفعوا من يستعجل المقامات، ولا يتركوا من تأهل في الظل خوفاً أو زهداً مغلوطيناً، بل يضعوا كل مريد في موضعه، ويعينوه على تزكية نيته في كل حال.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيدِينَا، ذُكُورًا وَإِنَاثًا، مِنْ أَهْلِ
الْأَسْتِقَامَةِ، لَا مِنْ الْغَافِلِينَ، وَلَا مِنْ الْغَالِينَ، وَسَدِّدْ خُطَاهُمْ
حَتَّى يَكُونُوا سَيْرُهُمْ مُعْتَدِلًا، لَا إِفْرَاطَ فِيهِ وَلَا تَفَرِيطَ

رسالة [55]: بين التقصير والغلو.. ميزان الاستقامة في

الطريق

يا مرید، إنّ الطريق إلى الله ليس طريق التفريط والتهاون، ولا طريق التشدد والغلو، وإنّما هو طريق الاستقامة. فكم من مریدٍ قَصُرَ، فحسب أنه في مأمن من الغفلة، وكم من مریدٍ غَالَى، فظنّ أنه يحسن صنعاً، وكلاهما قد ضلّ عن ميزان الحق. فاحذر أن تكون من هؤلاء أو أولئك، بل كن على الجادة، حيث يكون القلب عامراً، والعمل مستمراً، والنفس مطمئنة إلى رحمة الله بقدر ما تخشاه.

يا مرید، إنّ بعض السالكين يظنون أنّ حُسن الظن بالله يكفيهم، فيتهاونون في السعي، ويركنون إلى الأمنيات. فيدّعون المحبة، ولا يجاهدون النفس، ويتكلمون عن القرب، ولا يعملون لما يقربهم. وهؤلاء وقعوا في وهم التقصير، فإنّما يرفع الله من أخلص، لا من تمّنّى، وإنّما يصل من سعى، لا من انتظر. فلا تخدع نفسك، ولا تجعل من الراحة حجة، فإنّ الله يحب العبد المجاهد في سبيله، لا القاعد المستسلم لهواه.

يا مرید، لا تكن ممن بالغ حتى كاد يحطم نفسه، فظنّ أن الطريق لا يُسلك إلّا بالشدة على النفس، فأسرف في التكاليف، وأثقل على روحه، حتى نسي أنّ الله لم يجعل الدين عذاباً، بل جعله رحمة. فصار يقوم الليل كله حتى ينهار جسده، ويعتزل الخلق حتى يقسو قلبه، ويحمّل نفسه فوق طاقتها، حتى ينطفئ نوره، وهو يظن أنه يرتقي. فهؤلاء وقعوا في وهم الغلو. إنّ الله لم يطلب من عباده أن يُميتوا أجسادهم، بل أن يُحيوا قلوبهم. فلم يكن النبي رهبانياً، ولا كان أصحابه يحرمون على أنفسهم ما أحلّ الله لهم، بل كانوا عباداً متوازنين، يأخذون من الدنيا بقدر، ومن الآخرة بقدر.

يا مريد، إنّما الاستقامة أن تسير بين هذين الطريقين، فلا تقصّر حتى تفقد روح المجاهدة، ولا تغلو حتى تتكسر تحت ثقل التكليف. اجعل لنفسك ورداً ثابتاً، لا تتركه كسلاً، ولا تثقل به على نفسك حتى تملّه. واجعل لنفسك من الدنيا نصيباً، فلا تحرم نفسك مما أباحه الله لك، ولكن لا يكن قلبك معلقاً بها. فإنّما الطريق إلى الله ليس كسراً للنفس، ولا تفريطاً فيها، وإنّما هو تزكية متوازنة، فيها رحمة وفيها اجتهاد.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من يتهاون، وفيهم من يغلو، وكلاهما بحاجة إلى بصيرتكم. فلا تتركوا المقصّرين في غفلتهم، فيكونوا حجة على الطريق، ولا تتركوا المغالين حتى يحترقوا بنار تكليفهم. بل علّموا هؤلاء أنّ السعي لا يُترك، وعلّموا أولئك أنّ الله غنيّ عن تعذيب النفس. إنّما أتم موازين العدل في الطريقة، فزنوا الناس بميزان الرحمة والحكمة، لا بميزان الهوى.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الله يريد منهم سعيّاً مستمراً، لا قفزاتٍ تنقطع، وأنه يريد قلوباً مستقيمة، لا أجساداً منهكة من غير بصيرة. ذكّروهم أنّ الدين لا يقبل المُهمِل، ولا يعترف بالمُفَرِّط، وأنه دين التوازن، حيث تُؤخذ النفس برفقٍ، وتُحمل على الخير بلا غنّةٍ ولا تهاون. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَكَ فَارْتَقَى.



مسألة (235): ما معنى الاستقامة في الطريق إلى الله؟

الجواب: الاستقامة هي السير على الجادة بلا تقصير يوقع في الغفلة، ولا غلو يوقع في العنّة والمشقة. هي التوازن بين الخوف والرجاء، وبين العبادة والاجتهاد، وبين إعمار الدنيا والآخرة، بحيث يكون السالك مجاهداً بلا إفراط، ورحيماً بنفسه بلا تفريط.

مسألة (236): كيف تتحقق بالاعتدال بين التقصير والغلو؟
يتحقق بالاعتدال بأن يجعل لنفسه ورداً ثابتاً لا يتركه كسلاً، ولا يزيد عليه حتى تملّهُ النفس، ويأخذ من الدنيا بقدر لا يشغله عن الله، ويوازن بين العبادة والعمل، وبين الخلوة والصُحبة، بحيث يبقى قلبه حاضراً، ونفسه مطمئنة، ولا يحمّلها فوق طاقتها.



رسالة [56]: القلوب بين القلق والسكينة..

كيف يسكن المرید إلى الله؟

يا مرید، إنّ قلبك ماءٌ يتحرك بالحياة، ونورٌ يتفاوت بمدد الله تعالى. فتارة تجد السكينة كأنها بردٌ وسلام، وتارة تجد القلق يراودك، فتسأل: هل أنا على الجادة؟ هل يقبلني الله؟ لماذا أجِدُ في بعض الأيام نوراً، ثم يغيب عني فلا أراه؟ أما تعلم، يا مرید، أنّ هذا حال القلوب، وأنها لا تثبت على حال؟ فلا تظن أن السكينة مقامٌ دائمٌ لا يفارق صاحبه، ولا تحسبن أن القلق علامةٌ طردٍ من الرحمة. فإنّ القلب بين تقلبين: تقلبٌ يرفعه، وتقلبٌ يهذه، وكلاهما من سنن الله في عباده.

يا مرید، اعلم أنّ هناك فرقاً بين القلق الذي يوقظك ، والقلق الذي يحجبك. أمّا الأول، فهو الذي يجعلك تبحث، ويمنعك من الركون إلى الغفلة، ويزيد فيك الحرص على الصدق، فهذا قلقٌ محمود، وهو من دلائل صدق الطلب. وأمّا القلق الآخر، فهو الذي يجعلك تيأس، أو تظن أنّ كل مجهودك هباء، أو ترى نفسك محجوباً عن الله بلا أمل، فهذا قلقٌ من الشيطان، فلا تستسلم له، فإنه لا يأتيك إلا ليقطعك عن الرحمة.

يا مرید، لا تظن أنّ السكينة تعني أن تسكن سكون الغافلين، أو أن تصل إلى حالةٍ لا مجاهدة فيها ولا تعب. فإنّما السكينة هي أن تسير على الطريق، وإن كان في قلبك شيءٌ من التعب، والسكينة أن تبقى مع الله وإن لم تجد لذة في كل لحظة. فالصدق أن تثبت في طريقك، لا أن تطلب حالاً معيناً، فإنّ القلب ليس له سلطانٌ على نفسه، وإنّما يحركه الله كيف شاء.

يا مرید، إنّ القلب الذي يسكن هو الذي يفهم أنّ الأحوال ليست

غاية، وإنّما الغاية هي سبحانه وتعالى. فلا يجزع إن وجد نفسه في يومٍ غير يومه، ولا يحزن إن لم يجد في كل ركعة ما وجده في الأخرى، بل يسير بثبات، ويأخذ من كل حال نصيبه، ويرضى بما قسمه الله له، فإن كان حاله نوراً، شكر، وإن كان حاله جفافاً، صبر، وكلاهما عبوديةٌ وسيّرٌ إلى الله.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين يظنون أنّ السكينة مقامٌ ثابت، فإذا تغير حالهم أصابهم الجزع، أو يظنون أنّ القلق علامةٌ نقص، فيغفلون عن فائدته في دفع النفس إلى المجاهدة. فكونوا لهم مرشدين، فلا تتركوهم يغرقون في حالٍ دون أن يفهموه، ولا تتركوهم يحكمون على أنفسهم قبل أن ينضج فهمهم.

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين أنّ القلب لا يملك أمره، ولكن صاحبه يملك صدقه. فإن صدّق، كان قلبه موصولاً بالله وإن لم يشعر، وإن لم يصدق، كان قلبه بعيداً وإن ظن أنه في السكينة. فلا تجعلوهم يبحثون عن المشاعر، بل اجعلوهم يبحثون عن الحقيقة، فإنّ السكينة ليست إحساساً، بل يقينٌ يُثبت القدم على الطريق. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (237): هل السكينة مقام دائمة للسالك، وكيف تُفهم؟

السكينة ليست مقاماً ثابتاً لا يتغير، بل هي حال يتقلب فيه القلب بحسب ما شاء الله له. والسالك لا يقيس صدقه بوجود السكينة أو غيابها، بل بصدق سيره، وثبات قدمه في الطريق، سواء شعر بالطمأنينة أو لم يشعر. السكينة الحق هي اليقين بالله، والاستمرار في المجاهدة، لا الانقطاع طلباً للراحة.

مسألة (238): كيف تثبت على الطريق رغم تقلب الأحوال؟

يثبت المرید إذا فهم أنّ الغاية ليست الأحوال ولا المشاعر، بل الغاية هي الله. فعليه أن يرضى بما قسمه الله له، إن وجد لذة في الذكر شكر، وإن مرّ بفتور صبر، وسار في الحالين على سواء. فالصدق هو البقاء في الخدمة، وعدم ترك الطريق عند تبدل الحال، واليقين أنّ الله هو الذي يدبّر القلب ويقلبه كيف يشاء.

مسألة (239): ما هو الميزان الذي ينبغي أن يسير عليه المرید؟

الميزان هو صدق الطلب، وثبات القدم، والرضا بحكم الله في القلب، سواء في حال القلق أو السكينة. فلا يلهث خلف المشاعر، بل يسعى إلى رضا الله، فإن كان القلب ساكناً فبفضل الله، وإن كان مضطرباً فبفضل المجاهدة، وكلاهما نعمة.

المسألة (240): ما الفرق بين السكينة والطمأنينة في السير؟

يا مرید، اعلم أنّ السكينة والطمأنينة وإن اجتمعتا في القلب، فبينهما فرق في الحال والمقام. فالسكينة نفحة إلهية يضعها الله في قلب عبده عند الشدائد والمواقف العظام، تثبته وتربطه بعروة التوكل، كما قال تعالى عن أصحاب النبي يوم الحديبية: ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾⁽¹⁾. فهي مدد خاص من الله، يحلّ حين الاضطراب، فتجعل القلب ثابتاً وإن اضطربت الأحوال، وتمنحه رباطة جأش وإن ضجّت النفوس من حوله.

أمّا الطمأنينة، فهي مقام أوسع، يثمره اليقين والإيمان الراسخ، يجعل العبد ساكن القلب في جميع الأحوال، سواء في السراء أو الضراء. هي

سكون النفس إلى ذكر الله، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾. فهي استقرار القلب بالمعرفة، وسكون النفس باليقين، لا تعصف بها تقلبات الدنيا ولا تأخذها فتن الأحوال. فالسكينة عطاءٌ وقتيٌّ لرفع بلاء أو تثبيتٍ في موقف، بينما الطمأنينة مقامٌ ثابتٌ ينشأ من دوام الإيمان وصفاء التوكل. ومن جمعهما فقد أوتي خيراً كثيراً.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيدِينَا، رِجَالًا وَنِسَاءً، قُلُوبًا سَاكِنَةً
بِكَ، لَا تُزَلِّزُهَا أَضْطِرَابَاتُ الْأَحْوَالِ، وَلَا تَحْجُبُهَا ظُلُمَاتُ
الْوَسَاوِسِ، وَأَمْنَحْهُمْ السَّكِينَةَ الَّتِي تُبَيِّنُ عَلَى الْحَقِّ، فَلَا
يَتَحَرَّكُونَ إِلَّا بِإِرَادَتِكَ، وَلَا يَسْكُنُونَ إِلَّا فِي حَضْرَتِكَ، بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

رسالة [57]: كيف يوازن المريد بين الاجتهاد والقناعة؟

يا مريد، إنّ الطموح قوةٌ عظيمةٌ أودعها الله في قلب الإنسان، بها يعمر الأرض، وبها يسعى إلى الكمال الممكن، وبها يرتقي في مدارج العلم والعمل. ولكن هذه القوة إن لم تُضبط بالحكمة، تحولت إلى نارٍ تحرق صاحبها، فجعلته عبداً للإنجازات، لا يرى في الحياة إلا سباقاً لا ينتهي. وإن كان الطموح الزائد خطراً، فإنّ القناعة المفرطة إذا أسيء فهمها، صارت باباً للخمول، فيجلس العبد دون سعي، يبرر عجزه باسم الرضا، ويفقد همته باسم القناعة.

قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾⁽¹⁾. فجمع بين السعي والاعتدال، وبين الاجتهاد والتوازن، فلا إفراط يُرهق النفس، ولا تفريط يُميت الهمة.

يا مريد، لا تفهم الرضا خطأ، فتظنّه خملاً وقعوداً، ولا تفهم الطموح خطأ، فتظنه سباقاً بلا توقف. فإنّما الرضا أن تسعى ثم تسلم، وأن تعمل ثم ترضى بما قسمه الله، وأما الطموح الحق، فهو أن يكون لك هدف، ولكن لا تجعل الهدف يسوقك كما يسوق الفارس فرسه المجهد.

يا مريد، إن الطموح إذا زاد عن حدّه، صار قلقاً، وإذا نقص عن حدّه، صار ضعفاً، والميزان أن تعمل بهدوء، وتسعى بإتقان، دون أن تجعل نفسك أسيراً لما لم تبلغه بعد. فإنّ العبد إذا استغرق في الطموح، فقد ينسى أنّ الطريق نفسه نعمة، وأنّ الرحلة هي جزء من العطاء، فإذا لم يستمتع بما لديه الآن، فلن يفرح أبداً، لأن كل وصولٍ سيتبعه طموحٌ آخر، فلا يجد قلبه سكيناً.

يروى أنّ رجلاً جاء إلى إمام وقته، وقال: «يا إمام، أريد أن أصبح من

كبار العلماء، فما توصي به؟» فقال له الإمام: «اطلب العلم، ولا تجعل همك أن تُعرف به، فإن كنت مخلصاً، فتح الله عليك، وإن كنت تطلب الدنيا بالعلم، فلن يزيدك إلا تعباً». فكان الرجل يسعى، لكنه لم يجعل الطموح قيماً على قلبه، ولم يجعل النجاح وسيلة لحب الظهور، بل جعل العمل نفسه غاية، فكان سعيداً في مسيرته، وليس فقط في نهايتها.

يا مريد، إذا أردت أن تحقق التوازن، فاسأل نفسك دائماً: هل أنا أطلب هذا الطموح لأنني أريد الخير، أم لأنني أريد أن أرى؟ هل أتحرك برغبة صادقة، أم أنني أتنافس فقط لأنني لا أريد أن أكون أقل من غيري؟ فإنّ الطموح الصادق نورٌ، والطموح المسموم ظلمةٌ.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين فيهم من يخشى الطموح، فيجلس بلا حركة، ويظن أنّ هذا هو الرضا، وفيهم من يسعى بلا وعي، حتى يرهق نفسه، ثم يسقط في دوامة القلق. فكونوا لهم مرشدين، علّموهم أنّ العمل عبادة، ولكن القلب لا ينبغي أن يكون معلقاً بما لم يُكتب له بعد، علّموهم أنّ الحياة ليست صراعاً، ولكنها امتحانٌ، فالعاقِل من يسعى بجهد، ثم يُسلم لله في النتائج.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الغنى الحقيقي ليس في كثرة المال، بل في قناعة القلب، وأنّ النجاح ليس في بلوغ كل شيء، بل في معرفة متى يكفي الإنسان ما عنده، وأنّ المرء إذا جعل سعادته مشروطة بتحقيق أهدافه، فلن يسعد أبداً، لأن النفس البشرية لا تشبع. ولكن من تعلم أن يفرح بالطريق، ويعمل بإخلاص، فقد وجد سر الطمأنينة.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (241): لماذا يجب الموازنة بين الطموح والقناعة؟

الجواب: لأن المريد إذا غلب عليه الطموح بلا قناعة، صار عبداً لحب الوصول، لا يهدأ قلبه، ولا يسكن روحه، حتى لو نال مراده، فإنه يبقى قلقاً مما لم ينله. وإذا غلبت عليه القناعة بلا طموح، بقي مكانه، لا يسعى ولا يجتهد، وضاعت همته، فظن نفسه راضياً وهو في الحقيقة عاطل عن السير. والطريق إلى الله يحتاج إلى قلب يسعى بلا اضطراب، ويرضى بلا خمول.

مسألة (242): متى يكون الطموح عبادة، ومتى يكون حجاباً؟

الجواب: الطموح يكون عبادة إذا قصد به العبد وجه الله، فسعى ليزيد خيره، أو لينفع الخلق، أو ليحقق مصلحة لله. أما إذا سعى ليعلو على غيره، أو لينال الجاه والمدح، أو ليجمع الدنيا لنفسه، صار الطموح حجاباً يحول بين قلبه وبين الله، ولو كان في صورة العمل الصالح.

مسألة (243): كيف يعرف المريد بلوغ حدّ القناعة الصحيح؟

الجواب: يعرف المريد أنه قد بلغ القناعة إذا عمل بما يستطيع، وبذل وسعه، ثم رضي بما آتاه الله، فلا يحزن على ما فاتته، ولا يقعد عن العمل بحجة الرضا. فالقناعة الصحيحة تدفع العبد إلى الاجتهاد، ثم تسكن قلبه إذا قضى أمر الله، فلا يجزع إن لم يحصل له ما أراد.

مسألة (244): ما العلاقة بين القناعة والزهد؟

الجواب: في طريقتنا، القناعة والزهد توأمان، فالزهد أن تملك كل شيء ولا يملكك شيء، والقناعة أن تكون غنياً بالله، لا تطلب من الدنيا ما يزيد عن كفايتك، ولا تحزن على ما فاتك منها. الزاهد هو القانع الذي يأخذ بنصيب الدنيا، ولكن قلبه معلق بالله لا بها.

مسألة (245): ما عاقبة اخلال التوازن بين الطموح والقناعة؟

من بالغ في الطموح، وطلب العلو في الدنيا، غفل عن الآخرة، وتعلقت روحه بما يفنى، وإن بلغ ما أراد، لم يجد فيه راحة، بل قلقاً لا ينتهي. ومن قعد باسم القناعة، لم يسلك الطريق كما أمره الله، وضاعت منه فرص التزكية والعمل، فأصبح عالة على غيره، يظن أنه راضٍ وهو في الحقيقة غافل.

مسألة (246): كيف يعرف المريد أنه يوازن بين الطموح والقناعة؟

يعرف المريد أنه يوازن بين الطموح والقناعة إذا وجد في قلبه سكوناً بعد السعي، لا اضطراباً ولا قلقاً. فإن كان يعمل ويجتهد، ثم إذا جاءه ما أراد شكر، وإذا فاتته ما طلب رضي، فهو على توازن. وإن وجد نفسه يسعى ويطلب، وقلبه معلق بالنتائج، فإذا لم يحصل له مقصوده جزع، فهذا علامة أنه غلب عليه الطموح دون قناعة. وإن ترك السعي وتهاون في العمل بحجة القناعة والرضا، فهذا تقصير وقعود، لا توازن ولا رضا. فالتوازن أن يجتهد ببدنه، ويطمئن قلبه لحكم الله بعد العمل.



رسالة [58]: بين التنافس والتحاسد

يا مريد، يا من عقد العزم على السير في طريق الله، اعلم أنّ التنافس في الخيرات هو سُنّة أهل الهِمَم العالية، وخُلُق السالكين الصادقين الذين تآقت أرواحهم إلى الدرجات العُلى في القرب من الحق سبحانه. إنه تنافس ليس فيه حظ للنفس، ولا طلب للظهور، وإنما هو تنافس في الطاعة، وتسابق إلى مرضاة الله، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾⁽¹⁾.

يا مريد، إنّ التنافس في طريق الله هو من علامات حياة القلب، فإذا رأيت إخوانك يسابقون إلى ذكر الله، فاسبقهم بصدق النية، وإذا رأيتهم يقيمون الليل، فقم تنافسا في التقرب، لا تفضيلا للنفس، وإذا رأيتهم ينفقون، فسارع إلى العطاء، وكن أول من يبادر، فإنّ الله يحب السابقين، ويحب أن يرى عبده يسعى ليكون أحب الخلق إليه. وقد قال النبي ﷺ: ﴿سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ﴾، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال ﷺ: ﴿الَّذَا كُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذَا كِرَاتُ﴾⁽²⁾.

يا مريد، إنّ التنافس الشريف هو أن تجاهد نفسك لتكون أكثر إخلاصاً، وأعمق تواضعاً، وأوسع رحمة. هو أن ترى الخير في إخوانك، فتفرح به، ثم تسعى أن تلحق بهم، لا أن تتقدم عليهم لمجرد التقدم، ولكن لتكون أقرب إلى الله، وأكثر نفعاً لعباد الله.

يا مريد، إن النفوس إذا تنافست، ارتفعت المقامات، وتزيّنت المجالس بذكر الله، وصار كل واحد منكم عوناً للآخر، يدفعه إلى مزيد من الإحسان. فلا يكن في قلبك حرج إذا رأيت من سبقك، بل اجعل رؤيته

1 - [المطففين: 26]

2 - مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم [2676]، ج4 ص2062.

باعثاً على مزيد من الاجتهاد، ولا يكن همك أن يُقال عنك، بل ليكن همك أن تُرضي مولاك.

يروى أنّ رجلاً سأل الإمام علياً عليه السلام: «ما بال الصالحين يتنافسون في الطاعات، ولا يجد أحدهم في قلبه ضيقاً من فضل أخيه عليه؟» فقال رضي الله عنه: «لأنهم علموا أنّ الفضل من الله، وأنّ سعيهم له، فمن وجد فيه فضلاً حمد الله، ومن رأى غيره سبقه، اجتهد ليزيد قرباً». فانظر، يا مرید، كيف أن التنافس الشريف هو علامة صفاء القلب، وعنوان صدق السعي.

يا خلفاء الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، علّموا المريدين أنّ التنافس عبادة، لكنه يحتاج إلى صفاء النية وطهارة القلب، فإن غابت النية، صار التنافس رياء، وإن فُقد الصفاء، صار صراعاً. اجعلوهم يتسابقون إلى الصف الأول، لا ليُرى أحدهم، بل ليُرضوا ربهم، ويُسرعوا إلى محبته، فإنّ الله يحب المتنافسين في طاعته، كما يحب السابقين بالخيرات.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (247): ما هو التنافس المشروع في طريق الله؟

التنافس المشروع في طريق الله هو أن يسعى المرید ليكون أكثر اجتهاداً في الطاعة، وأعمق إخلاصاً في العمل، دون أن يتمنى زوال النعمة عن غيره أو أن يطلب لنفسه التفضيل على الآخرين. هو منافسة في القرب من الله، لا في حظوظ النفس. قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾⁽¹⁾، أي في نعيم الآخرة، ورضا الله، لا في متاع الدنيا.

1 - [المطففين: 26]

مسألة (248): كيف يعرف المريد أنه يتنافس بصدق؟

يعرف المريد صدق تنافسه عندما يفرح بسبق إخوانه ولا يجد في قلبه حسداً أو ضيقاً، بل يزيده ذلك حماساً في السير والاجتهاد، دون أن ينقص من محبته لهم أو ينكر فضلهم. وإذا وجد في نفسه رغبة صافية في التقرب إلى الله، بعيدة عن طلب المنزلة عند الخلق، فهو على طريق التنافس المحمود.

مسألة (249): ما أثر التنافس المحمود في مجالس المريدين؟

التنافس المحمود يحيي القلوب، ويزيد النور في المجالس، لأن كل مريد يسعى ليكون قدوة في الذكر والخدمة والأدب، مما يرفع الهمة في قلوب الآخرين، فتكون الصحبة عوناً على الوصول، ولا يرى أحد نفسه فوق أخيه، بل يرى الجميع في سعي متواصل إلى رضا الله تعالى.

مسألة (250): ما الفرق بين التنافس المحمود والمذموم؟

التنافس المحمود هو الذي يقتدر بالإخلاص، فيدفع المريد إلى العمل الصالح طلباً لوجه الله، دون أن يتمنى نقصاً لإخوانه أو يفرح بتقصيرهم. أما التنافس المذموم، فهو الذي ينشأ عن حظ النفس، فيسعى العبد للظهور على غيره، أو التقدم في المجالس رياء، أو يُضمّر الحسد والحقد على من تقدّم عليه في العمل أو المقام.

مسألة (251): لماذا نحث على التنافس في القرب من الله؟

لأنّ التنافس في الخير يحرك همّ المريدين، ويجعلهم دائماً في حال من المجاهدة، فلا يتراخون عن الطاعة، ولا يركنون إلى ما هم عليه، بل يكون كل واحدٍ فيهم سباقاً إلى الفضل، كما كان أصحاب النبي يتنافسون في العمل الصالح، كلٌّ يريد أن يكون أحبّ الخلق إلى الله.

مسألة (252): هل التنافس ينافي التواضع؟

لا، بل التنافس هو عين التواضع، لأنّ المرید الذي ينافس بحق يعلم أنّ الفضل بيد الله، وليس بكده واجتهاده، فيبذل الأسباب ويسعى، ثم يرضى بقسمة الله، ويحب الخير لإخوانه كما يحب لنفسه، ولا يرى لنفسه منزلة على أحد، بل يرى نفسه دوماً مقصراً مهما اجتهد.

مسألة (253): كيف يكون التنافس في عصر الذكاء الاصطناعي؟

في هذا العصر، يجب أن يكون التنافس عند المریدين والخلفاء في خدمة رسالة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية للعالمين، في نشر الرحمة، وتعزيز الأخلاق، وبذل العلم النافع، باستخدام الوسائل الحديثة، حتى يكونوا أسبق الناس إلى إيصال نور الطريقة إلى من يحتاجه، دون تعصّب أو انغلاق، بل بروح عالمية تُدرك أنّ الرسالة شاملة لكل بني آدم.

مسألة (254): ما هو التنافس في ميدان التربية الروحية؟

هو أن يسعى الخليفة والمرید ليكون أكثر صدقاً في تربية نفسه أولاً، ثم يكون قدوة لغيره في العمل والسلوك، دون أن يقارن نفسه بالآخرين، بل يجعل معيار التقدم هو رضا شيخه عنه، ورضا الله تعالى، ويزيد اجتهاده كلّما وجد أن غيره سبقه، لا حسداً ولكن حرصاً على أن يكون من السابقين.



رسالة [59]: الالتزام بالوقت والانضباط

يا مريد، إنّ الوقت هو رأس مالك الحقيقي، وهو عمرك الذي لن يعود، فإن كنت حريصاً على حياتك، فكن حريصاً على وقتك، فإنّ ما يضيع منك اليوم لن تسترده غداً، وإن كنت جاداً في السير إلى الله، فلا تفرط في لحظةٍ من عمرك، فإنّ كل دقيقة هي جزء من عمرك الذي ستُسأل عنه. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾⁽¹⁾. فانظر كيف جعل الله الليل والنهار فرصة للتذكر والعمل، وكأنّ في كل لحظةٍ تذكيراً لمن أراد أن ينتفع بعمره.

يا مريد، إياك والتسويق، فإنك إن اعتدت تأجيل اليوم إلى الغد، وجدت نفسك تضيع عمرك بلا فائدة، فإن كنت تقول "سأفعل غداً"، فاعلم إنّ الغد لا يأتي لمن ينتظره، وإنما يأتي لمن يعمل له. قال النبي ﷺ: ﴿نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ﴾⁽²⁾. فانظر كيف جعل الفراغ فتنة لمن لم يُحسن استغلاله. فإن كنت تريد أن ترى قيمة وقتك، فانظر كيف كنت تقضي أيامك الماضية، فإن وجدت فيها تهاوناً، فاستدرك ما بقي، وإن وجدت فيها بركة، فاحمد الله واثبت على ذلك.

يا مريد، لا تكن من الذين يُضيِّعون أوقاتهم في اللغو، أو من الذين يستهينون بالمواعيد، فإنّ المريد الحقيقي هو من يفي بوعدده، ويحرص على وقته، فإن كنت تَعِد، فكن عند وعدك، وإن كنت تتفق على موعدٍ، فاحترمه، فإنّ الذي لا يحترم وقته، لن يحترم وقت غيره.

1 - [الفرقان: 62]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [6049]، ج5 ص2357.

وإن كنت ممن يعتقدون أنّ التأخر أمرٌ بسيط، فاعلم أنّ الالتزام بالوقت هو علامةٌ على صدق العبد، فإن كنت لا تستطيع ضبط وقتك، فكيف تستطيع ضبط نفسك؟

يُروى أنّ أحد العلماء كان يقول: «إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن الموت يقطعك عن الدنيا، أمّا إضاعة الوقت فتقطعك عن الله». فانظر كيف أنّ التساهل في الوقت ليس مجرد عادة سيئة، بل هو سببٌ في تضييع الفرص، وانطفاء البركة، فإن كنت تريد أن يكون عمرك مباركاً، فاحرص على أن يكون وقتك مستثمراً فيما ينفع.

يا مريد، إن كنت في طلب العلم، فاجعل وقتك منظماً، فإنّ العلم لا يُعطى لمن لا يُحسن إدارة وقته، وإن كنت في عملك، فلا تؤجل مهامك، فإنّ البركة في السعي. وإن كنت في مجلسٍ، فاحترم الوقت، فإنّ الذي لا يحترم الزمن، لا يحترمه أحد. فإن كنت ترى أنّ الوقت مجرد أرقامٍ تمضي، فاعلم أنك لم تفهم بعد قيمته، وإن كنت ترى فيه فرصة لكل خيرٍ، فاعلم أنك من الناجين.

يا مريد، احذر أن تجعل الكسل يسرق عمرك، فإنّ الأيام تمضي، ولا ترجع، فإن كنت تؤجل عملك إلى حينٍ، فاعلم أنّ هذا الحين قد لا يأتي أبداً، وإن كنت تعتقد أنّ الوقت طويلٌ، فاعلم أنّ كل يومٍ يمضي هو جزءٌ من عمرك قد انتهى، فإن كنت تريد أن تُحسن استغلال وقتك، فابدأ الآن، ولا تنتظر الظروف المثالية، فإنّ الذين ينتظرون لا يعملون، والذين يعملون لا ينتظرون.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ العمر ليس مجرد أيامٍ تمضي، بل هو رأس مالٍ يجب أن يُستثمر، وفيهم من يظن أنّ الالتزام بالمواعيد أمرٌ ثانوي، لا يدل على شيءٍ، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ العبد الذي لا يُحاسب على وقته، لن يُحاسب على أي شيءٍ آخر. فكونوا لهم مرشدين، علموهم أنّ كل

لحظة لها قيمتها، وأنّ الذي يُضَيِّع وقته، يُضَيِّع حياته، فإنّ الذي يحترم وقته، يحترم نفسه، وإنّ الذي يلتزم بوعده، يحظى بثقة الناس. يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ من يريد النجاح في أي طريق، سواء في العلم، أو العمل، أو السير إلى الله، لابد أن يكون منضبطاً في وقته، فإنّ الذي يسّوف، يضيع، وإنّ الذي يلتزم، ينجح. فإن كنت تريد أن ترى أين يذهب وقتك، فانظر إلى عاداتك اليومية، فإن كانت مليئة بالتأجيل والتساهل، فاعلم أنك تحتاج إلى تغيير، وإن كانت مليئة بالإنجاز، فاعلم أنك على الطريق الصحيح. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.

مسألة (255): لماذا يُعد الوقت رأس مال المريد في طريق الله؟ لأن الوقت هو عمر المريد وحياته، وكل لحظة منه فرصة للتزود في الطريق إلى الله، فإن أهمل وقته ضاعت عليه الفرص، وإن أحسن استغلاله رُزق البركة والفتح.

مسألة (256): ما أثر التسوييف وتأجيل العمل على سير المريد؟ التسوييف عادة تحبس المريد عن السير، وتجعل قلبه متعلقاً بالأمانى دون العمل، فمن اعتاد التأجيل، ضاعت أيامه هباء، كما قال النبي ﷺ: ﴿نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ﴾⁽¹⁾.

مسألة (257): لماذا يُعد احترام المواعيد من صدق المريد؟ لأنّ من لا يحترم وقته لا يحترم أماته، ومن لم يكن دقيقاً في مواعيده، لم يكن صادقاً في سيره، فالالتزام بالوقت دليل على صدق النفس، وضبط الوقت مقدمة لضبط النفس والمجاهدة.

1 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [6049]، ج5 ص2357.

مسألة (258): ما العلاقة بين إدارة الوقت وبركة العمر؟
من أحسن إدارة وقته في الطاعات والعمل النافع، بارك الله له في عمره وفتح له أبواب الخير، ومن ضَيَّع أوقاته في اللغو والكسل، حُرِمَ البركة، ووجد نفسه نادماً على تفريطه عند انقضاء الأجل.

مسألة (259): كيف يجب تنظيم الوقت في طلب العلم والعمل؟
على المريد أن يجعل لنفسه نظاماً واضحاً في طلب العلم، فيخصص له وقتاً لا يُفَرِّط فيه، وأن يتم أعماله في أوقاتها دون تأجيل، فإنَّ البركة في العمل المتقن، والإنجاز لا يكون إلا بحسن تنظيم الوقت.

مسألة (260): ما أثر الكسل والتهاون في الوقت على الروحانية؟
الكسل يسرق العمر، ويطفئ نور القلب، ويبعد المريد عن مراتب القرب، لأنه يحول بينه وبين العمل الجاد والمجاهدة، فالمريد الصادق لا ينتظر الظروف، بل يبدأ العمل فوراً دون تسويف.

مسألة (261): ما واجب الخلفاء في التربية على قيمة الوقت؟
على الخلفاء أن يَغرسوا في قلوب المريدين أنَّ الوقت هو أمانة، وأنهم مسؤولون عنه، وأنه لا سلوك بغير انضباط بالزمن، فإنَّ الذي يحترم الوقت يحترم نفسه، ويكون أهلاً للثقة، ومن أضاع وقته أضاع حياته.

مسألة (262): كيف يعرف المريد أين يذهب وقته؟
يعرف المريد ذلك إذا راقب عاداته اليومية، فإن وجد نفسه يؤجل ويماطل، علم أنه بحاجة إلى إصلاح حاله، وإن وجد نفسه ينجز ويستثمر وقته في الخير، فليحمد الله على نعمة الهداية، وليثبت على ذلك الطريق.



الفصل العاشر

تطهير الباطن وتهذيب الظاهر جوهر التزكية وروح الأخلاق

رسالة [60]: في أهمية الأخلاق في الطريق

يا مرید، إنّ الطريق إلى الله ليس بكثرة الذكر وحده، ولا بطول الصلاة وحدها، ولا بالمجاهدات القاسية وحدها، بل هو قبل ذلك كله تهذيبٌ للنفس، وتصفيةٌ للقلب، وتحلٌّ بأخلاقٍ تليق بمن يسير إلى الله. فإن كنت ترى نفسك في الطريق، ولا تزال في قلبك حدة، أو كبر، أو غلظة، فاعلم أنك لم تبدأ بعد، فإن القلب الذي لم يُهذب، لا يصل، وإن النفس التي لم تُنقّ، لا تُفتح لها أبواب القرب. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف جعل الله أعظم الناس قرباً إليه، أكملهم أخلاقاً، فإن كنت تريد القرب، فابدأ بأخلاقك.

يا مرید، إنّ الأخلاق ليست شيئاً يُضاف إلى الطريق، بل هي جوهر الطريق، فإن كنت ترى نفسك تسير، لكنك لا تزال تسيء الظنّ بالناس، أو تحتقر من هو دونك، أو تغضب لأتفه الأسباب، فاعلم أنك لم تفهم بعد أنّ السير إلى الله ليس في الأشكال، بل في تطهير الباطن، فإن كنت تريد أن يكون لك نصيبٌ في النور، فاجعل نفسك مدرسة للأدب، فإنّ الأدب هو مفتاح الفتح.

قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ﴾⁽²⁾، فانظر كيف أنّ الدين كله تهذيبٌ للنفس، فإن كنت ترى أنّ العبادات تكفي، دون أن تغيرك من الداخل، فاعلم أنك لا تزال عند القشور، فإن كنت تريد أن تكون من أهل الله، فاجعل كل يوم يمر عليك يوماً تُهذب فيه نفسك، فإن القلب لا يُقبل على الله إلا إذا صار خفيفاً من كل شهوةٍ، نقيّاً من كل سوء ظن.

1 - [القلم: 4]

2 - البيهقي، السنن الكبرى، حديث رقم [20783]، ج 10 ص 323.

يا مريد، إنّ الأخلاق ليست فقط في المعاملة مع الناس، بل هي حالةٌ قلبيةٌ، فإن كنت تُعامل الناس بلطفٍ، لكنك في قلبك تحتقرهم، فاعلم أنّ الأخلاق لم تصل إلى قلبك بعد. وإن كنت ترى نفسك تُصلي، وتذكر، وتقوم الليل، ولكنك تُؤذي بلسانك، فاعلم أنك في وهمٍ، فإنّ الدين لا يُبنى بالكلام، بل بالصدق. فإن كنت تريد أن تعرف نفسك، فانظر كيف يعاملك الناس، فإن كانوا يستريحون لك، فأنت في خيرٍ، وإن كانوا ينفرون منك، ففتش في قلبك، فإنّ القلب الذي لم يُزكَّ، ينفّر الناس منه دون أن يشعر.

يا مريد، لا تقل: "هذا طبعي، لا أستطيع أن أغیره"، فإنّ النفس تُروّض، وإنّ الخُلُق يُكتسب، وإن كنت ترى في نفسك صفة سيئة، فاجتهد في تهذيبها، فإنّ الله لا يبدّل من لا يُريد أن يتبدّل، وإن كنت تقول: "العبادات تكفيني"، فاعلم أنّ العبادة التي لا تُغيّر صاحبها لم تُقبل منه. فإن كنت تريد أن تعرف حالك، فانظر كيف يتغير قلبك مع كل عملٍ، فإن كنت تزداد رحمة، فأنت في الطريق، وإن كنت لا تزال قاسياً، فاعلم أنك لم تفهم العبادة بعد.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ الأخلاق ليست تكميلاً للسير، بل هي جوهره، وفيهم من يظن أنّ القرب يكون بالأوراد وحدها، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ تهذيب النفس هو أول درجات الطريق، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ الطريق لا يُفتح لمن لم يُزكَّ قلبه، فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا من أهل الله، فاجعلوهم يفهمون أنّ السير ليس في كثرة الأوراد، بل في نقاء السريرة.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الأدب مع الخُلُق هو الأدب مع الله، فإن كنت ترى مريداً يُسيء للناس ثم يدّعي القرب، فذكره أنّ الله لا يقبل قلباً فيه كِبَرٌ. وإن رأيت مريداً يظن أنّ

العبادات تكفي بلا أخلاق، فاجعله يفهم أنّ العبادة التي لا تهذب النفس، لا ترفع صاحبها. فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى حال قلبك مع الناس، فإن كنت ترى نفسك تزداد رحمة، فأنت في نور، وإن كنت ترى نفسك قاسياً، فاجتهد حتى تُزكى نفسك.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (263): لماذا كانت الأخلاق أصل الطريق إلى الله؟

لأنّ الأخلاق هي الثمرة التي تظهر من صفاء القلب، فإذا صحت الأخلاق، دلّ ذلك على صحة الباطن، وإذا فسدت، دلّت على فساد النفس، ولذلك كان تهذيب النفس وتحسين الأخلاق شرطاً للوصول إلى القرب من الله، كما قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ﴾⁽¹⁾.

مسألة (264): هل تكفي العبادات وحدها دون تهذيب الأخلاق؟

العبادات إن لم تُثمر خلقاً حسناً، كانت ناقصة. فالصلاة التي لا تنهى عن الفحشاء والمنكر لم تتحقق حكمتها، والذكر الذي لا يورث سكينة لم يؤدّ مقصوده. فالأخلاق علامة على أنّ العبادة قد أثرت في النفس، وغيّرت القلب.

مسألة (265): ما العلاقة بين نقاء السريرة وحسن المعاملة؟

حسن المعاملة هو انعكاس لنقاء السريرة، فإذا كان قلب المرء

1 - البيهقي، السنن الكبرى، حديث رقم [20783]، ج10 ص323.

طاهراً، ظهرت رحمته، ولانَ لسانه، وسكنت جوارحه. أمّا إذا وجد قسوة أو غلظة في سلوكه، فذلك دليل على أنّ قلبه لا يزال محتاجاً إلى التزكية والمجاهدة.

مسألة (266): هل الأخلاق موهبة أم مجاهدة؟

الأخلاق الحسنة تُكتسب بالمجاهدة، فقد جُبلت النفوس على حب الذات، ولا يتخلّى الإنسان عن شهواته وأهوائه إلّا إذا جاهد نفسه، حتى تتأدّب وتتهذب، فيصير الصبر عادة، والحلم طبعاً، والتواضع سجية، كما قال الإمام علي عليه السلام: «إنما هي أنفسٌ أروضها بالتقوى»⁽¹⁾.

مسألة (267): كيف يعرف المريد أنه قد تهذب بأخلاق السالكين؟

إذا وجد في قلبه الرحمة لكل الخلق، وسكنت فيه المحبة، وزال عنه الكبر والغلظة، وأصبح يرى الناس بعين الرحمة، وإذا رضي بالحق ولو جاءه من غيره، وأحب لإخوانه ما يحب لنفسه، فقد بدأت أخلاق الطريق تظهر عليه.

مسألة (268): لماذا شدد أهل الطريقة على أهمية الأخلاق؟

لأنّ السير في طريق القرب ليس عملاً ظاهراً فقط، بل هو تزكية للباطن، ولا تُقبل أحوال السالك إلّا إذا كان قلبه طاهراً من الكبر، ولسانه طاهراً من الأذى، ويده طاهرة من الاعتداء. ولهذا كان الأدب والخلق الحسن هما الشرط الأول للسلوك الصحيح.

1 - الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب 45.

مسألة (269): ما أثر الأخلاق الحسنة في رفع مقام المريد؟

إذا حَسُنَتْ أخلاق المريد، أَحَبَّتْهُ القلوب، وفتح الله له القبول في الأرض، وصار لسان صدقٍ في مجتمعه، وقدوة في طريقه، فينتفع الناس به، وتكون أخلاقه دعوة صامتة إلى الحق، قبل أن يكون كلامه موعظة.

مسألة (270): ما أول خُلق يجب على المريد المجاهدة فيه؟

أول الخُلق هو التواضع، فإنَّ المريد إذا لم يتواضع، بقي في حجاب الكبر، ولا يفتح له باب القرب حتى يعرف قدر نفسه، فيرى نفسه عبداً ضعيفاً، فيلين للحق، ويقبل النصح، ويتواضع للخُلق، فلا يرى لنفسه فضلاً على أحد، مهما بلغ.

مسألة (271): ما الفرق بين حسن الخلق وبين تصنُّع الأدب؟

حُسْنُ الخُلق ينبع من صفاء القلب، فيكون طبيعياً صادقاً، أمَّا التصنع فهو تكلف لا يلبث أن ينكشف، إذ إنَّ صاحبه إذا خلا بنفسه أو غضب أو فُتن بان، لذلك كانت مكارم الأخلاق هي ما يظهر عند الشدة والضيق لا عند الرخاء فقط.



رسالة [61]: الخضوع لله بين الذل والعزة.. كيف تكون

عبداً ولا تكون ضعيفاً؟

يا مريد، إنَّك عبدٌ لله، فافهم معنى العبودية كما ينبغي أن تُفهم، ولا تسر في أحد طرفي الإفراط أو التفريط. فكم من مريدٍ ذلّ حتى هان، وكم من مريدٍ استعزّ حتى استغنى، وكلاهما قد أخطأ الميزان. فإنما العبودية ذلٌّ لله، لكنها عزةٌ بالحق، وخضوعٌ للربّ، لكنّه قيامٌ بالحق بين الخلق. فلا تكن ضعيفاً بحجة العبودية، ولا متعالياً بحجة العزة، بل اجعل قلبك خاضعاً لله، ونفسك عزيزة به، تكن على الصراط المستقيم. يا مريد، إنّ الذل لله ليس ضعفاً، بل هو قمة القوة. فإنّما يسجد القلب لله ليقوم بثبات، وينكسر بين يدي مولاه ليُرفع فوق الدنيا وما فيها. فكلما ازدادت تواضعاً بين يدي الله، زاد الله في قلبك عِزّة، وجعل لك مكانة بين الخلق، فإنّ العبد الحقّ لا يُهان، بل يُكرم بمنزلته عند ربه. فاعرف الفرق بين أن تخضع لله، وأن تُهين نفسك لغيره، فإنّ الأول عبوديةٌ، والثاني مذلةٌ لا يُرضاها الله لك.

يا مريد، احذر من أن تفهم التواضع على غير حقيقته، فليس التواضع أن تُصغّر نفسك حتى يمتهّنك الناس، ولا أن تخفض جناحك حتى تُذلّ نفسك بغير حق. فإنّ لله أقواماً جعلهم أعزة بطاعتهم، وهم رغم ذلك أكثر الناس تواضعاً، فإنّما العزة بالله لا بالنفس، وإنّما الكرامة لمن لم يطلبها لنفسه، بل أعطاه الله إياها دون أن يسألها.

يا مريد، إنّ بعض القلوب تخشى الذل، فتتحصّن بالكبرياء، فتراها ترفض إظهار الحاجة إلى الله، وتأنف من البكاء في السجود، وتدّعي القوة المطلقة، وكأنها لا تحتاج إلى شيء. وهؤلاء لم يفهموا العبودية، فإنّ أقوى الناس هو من أظهر فقره إلى الله، ومن سجد بقلبي

منكسر فرفعه الله فوق أعناق الدنيا وأهلها. فاحذر أن يسرق منك الشيطان ذلّ العبودية، فتظن أنّ العزة تعني أن تكون مستغنياً عن الله، فالعزیز حقاً هو من لا يرى لنفسه شيئاً، ويرى كل شيء بيد الله تعالى.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من غرق في الذل حتى فقد نفسه، ومنهم من طلب العزّة حتى جفّ قلبه. فكونوا ميزاناً لهم، فلا تتركوا المتواضع حتى ينسى أنّ المؤمن عزيز، ولا تتركوا الباحث عن القوة حتى يظن أنه مستغنٍ عن التضرع. علّموهم أنّ الدين وسط بين المقامين، فيه انكسار القلب لله، وفيه قوة القيام بالحق، فإنّما من فهم ذلك، كان عبداً بحق، وكان حراً بحق.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يتعلمون أنّ العبودية ليست انكساراً بلا قيام، ولا قياماً بلا خضوع، بل هي روحٌ تمتلئ بعزة الحق، كما تمتلئ بخشوع الطاعة. ذكّروهم أنّ الله يحب القلب المعلق به، الواقف بين يديه، الذي لا يرى في نفسه شيئاً، ولكنه في ذات الوقت قويٌّ في نطق الحق، لا تهزه نظرات الخلق، ولا يكسره جور الظالم. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (272): ما حقيقة العبودية بين الذل والعزة؟

العبودية لله هي ذلٌّ بين يديه، لكنها عزّة بدينه، وخضوع لجلاله مع القيام بالحق بين الخلق. ولا يتحقق مقام العبد حتى يكون ذليلاً لله، عزيزاً بطاعته، قائماً بأمره، مستقيماً على صراطه.

مسألة (273): هل الذل لله ضعف وانهازم؟

الذل لله عزّ وجلّ ليس ضعفاً، بل هو قمة القوة، فمن سجد قلبه

لله قام بثبات لا تزلزله أعاصير الدنيا. والانكسار بين يدي الحق سبب للرفعة، ومن تواضع لله رفعه الله، فالعزة الحقيقية في التذلل للرب وحده.

مسألة (274): ما الفرق بين الذل المشروع والمذلة المرفوضة؟
الذل لله عبودية، أمّا إذلال النفس لغير الله فهو مذلة لا يرضاها الله لعباده. فالعبد الحق خاضع لمولاه، ولا يهين نفسه لغيره، عزيز بالله وإن بدا متواضعاً للخلق.

مسألة (275): ما حقيقة التواضع في سلوك المريد؟
التواضع ليس أن يُصَغَّر المريد نفسه حتى يمتهنه الناس، ولا أن يذل نفسه بغير حق، بل هو أن يتواضع لله فيرتفع قدره، ويخضع للحق أينما وجده، دون أن يفقد عزته بالله.

مسألة (276): ما خطورة الكبرياء على قلب المريد؟
الكبرياء يحجب القلب عن نور العبودية، فبعض القلوب تتحصن به، تأنف من التذلل والبكاء بين يدي الله، فتُحرم لذة القرب. وأقوى الناس من أظهر فقره إلى الله، واستغنى به عن كل ما سواه.

مسألة (277): كيف يحقق المريد التوازن بين العزة والذل؟
بأن يكون ذليلاً لله، عزيزاً بدينه، خاضعاً لعظمة ربه، قائماً بحقه، لا يتكبر على الخلق، ولا يُذل نفسه إلا لله. يجمع بين الخضوع الصادق، والقيام بنصرة الحق والعدل.

مسألة (278): ما دور الخلفاء في توجيه المريدين في هذا الباب؟
الخلفاء هم ميزان الطريق، يضبطون قلوب المريدين بين الذل والعزة،

يَعْلَمُونَهُمْ أَنَّ الدِّينَ وَسْطَ بَيْنِ الْإِنْكَسَارِ لِلَّهِ، وَقُوَّةِ الْقِيَامِ بِحَقِّهِ، فَلَا غَلْوٌ فِي التَّوَاضُّعِ يَضِيعُ بِهِ عِزُّ الْمُرِيدِ، وَلَا غَفْلَةٌ عَنِ الْحَاجَةِ الدَّائِمَةِ إِلَى اللَّهِ.

مسألة (279): كيف يعرف المرید أنه عبدٌ ذلیل لله، عزیزٌ بدينه؟
يعرف المرید ذلك إذا وجد في قلبه خضوعاً صادقاً لله، وانكساراً بين يديه، دون أن تهتز نفسه أمام الخلق، أو يطلب منهم مدحاً أو خوفاً. فإذا رأى نفسه قوياً في قول الحق، ثابتاً في القيام بالواجب، متواضعاً لله بلا رياء، فقد تحقق له هذا المقام. وإن رأى في نفسه استغناء عن الله، أو ضعفاً عن القيام بالحق، فليعلم أنه لم يبلغ بعد.



رسالة [62]: حسن الظن بالله بين الرجاء والغرور

يا مريد، إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بالله حياة القلب، وهو ميزان الرحمة الذي يسير به العبد بين الخوف والرجاء. ولكن إياك أن تظنَّ باباً إلى التراخي، فتقول: "إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"، وأنت مقيمٌ على الغفلة، ولا أن تجعله سجنًا لروحك، فتظن أن اللَّه لن يقبلك مهما سعيت. فإنما حسن الظن بالله أن تعمل، ثم تنتظر فضل اللَّه بطمأنينة، لا أن تترك العمل، وتنتظر العطاء بلا سبب.

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾⁽¹⁾. فهؤلاء الذين رجوا اللَّه بصدق، وسعوا في طريقه، قد سبق لهم الخير، فهل يسوّى بهم من أغلق بابه عن الحق، واكتفى بالأمنيات؟ إن النبي ﷺ قال: ﴿إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مَوْقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ﴾⁽²⁾. فالموقن ليس المتواكل، بل هو الذي يمدّ يده بالدعاء، ويسعى في الأرض، ثم يترك الأمر لمولاه.

يا مريد، إِنَّ حَسْنَ الظَّنِّ بالله ليس أن تتكل على الرحمة وتنسى العدالة، بل أن تعيش بين الأمرين. فإن رأيت في قلبك رجاء بلا خوف، فاعلم أنك تميل إلى الغرور، وإن رأيت خوفاً بلا رجاء، فاعلم أنك تنحدر إلى اليأس، وكلاهما مهلكة.

يا خلفاء الطريقة، بين أيديكم مريدون فيهم من يبالغ في الرجاء حتى يترك المجاهدة، وفيهم من يغرق في الخوف حتى ييأس من التوبة. فلا تتركوهم لهذا ولا لذاك، بل ازرعوا فيهم الفهم الصحيح، وذكروهم أن من رجا اللَّه، أحسن العمل، ومن خاف اللَّه، لم يقنط

1 - [الأنبياء: 101]

2 - رواه الترمذي في سننه (رقم: 3479)، باب ما جاء في الدعاء.

من رحمته. فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرِيدُ عِبَادًا يَفْرُونَ مِنْهُ خَوْفًا، وَلَا عِبَادًا يَسْتَهِينُونَ بِعَفْوِهِ، بَلْ يَرِيدُ قُلُوبًا تَسِيرُ إِلَيْهِ بِالْحُبِّ، وَتَعْمَلُ لَهُ بِالشَّوْقِ، وَتَخْضَعُ لَهُ بِالْخَوْفِ الصَّادِقِ. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَكَ فَارْتَقَى.



مسألة (280): ما الفرق بين حسن الظن بالله وبين الغرور بالله؟
حسن الظن بالله هو أن يحسن العبد عمله، ويجتهد في الطاعة، ويرجو رحمة الله بقلب مطمئن، أما الغرور بالله فهو أن يعتمد العبد على حلم الله وعفوه، ويترك العمل والاجتهاد، ظاناً أَنَّ الله سيغفر له بغير توبةٍ ولا صلاح حال.

مسألة (281): متى يكون حسن الظن سبباً في الهلاك؟
إذا حمل العبد على ترك الطاعة والتساهل في المعصية، معتقداً أَنَّ حسن الظن كافٍ بلا عمل، فَإِنَّ ذَلِكَ يَصِيرُ سَبَباً فِي هَلَاكِهِ. لِأَنَّ حَسْنَ الظَّنِّ لَا بَدَّ أَنْ يَصْحَبَهُ حَسَنُ الْعَمَلِ، وَإِلَّا كَانَ وَهَمًا مِنْ وَسَاوِسِ النَّفْسِ.

مسألة (282): ما أثر حسن الظن بالله في حياة المريد؟
مَنْ حَسَّنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ، طَابَتْ حَيَاتُهُ بِالرِّضَا، وَزَادَ يَقِينُهُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، فَاجْتَهَدَ فِي الطَّاعَةِ بِلَا يَأْسٍ، وَقَوِيَ عَزْمُهُ فِي الْمَجَاهِدَةِ بِلَا تَرَدُّدٍ، وَعَاشَ فِي طَمَآنِينَةٍ مَهْمَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الظُّرُوفُ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ.

مسألة (283): كيف يربي الخليفة مريديه على حسن الظن بالله؟
يَعْلَمُهُمْ أَنَّ يَعْمَلُوا لِلَّهِ بِصَدَقٍ، ثُمَّ يَرْضُوا بِمَا قَدَّرَهُ لَهُمْ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ، لَكِنْ طَرِيقُهَا هُوَ الصَّدَقُ وَالْإِخْلَاصُ فِي السَّيْرِ.

ويحثهم على الدعاء والرجاء، مع دوام التوبة والاجتهاد، فإنّ القلوب إذا عرفت هذا الميزان، سارت مستقيمة بلا إفراطٍ أو تفريط.

مسألة (284): ما علاقة حسن الظن بالله بإحسان الظن بالناس؟
من حَسَنَ ظَنه بالله، لم ييأس من رحمة الله لعباده، فكان حُسن الظن بالخلق جزءً من حُسن ظنه بالخالق. فهو يرى الناس بعين الرحمة، ويعذرهم فيما يقع منهم، لأن قلبه ممتلئ برجاء الخير في كل مخلوق، كما يرجو الخير لنفسه.



رسالة [63]: التواضع أساس القرب الى الله تعالى

يا مريد، إنّ التواضع ليس أن تنكر ما أعطاك الله، ولا أن تذلل نفسك للناس حتى تُمتهن، بل هو أن ترى نفسك كما هي، بعيوبها ومواهبها، فلا تُضخمها حتى تغتر، ولا تُصغرها حتى تحتقر. فإنّ الله يحب العبد الذي يعرف قدره، فلا يتعالى به، ولا ينكره بحجة التواضع. فإن أعطاك الله علماً، فلا تدّع الجهل تواضعاً، وإن رفعت بين الخلق، فلا تتكلف الانكسار رياءً، ولكن اعرف أنّ كل ذلك نعمة ابتليت بها، فلا تغتر بها، ولا تجردها.

يا مريد، احذر من الكبر الخفي، فإنه قد يختبئ في ثوب التواضع، فتجد الرجل يتحدث عن نقصه، وهو يريد أن يمدح بأنه متواضع، أو ينكر فضله، وهو يطمع أن يُقال عنه إنه متواضع لا يرى لنفسه شيئاً. والتواضع الحق ليس في الكلمات، بل في القلب، أن تجد في نفسك استواء بينك وبين غيرك، فلا ترى نفسك فوق الناس، وإن كنت أعلمهم، ولا ترى نفسك تحتهم، وإن كنت أقلهم. فالعبرة ليست بما تملكه من علم أو عمل، بل بما في قلبك من صدق وإخلاص.

يا مريد، إنّ التواضع لا يعني أن تمحو نفسك، بل أن ترى نعم الله عليك فلا تفتخر بها، ولا تنكرها، بل تشكرها. فإنّ الله قال : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾⁽¹⁾، فحدّث بنعم الله لا افتخاراً، بل شكرًا، ولا ترفع نفسك بها، ولكن لا تُهملها. فإنّ الله يحب العبد الذي يرى فضله عليه، ولا يطلب بها شيئاً من الخلق.

يا مريد، إنّ من التواضع أن تحسن إلى من هو دونك، لا أن تحتقر نفسك أمام من هو فوقك. فإنك عبد لله، كغيرك من الناس، فإن

1 - [الضحى: 11]

رفعك، فاشكر، وإن وضعك، فاصبر، ولكن لا تجعل تواضعك ضعفاً، ولا تجعل نفسك مهانة باسم التواضع. فمن أذلّ نفسه بغير حق، فقد احتقر نعمة الله فيه، ومن رفع نفسه بغير حق، فقد خان الأمانة التي أُعطِيها.

يا مريد، إن كنت تبحث عن التواضع الحقّ، فانظر إلى حالك مع الناس، هل تفرح بمدحهم حين يقولون إنك متواضع؟ هل تشعر أنك أعلى منهم حين تراهم متكبرين؟ فإن كان في قلبك شيءٌ من ذلك، فاعلم أنك لم تصل بعدُ إلى حقيقته. فإنّ العبد المتواضع لا يرى نفسه متواضعاً، بل يرى نفسه في حاجةٍ دائمةٍ إلى الرحمة والتزكية.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من يزهد في قدره، حتى يضيع نفعه بين الناس، وفيهم من يدّعي التواضع، وهو يتكبر في داخله. فكونوا لهم مرشدين، علّموهم أنّ التواضع ليس ضعفاً، ولا أنّ الإنكار الكامل للنفس فضيلة. بل اجعلوهم يفقهون أنّ الإنسان يرى نفسه عبداً لله، فلا يغتر بها، ولا يحقّرها، فإنما تواضع العارفين أن يعاملوا الناس برحمةٍ، وأن ينسبوا الفضل إلى الله، لا أن يخفوا نعمةً عن الخلق.

يا خلفاء الطريقة، لا تجعلوا المريدين يمحون أنفسهم حتى يصبحوا عاجزين عن خدمة الحق، ولا تدعوهم يرفعون أنفسهم حتى ينقطعوا عن الخلق. بل علّموهم أنّ الطريق وسطٌ، فيه تواضعٌ بلا ضعف، واعترافٌ بالفضل بلا كبر، فإنّ من فهم ذلك، سلك إلى الله بقلب سليم.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (285): معنى التواضع الحقّ عند المريد

التواضع عند المريد ليس إنكار ما منحه الله من نعمة، ولا هو تذلل يُذهب عنه كرامة العبودية، بل هو نظر العبد إلى نفسه بعين الحق، يرى نعمة الله، فيشكر، ويرى تقصيره، فيتواضع، فلا يتكبر بعلم أو عمل، ولا يحتقر نفسه عن القيام بما كُلف به. التواضع الحقّ أن تعامل كل مخلوق بما يليق بالخلق الكريم، وألا ترى لنفسك مقاماً أعلى مما وضعك الله فيه.

مسألة (286): خطر التواضع المصطنع

إذا تصنع العبد التواضع ليُقال عنه إنه متواضع، دخل قلبه الرياء، فيكون تواضعه نفسه مظهراً من مظاهر الكبر، فيُفتن من حيث يظن أنه قدخلص. فالمريد الصادق هو الذي لا يرى نفسه في حال، لا علواً ولا سُفلاً، بل قلبه في حضرة ربه، فلا يلتفت إلى مقاماته، ولا إلى نظر الخلق إليه.

مسألة (287): الفرق بين التواضع والزهد في النفس

بعض المريدين يظنون أنّ التواضع هو أن يُنكروا كل ما عندهم حتى يفقدوا أثرهم ونفعهم بين الناس، وهذا جهل بحقيقة التواضع. فالتواضع لا يعني محو القدرات ولا كتم النعم، بل الاعتراف بها دون تعالٍ، والعمل بها فيما يُرضي الله دون أن تملُكهم تلك النعم أو تسكُن قلوبهم.

مسألة (288): معرفة المريد لحقيقة تواضعه

يعرف المريد أنه متواضع حين لا يفرح إذا مدحه الناس على تواضعه، ولا يحزن إذا ظنوا فيه كبراً وهو بريء. وحين لا يتغير حال قلبه إن رفعه الناس أو وضعوه.

مسألة (289): التواضع في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية
التواضع في طريقتنا العلية القادرية الكسنزانية هو الخلق الذي
يفتح للمريد أبواب الفتح الرباني، وهو الباب الذي دخل منه الإمام
علي عليه السلام إلى مدينة العلم النبوي، فلم يزدْه علمه إلا تواضعاً،
ولم تزدْه كراماته إلا خشية وانكساراً لله. فمن لم يتواضع بعلمه،
افتتن بعطائه، ومن تواضع به، كان نوراً ينفع به الخلق.

مسألة (290): أثر التواضع على تربية المريدين
المريد المتواضع يقبل التوجيه من خلفائه، ويستمع إلى النصيحة،
ولا يحتقر مريداً ولا عامياً، بل يرى كل من حوله مرآة لصدق سيره.
ومن لم يتواضع، قطع الله عنه مدد التربية، فيبقى يظن أنه على
خير، وهو غافل عن نفسه.

مسألة (291): التواضع لا يُطلب من أجل الخلق
التواضع مقامٌ يُطلب لله وحده، لا للناس. فمن تواضع ليُقال عنه، لم
يذق حلاوة التواضع، ومن تواضع لله، رفعه الله في قلوب عباده ولو
لم يدِر.



رسالة [64]: الحلم وضبط النفس.. كيف يكون المرید

سيداً لنفسه لا عبداً لغضبه؟

يا مرید، إِنَّ النفس إذا تُرکت دون تهذيب، صارت متقلبة، تشتعل بالغضب لأتفه الأسباب، وتثور للهوى بلا تعقلٍ، وإذا أردت أن تكون من أهل القرب، فلا بد أن تتعلم كيف تضبط نفسك، فلا تنطق إلا بحكمةٍ، ولا تتحرك إلا بحسابٍ، ولا تجعل انفعالاتك تقودك حيث لا تريد. قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾، فانظر كيف جعل الله ضبط النفس من صفات المحسنين، وكيف أن العفو عن الناس لا يكون إلا لمن سيطر على نفسه أولاً.

يا مرید، إنك قد تظن أن القوة في أن ترفع صوتك، أو أن تثور لتثبت نفسك، ولكن القوة الحقيقية هي أن تملك نفسك حين يغضب غيرك، وأن تكون سيذاً لعاطفتك، فلا تجرك إلى ما لا ترضاه. قال النبي ﷺ: ﴿لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ﴾⁽²⁾، فانظر كيف جعل القوة في التحكم بالنفس، لا في البطش والاندفاع.

يا مرید، احذر أن تبرر غضبك بأنك تدافع عن حقك، فإن النفس تميل دائماً إلى تصديق أهوائها، ولكن الحق لا يحتاج إلى غضبٍ حتى يظهر، بل يحتاج إلى عقلٍ حكيمٍ لا يتصرف تحت تأثير اللحظة، فإن كنت في موقفٍ يستفزك، فتمهل، وإن كنت في موضعٍ خلافٍ، فاصمت حتى تهدأ، فإن الغاضب يرى الدنيا بصورةٍ غير التي هي عليها، وقد يقول

1 - [آل عمران: 134]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [5763]، ج5 ص2267.

ما يندم عليه، أو يفعل ما يُفسد ما كان ينييه سنيينا.

يُروى أنّ أحد العارفين كان في مجلسه، فجاءه رجلٌ يسبه أمام الناس، فأطرق رأسه ولم يتكلم، فلما انتهى الرجل من سبابه، قال له: «إن كان في كلامك حقٌّ، فغفر الله لي، وإن كان في كلامك باطلٌ، فغفر الله لك»، فاندھش الرجل من حلمه، وأصبح من أتباعه، قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف أنّ ضبط النفس قد يجعل العدو صديقاً، بينما الغضب قد يجعل الصديق عدواً.

يا مريد، إنّ النفس التي تعتاد الغضب، تفقد نورها، فمن أراد الحكمة، فليكن حليماً، فإنّ الإنسان إذا استسلم لغضبه، صار عبداً لانفعالاته، وإذا تعلم كيف يضبط نفسه، صار حُرّاً من الداخل. فإن كنت تريد أن ترى أين يقودك غضبك، فانظر كم مرة قلت كلاماً ندمت عليه، وكم مرة تصرفت بطيشٍ، فتمنيت لو أنك لم تفعل؟ فإن كنت ترى ذلك كثيراً، فاعلم أنك بحاجةٍ إلى أن تُهذّب نفسك قبل أن تُهذّب غيرك.

يا مريد، لا تقل "هذا طبعي"، فإنّ النفس تُروّض، والقلب يُهذّب، فإن كنت تظن أنّ الغضب طبيعةٌ لا يمكن تغييرها، فاعلم أنك لم تبدأ السير بعد، فإنّ المريد لا يقف عند طبيعته، بل يسعى ليجعلها موافقة لما يُرضي الله، فإن كنت ممن يغضبون سريعاً، فابدأ بضبط لسانك، فإن تحكمت في كلامك، تحكمت في غضبك، وإن ضبطت غضبك، أصبحت أكثر حكمة ووعياً.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ

الحلم ليس ضعفاً، بل هو قوةٌ في ضبط النفس، وفيهم من يظن أن الغضب مَبَرَّرٌ إذا كان في موضع حقٍّ، وفيهم من لم يتعلم بعد كيف يكون متزنًا أمام الاستفزاز. فكونوا لهم مرشدين، علموهم أن الكلمة التي تُقال في الغضب قد تهدم حياة، وأن الفعل الذي يصدر بلا تفكيرٍ قد يُفقد العبد كرامته، وأن الحليم هو من يبقى ثابتاً حين ينهار غيره.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أن السيطرة على النفس هي مفتاح الحكمة، وأن من أراد أن يكون من أهل الله، فلا بد أن يكون ثابتاً لا تزلزله التقلبات، فإن الرجل قد يُختبر في موقفٍ واحدٍ، فإن تسرع، فقد مكانته، وإن تحكم في نفسه، زاده الله رفعة. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَكَ فَارْتَقَى.



مسألة (292): لماذا يُعد ضبط النفس من صفات أهل القرب؟

يا مريد، لأن من صفات العارفين بالله أنهم لا يتحركون إلا بإذن قلوبهم، ولا يفعلون مع تقلبات النفس، بل قلوبهم ساكنةٌ بالله، ثابتةٌ على الحكمة. فالغضب عاصفةٌ إذا دخلت القلب أفسدت النية، وأخرجت العبد من مقام العبودية إلى مقام النفس، وأهل القرب لا يقودهم الهوى، بل يقودهم نور الحكمة وسكينة التوكل، ولهذا صار كظم الغيظ والعفو من علامات أهل المحبة الإلهية.

مسألة (293): ما أثر الحلم على السلوك الروحي للمريد؟

يا مريد، الحلم يُورث نوراً في القلب، ووقاراً في النفس، فمن صبر عند الغضب، كشف الله له من أنوار الحكمة ما لم يره العجولون. والحليم يسكن في قلبه السكينة، فلا يُعَكِّر صفوه شيء، ولا تزلزله

الشدائد، بل يكون متزناً، حاضراً بالله في كل موقف. فبالحلم يتّرقى المريد، وبالثبات تُفتح له أبواب الفتوح، لأنّ الله يحبّ الحليم الصبور، ويقرّبه إليه.

مسألة (294): كيف يختبر المريد صدق حلمه؟

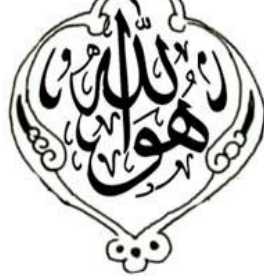
يا مريد، إذا أردت أن تعرف صدق حلمك، فانظر إلى نفسك عند مواطن الغضب الشديد، لا عند السكون والهدوء. فإن كنت إذا أوذيت حَلِمْتَ، وإذا اغْتُظِّتَ عفوت، وإذا ظُلِمْتَ غفرت، فأنت على طريق الحُلُم الصادق. أمّا إذا حلمت في موقف سهل، ثم فقدت سيطرتك في المواقف الصعبة، فاعلم أنّ حلمك ما زال يحتاج إلى تهذيبٍ وتزكيةٍ.

مسألة (295): لماذا الغضب أخطر على السالك من المعصية؟

يا مريد، لأنّ الغضب يفسد النية، وقد يدفع العبد إلى ما لا يُرضي الله، من قولٍ جارحٍ أو فعلٍ مؤذٍ، أو ظلمٍ للناس. وهو من مداخل الشيطان التي يحترق بها نور القلب، فإذا سكن الغضب في النفس، طمس بصيرتها، وغطى على نور الفهم، حتى لا يعود يرى الحق. فالمعصية الظاهرة قد يتوب العبد منها، أمّا الغضب إن لم يُضبط، كان سبباً في فساد الباطن، وعزل المريد عن مواطن القرب.

مسألة (296): ما علاقة الحلم بالسيادة على النفس؟

يا مريد، الحلم هو تاج السيادة، فمن ملك نفسه عند الغضب، فهو سيدها، ومن لم يملكها، صار عبداً لها. والحليم هو الحرُّ حقاً، لأنّ الحرية الحقيقية ليست في الانفلات، بل في السيطرة على النفس. فإذا استقر الحلم في القلب، صار صاحبه سيداً على شهواته، لا تجرّه إلى حيث تهوى، بل يقودها حيث يشاء الله له أن يسير.



الفصل الحادي عشر

مَقَامَاتُ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ
مِنَ الْفَنَاءِ فِي الْمَجَاهِدَةِ
إِلَى الْبَقَاءِ فِي الْمَشَاهِدَةِ

رسالة[65]: مقام التوكل.. كيف يسير المرید في درب

الاعتماد على الله تعالى؟

يا مرید، إنّ التوكل ليس أن تترك السعي، ولا أن تُجهد نفسك كأنّ الأمر كله بيدك، بل هو مقامٌ بين أمرين، فيه حركةٌ بلا قلق، وطمأنينةٌ بلا كسل. فكم من مریدٍ توهم أنّ الاعتماد على الله يعني ترك الأخذ بالأسباب، فجلس ينتظر الرزق بلا جهد، والفتح بلا مجاهدة. وكم من مریدٍ ظنّ أنّ التوكل أن يعمل وحده، وكأنّ كل شيءٍ متوقفٌ عليه، فحمل نفسه فوق طاقتها، وغفل عن سر التوكل الذي يجعل القلب معلقاً بالله حتى وهو يبذل جهده. فاحذر أن تميل إلى هذا أو ذاك، فإنّ الله أمر بالسعي، وأمر بالتسليم، فلا قيام للمرید إلّا بهما معا.

يا مرید، إنّ من ظنّ أنّ التوكل أن يجلس منتظراً، فهو في الحقيقة قد تواكل، وما عرف سر التوكل. فإنّما المؤمن يعمل في الأرض بيده، لكن قلبه لا يرى الأسباب، بل يرى مسببها. فاسع في طلبك، وابذل جهدك، ولا تركز إلى العجز، ثم بعد ذلك سلّم أمرك لله، فلا تحزن إن تأخر المطلوب، ولا تيأس إن جاءت النتائج على غير ما ظننت، فإنّما العبد مأمورٌ بالسير، والنتائج بيد الله تعالى.

يا مرید، لا تجعل القلق من المستقبل يسرق منك الطمأنينة، فإنك إن ظننت أنّ الأمر بيدك وحدك، شقيت، وإن ظننت أنّ التوكل إلّا تعمل، أضعت، ولكن إن فهمت أنّ يدك تعمل، وقلبك يستريح بالله، فقد بلغت السر.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مریدين، فيهم من يترك الأسباب، ويظن أنه بذلك يحسن التوكل، ومنهم من يغرق في الأسباب، وينسى أنّ الأمر كله لله. فكونوا لهم مرشدين، فادفعوا عنهم التخاذل، ولا تتركوهم يظنون أنّ الدعاء وحده يكفي بلا سعي، ولا

تدعوهم يسировون وكأنهم متروكون لأنفسهم بلا مددٍ من الله.
يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين أنّ التوكل ليس في الأمانى، ولا في
القلق، بل في أن يعملوا بقلوب هادئة، ويأخذوا بأسبابهم وكأنها كل
شيء، ثم يتركوا الأمر لله وكأنها لا شيء. فإنّ من فعل ذلك، فقد
وجد سر الطمأنينة، وعرف كيف يكون عبداً لله في كل حال.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (297): لماذا التوكل مقامٌ في الطريق؟

الجواب: اعلم أنّ التوكل ليس حالة عابرة، ولا خلقاً يُمارَس وقت
الحاجة فقط، بل هو مقامٌ من مقامات السير إلى الله، يستقر فيه
القلب ويترقى به العبد. لأنّ المقام هو مرتبةٌ ثابتةٌ يثبت عندها
السالك حتى يتحقق بها، فلا ينتقل إلى ما بعدها إلّا إذا استوى فيها
عمله وقلبه، والتوكل من أعظم هذه المقامات.

وسبب كونه مقاماً أنّ التوكل يُحقق للسالك معنى الاعتماد الكلي
على الله مع بقاء السعي والعمل، فلا يلتفت قلبه إلى الأسباب، ولا
يَعُول على تدبير نفسه، بل يرى أنّ الفاعل هو الله وحده، وأنه مأمور
بالسعي تعبدًا، لا اعتمادًا. فإذا حقق هذا الفهم، واطمأن قلبه بهذا
اليقين، ثبت في مقام التوكل، وارتقى إلى ما بعده من مقامات التسليم
والرضا. قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾. فربط
الإيمان الحق بالتوكل الصادق، لأنّ القلب المتوكل لا يتزعزع، ولا يرجو
إلّا الله، ولا يخاف إلّا منه.

فيا مريد، إنّ التوكل مقام، لأنه يُطهّر القلب من الالتفات لغير الله، ويقوّي
إرادة السالك في مجاهدة النفس والهوى، وهو مفتاح الفتح في الطريق.

مسألة (298): التوكل لا يُنافي التخطيط والتدبير

الجواب: اعلم أنّ التوكل الحق لا يُناقض حسن التدبير ولا يلغيه، فإنّ الله سبحانه أمر بالسعي مع الإحكام، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام في إدارة أزمة المجاعة: ﴿اجْعَلُونِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾. فالتدبير والتخطيط من تمام الأخذ بالأسباب، وهو جزء من التوكل وليس مناقضاً له، إذ العبد الصادق يتقن عمله، ويسلم قلبه لله.

مسألة (299): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام التوكل؟

الجواب: يعرف المريد أنه قد بلغ مقام التوكل إذا استوى عنده المنع والعطاء، ولم تتعلق نفسه بنتائج الأمور، بل بقي قلبه مطمئناً بالله وحده في كل حال. فإن سعى واجتهد، لم يعتمد على سعيه، وإن تأخرت النتائج، لم يجزع ولم يشك، بل بقي راضياً عن تدبير الله، مسلماً لحكمته، ساكن القلب، لا تضطرب روحه عند المصائب، ولا يتكبر عند النعم. فإذا كان كذلك، فهو من أهل التوكل الصادق.

مسألة (300): التوكل والرضا بعد الاجتهاد

الجواب: من تمام التوكل أن يكون بعد السعي رضىً وتسليماً، فإنك إن اجتهدت في الأسباب، ثم جزعت إذا لم تر النتائج كما أردت، فاعلم أنّ توكلك لم يكتمل. فالعبد الذي يرضى بعد بذل وسعي هو من عرف مقام العبودية حقاً، كما قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁽²⁾. فاستبصر الخير وإن لم يظهر لك، وسلم في قلبك لحكمة الله.

1 - [يوسف: 55]

2 - [النساء: 19]

مسألة (301): التوكل يُثمر قوة لا ضعفا

التوكل الحق لا يجعل العبد ضعيفاً أو متردداً، بل يقويه، ويزيده شجاعة وثباتاً، لأنه يعلم أنّ الأمر كله بيد الله. انظر إلى حال النبي يوم الهجرة، كيف اختفى في الغار، وأخذ بالأسباب، ومع ذلك قال لصاحبه ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾⁽¹⁾. فالمتوكل لا يخاف الناس، ولا يخشى الفقر، ولا تزلزله المحن، لأنه مستند إلى الركن الوثيق.

مسألة (302): التوكل يجمع بين الخوف والرجاء

يا مريد، التوكل ليس تفويضاً فارغاً، بل هو عمل قائم على الخوف من التقصير، والرجاء في رحمة الله. فالخوف يدفعك للإستعداد، والرجاء يسكن قلبك بعد العمل، كما قال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾⁽²⁾. فالخوف يحفظك من الغفلة، والرجاء يحفظك من القنوط، والتوكل يربط بينهما برباط التسليم.

مسألة (303): التوكل لا يبطل التعلم ولا اكتساب المهارات

كثير من الناس يظن أنّ التوكل يغني عن التعلم أو عن اكتساب المهارات، وهذا جهلٌ بمقام التوكل. بل عليك أن تتقن صنعتك، وتحسن مهارتك، وتطلب العلم النافع، ثم تتوكل على الله فيما لا تملك، كما قال النبي ﷺ: ﴿أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَأَسْتَعِزْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ﴾⁽³⁾. فالمتوكل يعمل ويتعلم، ثم يترك الثمرة بيد الله تعالى.

1 - [التوبة: 40]

2 - [السجدة: 16]

3 - مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم [2664]، ج4 ص2052.

رسالة [66]: مقام التوبة بين الغفران والتسويق.. كيف

يعود المريد إلى الله بصدق؟

يا مريد، إنّ التوبة ليست لحظة عابرة من الندم، وليست كلمات تُقال ثم تُنسى، بل هي ولادة جديدة للقلب، وانقلاب في الروح، وتجديد للعهد مع الله. هي خروج من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة، وهي عودة من طريق الضياع إلى طريق العبودية. فإن كنت تظن أنّ التوبة هي أن تستغفر بلسانك وأنت على يقين أنك ستعود، فاعلم أنك لم تتب بعد، وإن كنت تظن أنّ الذنب الذي حملته ثقیلاً إلى حد لا يُغفر، فاعلم أنك لم تفهم كرم الله بعد.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁽¹⁾. فهل بعد هذا النداء يبقى للعبد عذر في التسويق أو اليأس؟ إنه نداء لكل مذنّب، نداء لكل من أغلق الباب على نفسه، ولكل من توهم أنّ الله لا يقبله، ولكل من أضناه حمل الخطايا. فلا تقل: "غداً أتوب"، فإنك لا تملك الغد، ولا تقل: "ذنبي أعظم من أن يُغفر"، فإنّ الله أعظم من كل شيء.

يا مريد، إنّ أخطر ما يُبعد العبد عن التوبة ليس الذنب، بل الوهم، فالوهم يأسره بين التسويق واليأس، فإن لم يستطع الشيطان أن يجعلك تؤجل التوبة، دفعك إلى الاعتقاد بأنك لا تستحقها. فإياك أن تكون من هؤلاء أو أولئك، فإنّ العبد الذي يخطئ ويعود، خير من الذي يستمرئ الخطأ ولا يرى له مخرجاً. أما سمعت قول النبي ﷺ:

﴿كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ﴾⁽¹⁾؟ فليس العبد الصالح من لا يذنب، بل هو الذي إذا أذنب، تذكّر، وعاد، ولم يجعل ذنبه حجاباً بينه وبين الله.

يا مريد، التوبة ليست أن تقول: "أستغفر الله"، ثم تعود إلى ما كنت عليه، بل هي أن تحمل في قلبك عزمًا صادقًا على ألا تعود. قد تقع من جديد، قد تضعف أحيانًا، لكنك لن تبرر لنفسك المعصية بعد الآن، لن تطمئن إلى الغفلة كما كنت تفعل، ولن تجعل خطاياك جداراً بينك وبين ربك، بل ستجعلها جسراً للعودة.

يروى أنّ رجلاً أتى إلى الحسن البصري، فقال له: «إني أذنب وأتوب، ثم أعود إلى الذنب، ثم أندم، ثم أتوب، ثم أعود»، فقال له الحسن: «جاهد نفسك، فإنّما التوبة صراعٌ بينك وبينها، فمن صدق مع الله، لم يُخذل». فإياك أن تظن أنّ التوبة هي عدم الوقوع في الذنب أبداً، بل التوبة الحقيقية هي أن تعود إلى الله كلما زلّت قدمك، أن يكون قلبك حياً لا يقبل الدوام على الغفلة، أن تكون مستعداً للقيام ولو سقطت ألف مرة.

يا مريد، إياك أن تؤجل التوبة، فإنّ العمر لحظة، وإنّ النفس خادعة، وإنك لا تدري متى يكون آخر العهد بالدنيا. من قال: "أتوب غداً"، فقد ترك الأمر لما لا يملكه، ومن قال: "سأتوب حين أكون مستعداً"، فقد أخر الخير بغير سبب. إنّ التوبة لا تحتاج إلى استعدادٍ، بل تحتاج إلى صدقٍ.

يا خلفاء الطريقة، بين أيديكم مريدون منهم من يحمل ذنوبه كأنها جبلٌ يمنعه من السير، ومنهم من يستهين بالتوبة، فيراها شيئاً

1 - الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم [2499]، ج4 ص273.

مؤجلاً، وكلاهما محتاجٌ إلى من يأخذ بيده. علّموهم أنّ الله يقبل العائدين، لكنه لا يقبل التلاعب، إنّ الله يفرح بالتائب، لكنه لا يريد منه أن يُهمل قلبه. ذكّروهم أنّ التوبة لا تكون وهماً، ولا تكون تسويفاً، بل تكون يقظة تبعث الحياة في القلب من جديد.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا التوبة درساً يومياً، لا حدثاً طارئاً، وذكّروا المريدين أنّ أبواب الله لا تُغلق، ولكن لا تتركوا بينهم من يعثب بها بالتأجيل والتهاون. فمن أراد الله، وجده، ومن طرق بابه بقلب صادق، فُتح له.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (304): التوبة الدائمة هي صفة العارفين بالله

يا مريد، إنّ التوبة ليست باباً يدخله العاصي فقط، ثم يغلقه بعد أن يتوب، بل هي مقامٌ دائمٌ للسالكين، مهما طُهرت قلوبهم وزكت نفوسهم. فالعارف بالله يرى دائماً تقصيره في حق مولاه، ويشعر أنّ ما يقدّمه لله لا يليق بجلاله، فيتوب من غفلته، ويتوب من شهود نفسه في عمله، ويتوب من كل خاطئ لا يُرضي الله، ولو كان لحظة سهو. فالتوبة عند العارفين تجديدٌ دائمٌ للعهد مع الله، لا ينقطع إلّا بانقطاع النفس عن الجسم.

مسألة (305): التوبة ليست من الذنوب الظاهرة فقط

يا مريد، إنّ كثيراً من السالكين يحصرون التوبة في الذنوب الظاهرة، كترك الصلاة أو الوقوع في المعاصي الجلية. ولكن أهل البصيرة يعلمون أنّ الذنوب الخفية أشد خطراً على القلب، كالعجب بالنفس، والرياء، وحب الظهور، وكثرة الكلام بلا ذكر، والغفلة عن الله في

لحظات النشاط أو العبادة. فالتوبة الصادقة هي التي تشمل الجوارح والسرائر، وتُطهر ظاهر العبد وباطنه، حتى لا يبقى في القلب ما يحجبه عن أنوار القرب.

مسألة (306): التسوية في التوبة من مكر النفس

يا مريد، من مكر النفس والشيطان أن يوسوسا لك بالتسوية، فيؤجلانك إلى غدٍ لا تدري إن كنت تدركه. فاحذر، فإنه من علامات الغفلة، وأبواب الحرمان. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾⁽¹⁾، فالتسوية يُذهب حرارة الندم، ويطفئ نور الإقبال، ولا يبقى للسالك إلا التمني، والتمني رأس مال المفلسين.

مسألة (307): من دلائل قبول التوبة

يا مريد، إن قَبِلَ الله التوبة، ظهرت آثارها في العبد، في قلبه تواضع، وفي جوارحه خضوع، وفي لسانه ذكرٌ وشكر، وفي حاله خفية لا يرى نفسه أهلاً للمقام، ولا يزكي نفسه على أحد. فاحذر أن تظن نفسك قد بلغت بلسان التوبة فقط، وإنما العبرة بما يتغير فيك بعد التوبة، فمن لم يزد حباً لله، وخوفاً من سخطه، فهو على خطر.

مسألة (308): التوبة مقامٌ يورث نورا

يا مريد، إن التوبة الصادقة ليست فقط انكساراً، بل هي بداية انفتاح النور في القلب، فإذا تاب العبد بصدق، أشرق روحه، وتلذذت بالذكر، واطمأن قلبه بقرب مولاه. قال النبي ﷺ: ﴿التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ﴾⁽²⁾، أي إن الله يغفر له ويبدل سيئاته

1 - [آل عمران: 133]

2 - ابن ماجه، سنن ابن ماجه، حديث رقم [4250]، ج5 ص320.

حسنات، فإذا غُفرت الذنوب، تجلّى النور، وإذا تطهر القلب، أقبل عليه الفيض الإلهي.

مسألة (309): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام التوبة؟

يعرف المريد أنه قد بلغ مقام التوبة حين يجد قلبه منقطعاً عن الذنب كلياً، مع ندمٍ دائمٍ على ما فات، وخوفٍ من العودة، ورجاءٍ في قبول الله له. فإذا أصبح الذنب في قلبه أبغض إليه من النار، ولم يعد يهوى الرجوع إليه ولو زُين له، وكان دائم المراقبة لنفسه، حريصاً على إصلاح ما أفسده، ملازماً للطاعة، مستزيداً من الخير، فهذا دليل صدق توبته وبلوغه مقامها. وعلامة صدق التوبة أيضاً أن يكون حاله بعد التوبة خيراً من حاله قبلها.



رسالة [67]: مقام الصبر على مجاهدة النفس

يا مريد، إِنَّ الطريق إلى الله ليس طريقاً مفروشاً بالورود، بل هو طريقٌ مليءٌ بالابتلاءات، والاختبارات، والمجاهدات. فمن ظنَّ أنه سيصل إلى القرب دون أن يُمتحن، فقد جهل سنن السائرين. وإن كنتَ ترى نفسك تُجاهد، وتشعر بالمشقة، فاعلم أنك في الطريق الصحيح، فَإِنَّ الله لم يَعِدْ أهل القرب بالراحة في الدنيا، بل وعدهم بنورٍ يُضيء لهم قلوبهم، ويجعلهم ثابتين رغم الصعاب. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف أَنَّ المجاهدة هي مفتاح الهداية، فإن كنتَ تصبر، فاعلم أَنَّ النور ينتظر.

يا مريد، إِنَّ النفس بطبيعتها تكره المجاهدة، وتميل إلى الراحة، فإن كنتَ تشعر بثقل العبادة، أو فتور الهمة، فلا تظنَنَّ أَنَّ ذلك ضعفٌ منك، بل هو ابتلاءٌ من الله، ليعلم صدقك، فإن كنتَ تحب الله حقاً، فستُكمل السير، وإن كنتَ لا تزال متردداً، فاجتهد حتى تتجاوز ضعفك، فَإِنَّ العبد إذا لم يجاهد نفسه، بقي مكانه، فإن كنتَ تريد أن ترتقي، فاعلم أَنَّ الصبر على المجاهدة هو أول درجات الثبات. قال النبي ﷺ: ﴿حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ﴾⁽²⁾. فانظر كيف أَنَّ طريق الجنة محفوفٌ بالمجاهدات، فإن كنتَ تجد نفسك تواجه صعوباتٍ في الطريق، فاعلم أنك في مسار السائرين، وإن كنتَ تجد طريقك سهلاً بلا أي عناءٍ، فَخِفْ على نفسك، فَإِنَّ الطريق المليء بالراحة ليس طريق الله، بل هو طريق النفس والهوى.

1 - [العنكبوت: 69]

2 - مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم [2822]، ج4 ص2174.

يا مريد، إنّ الصبر في المجاهدة ليس صبراً على الألم فقط، بل هو صبرٌ على الطاعة، صبرٌ على الدعاء وإن لم تجد الإجابة سريعاً، صبرٌ على الذكر وإن لم تشعر بحلاوته، فإن كنت ترى نفسك تعمل ولا تجد الأثر، فاصبر، فإنّ كل خطوة تقطعها تُكتب لك، وإن كنت لا ترى النور الآن، فإنه سيأتي في وقته، فإن كنت تعمل لله، فاعلم أنّ الله لا يضيع جهداً.

يا مريد، إنّ النفس قد تتمرد أحياناً، وتكسل أحياناً، فإن كنت تجد فيها تراجعاً، فلا تيأس، بل جاهدّها، فإن كنت تسير، ثم توقفت، فارجع إلى الله، ولا تجعل الفتور سبباً في ابتعادك، فإنّ العبد إذا تعب في الطريق، لم يُترك، بل إنّ الله يُعيده إليه إن كان صادقاً، فإن كنت تجد نفسك تتراجع، فاستغفر، وأعد نيتك، وابدأ من جديد، فإنّ العبد يُخطئ، ولكن القرب لمن يعود.

يروى عن أحد العارفين أنه قال: «إنما يُختبر الصادق بكثرة العثرات، فإن قام بعد كل عثرة، فهو من أهل الصدق، وإن بقي حيث وقع، فهو من أهل الدعوى». فانظر كيف أنّ الطريق ليس لمن لا يسقط، بل لمن يقوم كلما وقع، فإن كنت ترى نفسك تعثر، فلا تيأس، فإنّ العبرة ليست بعدد مرات السقوط، بل بعدد مرات القيام، فإن كنت تريد القرب، فاثبت، وإن كنت تريد الفتح، فجاهد.

يا مريد، لا تكن ممن يستعجلون الثمرة، فإن كنت تريد أن ترى الأثر في كل عمل، فقد تُحجب، فإنّ الله يُعطي النور في وقته، لا حين تطلبه، فإن كنت تعمل، فاجعل عملك خالصاً، ولا تربطه بالنتائج، فإنّ العبد إذا عمل لله، وجد الراحة حتى لو لم ير الأثر، وإن كان يعمل لنفسه، بقي مضطرباً حتى لو رأى النتيجة.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يُدرك بعد أنّ

الطريق يحتاج إلى صبرٍ، وفيهم من ظنَّ أنَّ الفتور يعني أنه فُتن، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنَّ العبد لا يُحرَم إلا إذا ترك المجاهدة، فكونوا لهم مرشدين. علموهم أنَّ المجاهدة ليست يوماً ولا شهراً، بل هي عمرٌ كاملٌ، فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا من أهل الله، فاجعلوهم يتعلمون أنَّ السير ليس للمتكاسلين، بل للصابرين، فإنَّ القلب إن لم يصبر، لم يصل.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنَّ النفس لا تُروّض إلا بالمجاهدة، فإن كنت ترى مريداً يريد النتيجة سريعاً، فذكره أنَّ النضج لا يأتي إلا بعد اختبارٍ، وإن رأيت مريداً يخشى المجاهدة، فاجعله يفهم أنَّ القلب لا يصفو إلا بعد عناءٍ، فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى مدى صبرك، فإن كنت صابراً، فأنت من السائرين، وإن كنت متردداً، فاجتهد حتى تثبت. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.

مسألة (310): السر في أن مقام الصبر هو باب الفتح

يا مريد، إنَّ الصبر في طريق الله ليس مجرد احتمال الأذى أو تحمّل المشقة، بل هو شرط الوصول. فالصبر يثبت القدم عند الزلل، ويمنع النفس من الهروب عند الفتور، ويجعل القلب أهلاً لحمل نور الله. ولو كان الفتح يأتي بلا صبر، لما جاهد الأنبياء، ولما صبر الأولياء. إنما مقام الصبر هو الباب الذي لا يفتح الفتح إلا لمن عبره بثبات ويقين.

مسألة (311): ماذا يعني أن الصبر مقام؟

يا مريد، إذا سمعت أنَّ الصبر "مقام"، فاعلم أنه ليس حالة عابرة تعيشها حيناً ثم تزول، بل هو منزلٌ راسخٌ من منازل السالكين، يُقيم فيه القلب حتى يتهيأ للترقى إلى مقاماتٍ أعلى. والمقام، في اصطلاح

أهل الطريق، هو مقام الثبات والاستقرار، بينما الحال يأتي ويذهب. فالصبر مقامٌ، لأنه دليلُ ثبات المريد في سيره إلى الله، رغم تقلب الأحوال، وشدة البلاء، وقلة الفتح. هو قرار القلب بالبقاء على باب الله، وإن أُغلق عليه، وبالوقوف على الطريق، وإن كثر العابرون وتأخر الفتح. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾⁽¹⁾. فبيّن أنّ الصبر معونة إلهية، يثبت بها العبد في مقامه حتى يبلغ. يا مريد، المقامات لا تُنال بالتمني، بل بالمجاهدة، والصبر مقامٌ لأنه الأساس الذي تُبنى عليه بقية المقامات. فمن لم يثبت في مقام الصبر، لم يرتقِ إلى مقام الرضا، ولا الشكر، ولا التوكل، لأنّ النفس لا تزكو إلّا إذا صبرت على تهذيبها، والروح لا تنفتح إلّا بعد مجاهدةٍ صبورة. فإذا أقامك الله في مقام الصبر، فاحمده، لأنه قد فتح لك باب الثبات، وأعانك على التهيؤ لمقاماتٍ أعلى، فهو مقام البداية لمن صدق، ومفتاح الترقى لمن ثبت، ووسيلة الوصول لمن علم أنّ لا وصول إلّا به.

مسألة (312): متى يتحول صبر المريد إلى لذة روحية

يا مريد، إنّ الصبر يبدأ مجاهدة، ويصبح عادة، ثم يتحول إلى لذة يجدها القلب في تحمل الطاعة، وفي الثبات على السير، وفي احتمال الأقدار. فمن داوم على الصبر، وجد أنّ ما كان يثقله في بدايته، صار يحييه في نهايته. وهكذا يصبح صبر السالكين هو حلاوة الثبات، ولذة القرب، وسكينة التسليم.

مسألة (313): عاقبة من لم يصبر على مجاهدة النفس

يا مريد، من لم يصبر على مجاهدة النفس، بقي محبوساً في مقاماته الدنيا، لا يتقدم خطوة إلى النور، بل يعود إلى ظلمات الهوى والراحة النفسية الزائفة. وإنّ التراجع في الطريق أشد خطراً من الوقوف، لأنّ النفس التي اعتادت التساهل، تستصعب العودة إلى الجهاد. فمن لم يصبر، خسر السير، وإن ادعى أنه يريد القرب.

مسألة (314): الصبر مقام الأنبياء وأهل العزم من الأولياء

يا مريد، لا تنظر إلى الصبر كخيارٍ للسالك، بل هو مقامٌ سار فيه الأنبياء، وامتنحن الله به أولي العزم منهم. فإبراهيم عليه السلام صبر على النار، ويوسف على السجن، وأيوب على البلاء، والنبي محمد صبر على أذى قومه. فاعلم أنّ الصبر ليس ضعفاً، بل هو قوة أهل الله، وسر ثباتهم في وجه الابتلاء.

مسألة (315): ما يصبرك هو رؤية المقصد لا وعثاء الطريق

يا مريد، إنّ الذي يثبتك في السير هو أن تضع عين قلبك على المقصد، لا على وعثاء الطريق. فإن كان نظرك إلى ما تلاقيه من مشقة، ضعفت، وإن كان نظرك إلى ما تنتظره من لقاء الله، استروحت روحك وإن تعبت جوارحك. فاجعل مقصدك نصب عينيك، ليكون الصبر يسيراً مهما طال الطريق.

مسألة (316): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الصبر؟

يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الصبر حين يجد قلبه ساكناً عند وقوع البلاء، لا يضطرب ولا يجزع، ولا ينطق لسانه بشكوى، بل يكون رضاه بالله غالباً على كل ما يجد من ألم ومحنة. فإن رأى نفسه ثابتاً على

الطاعة في أوقات الضيق كما هو في أوقات السعة، وصابراً على ترك المعاصي ولو اشتدت عليه دواعيها، وحامداً لله في السرّاء والضراء، عليم أنه قد بلغ مقام الصبر. وعلامة هذا المقام أن يستوي عنده العطاء والمنع، فلا تراه إلا شاكراً لله، مطمئناً لقضائه.

رسالة [68]: مقام الخوف.. هيبة الجلال يقظة السالكين

يا مريد، يا طالب وجه الله، يا من رفعت قدميك للسير، أما علمت أن الطريق محفوفٌ بهيبة الجلال، وأن القرب من الحق لا يكون إلا لمن خشعت جوارحه وارتعد قلبه هيبة من عظمتة؟ إن مقام الخوف هو أول الأبواب التي يدخلها السالك، فإن اجتازها بصدق، أذن له بالدخول إلى مقامات المحبة والأنس.

يا مريد، إنّ الخوف ليس رعباً يملأ القلب باليأس، ولا فزعاً يقعدك عن السير، بل هو يقظةٌ تحرس قلبك من الغفلة، ومراقبةٌ تُثير بصيرتك حتى لا تخطئ المسير. إنه ذلك الشعور الذي يجعلك تنظر إلى نفسك بعين العبد المقصر، مهما اجتهدت، وترى نعم الله عليك بعين العاجز عن أداء الشكر، مهما أطلت السجود. قال تعالى: ﴿وَيَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾⁽¹⁾. فالخوف الحق ما أورث صاحبه رجاء لا ينقطع، لأنه يعلم أن الله أرحم به من نفسه، ولكنه لا يأمن مكرها، ولا يغفل عن حسابها.

يا مريد، إنّ الخوف لا يكون من العقوبة فقط، بل هو من الفوات، من الحرمان، من أن تنظر إلى الخلق يوم القيامة وهم في ظل عرش الرحمن، وأنت من المطرودين عن ساحته. أن تُحرم من النظر إلى وجهه الكريم، أن يُغلق دونك الباب وأنت تحسب أنك من الداخلين. يقول الشيخ الحسن البصري: «المؤمن يعمل بالطاعات وهو

مشفقٌ وجلٌّ، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمنٌ مطمئنٌ»⁽¹⁾.
فالمؤمن لا يأمن قلبه لحظة، بل يخشى التقلب بعد الثبات، والرد
بعد القبول.

يا مريد، إنّ الذين خافوا الله صدقاً، هم الذين أحبوه بصدق، فإنّ
القلب إذا عظم مولاه، خاف أن يسيء الأدب بين يديه، وإن أحببته
حقاً، خفت أن يغيّب عنك لحظة، أو يُحجب قلبك عن نوره طرفة
عين. فالخوف خوف المحبين، لا خوف العصاة فقط. الخوف أن
تبتعد عن حضرته، أن تُطرد من باب قربه، أن تذوق مرارة الوحشة
بعد أن كنت في أنسٍ مع الله.

يا مريد، إيتاك أن تظن أن مقام الخوف عائقٌ عن الفرح بالله، بل هو
الذي يحفظ هذا الفرح من التبدد، وهو الباب الذي تُحفظ به نعمة
الذكر من الغفلة. وكن كما قال أخي الصالح أبو سليمان الداراني
(رحمه الله): «إذا سكن الخوف القلب، أحرقت مواضع الشهوات منه،
وطرد الدنيا عنه»⁽²⁾. فالخوف نارٌ مقدسة، تحرق الأدران، حتى لا
يبقى في القلب إلا الله تعالى.

يا مريد، مقام الخوف لا يدوم وحده، بل يُثمر الرجاء، ويُنبِت المحبة،
فمن خاف الله حقاً، رجاه، ومن رجاه، أحبه، ومن أحبه، ذاب قلبه بين
يدي جلاله وجماله. واعلم أنّ الخوف سراجُ الطريق، إن انطفأ، تاه
القلب، وظنّ نفسه في النور وهو في ظلمة الغرور.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين قد غفلوا عن مقام الخوف،
واطمأنوا لأعمالهم، وظنوا أنّ القبول مضمون، فذكّروهم أنّ الله لا يؤمن

1 - ابن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض،

ط2، 1420هـ، م3، ص451.

2 - أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، مصدر سابق، ص79.

مَكْرُهُ، وَأَنَّ النَّفْسَ إِذَا أَمِنَ جَانِبَهَا، أَطْغَتْ صَاحِبَهَا، فَكُونُوا لَهُمْ مِرَآةً، وَأَعِيدُوا إِلَى قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ الَّذِي يُصْلِحُ السَّيْرَ، وَيُرَدُّ الْأَمَانَةُ إِلَى أَهْلِهَا. عَلِّمُوهُمْ أَنَّ الطَّرِيقَ مُحْفُوفٌ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ حَتَّى غَفَلَ، أَوْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ حَتَّى قَنَطَ، فَقَدْ حَادَ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (317): لماذا يعد الخوف مقاما من مقامات السالكين؟

يا مريد، اعلم أَنَّ الخوفَ مقام راسخ في الطريق إلى الله، ليس مجرد شعور طارئ، بل هو حالٌ دائمٌ للسالكين الصادقين. الخوف ينشأ عندما يدرك العبد عظمة الله وجلاله، ويرى تقصيره في جنب مولاه، فيخاف أن يُحجب عن القرب، أو يُطرد من حضرته. وهو مقام لازم في السير، لا يزول إلَّا عند الوصول إلى الأمن الكامل يوم اللقاء.

مسألة (318): ما العلاقة بين الخوف والرجاء في تربية النفس؟

يا مريد، كما أَنَّ للطائر جناحين لا يحلّق إلَّا بهما، فهكذا القلب لا يستقيم إلَّا بجمع الخوف والرجاء. فالخوف يردع النفس عن الغفلة، والرجاء يمنعها من اليأس. من غلب عليه الخوف قنط، ومن غلب عليه الرجاء أمِن مكر الله، أمَّا من جمعهما فقد اعتدل في سيره. قال الله تعالى: يدعون ربهم خوفاً وطمعاً.

مسألة (319): ما أثر الخوف على سير المريد في الطريق؟

يا مريد، الخوف يجعل السالك متيقظاً، لا يغتر بعمله ولا يأنس بمدحه، بل يظل خائفاً من العقوبة. والخوف يدفعه إلى الصدق في العمل، والخشوع في العبادة، والتواضع في الحال. هو الحارس الأمين على القلب من الغفلة والركون إلى النفس.

مسألة (320): متى يكون الخوف محموداً، ومتى يكون مذموماً؟

يا مريد، الخوف المحمود هو الذي يدفعك إلى الطاعة ويبعدك عن المعصية، ويزيدك حياءً من الله تعالى. أما الخوف المذموم، فهو الذي يوقع في اليأس والقنوط، ويثبط العبد عن العمل، ويغلق عليه باب الرجاء في سعة رحمة الله.

مسألة (321): هل مقام الخوف دائم في الطريق، أم يتبدل؟

يا مريد، مقام الخوف يبقى مع السالك حتى إذا وصل إلى مقام المشاهدة زال عنه الخوف من العذاب، وبقي عنده الخوف من سوء الأدب مع الله. وكلما زاد قرب العبد من مولاه، زاد خوفه أن يقع منه تقصير في حضرة الجلال، فالعارفون بالله أشد الناس خوفاً مع عظيم معرفتهم.

مسألة (322): كيف يكون الخوف باعثاً على الحب؟

يا مريد، من أحب الله خاف فراقه، وخشي أن يحجب عن مقام الأنس. والخوف هنا لا يكون من العقوبة، بل من فقدان المحبة، ومن الانقطاع عن مقام القرب. فكلما زاد الحب، زاد الخوف من الجفاء، كما قال بعض العارفين: خفت ألا أكون أهلاً للود، فزادني الخوف حباً، وزادني الحب خوفاً.

مسألة (323): ما هو مقام الخوف عند حضرة الإمام عليّ عليه السلام؟

يا مريد، قال الإمام عليّ عليه السلام: «خافوا الله خوفاً لو جئتم يوم القيامة ببر الثقلين خشيتم أن يعذبكم، وارجوه رجاء لو جئتم يوم القيامة بإثم الثقلين رجوتم أن يغفر لكم». فهذا هو كمال التوازن بين الخوف والرجاء الذي تعلمناه من الإمام، باب مدينة العلم المحمدي، وأساس السير في طريقتنا العلية القادرية الكسنزانية.

مسألة (324): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الخوف؟

يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الخوف حين يرى خوفه من الله باعثاً له على مجاهدة نفسه، ورادعاً له عن المعصية، ودافعاً له إلى المسارعة في الطاعة. فإذا أصبح خوفه لا يوقعه في يأس ولا قنوط، بل يحمله على التوبة الدائمة، وعلى إحسان العمل، وعلى مراقبة ربه في كل حال، دلّ ذلك على أنه في مقام الخوف الحق. وعلامته أن يستحي من الله في سره كما يستحي منه في علنه، وأن يكون خوفه من سوء الخاتمة حاضراً في قلبه، وإن كثرت أعماله الصالحة، فلا يغتر بها ولا يعتمد عليها، بل يرى نفسه دائم الحاجة إلى رحمة الله وعفوه.



رسالة [69]: مقام الرجاء.. مفتاح الأمل وشفاء القلب

يا مريد، إنّ الرجاء بابٌ واسعٌ من أبواب السير إلى الله، لا يُفتح إلا لمن صدق في المحبة، وسعى في الطاعة، ثم أسلم قلبه لرحمة مولاه، ووقف ينتظر في باب الكرم، واثقاً بأن الله لا يردُّ من طرق بابه خائباً.

يا مريد، الرجاء ليس أمنيات الكسالى، ولا أمانى الغافلين، بل هو يقينٌ في القلب، إنّ الله تعالى أرحم الراحمين، وأن رحمته سبقت غضبه، وأن ما عند الله أعظم مما عند النفس من ضعفٍ وعجزٍ وقلة حيلة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾. فانظر، يا مريد، كيف ناداهم بالعبودية، حتى مع إسرافهم، ليفتح لهم باب الرجاء، فلا يقنطوا ولا ييأسوا.

يا مريد، إن الرجاء روحٌ تحيي قلبك إذا أثقله الذنب، وتردُّك إلى الله إذا بُعدت، وتُشعلك شوقاً إن ظننت أنك لا تُقبل، فالرجاء هو الأمل الذي يجعل قدميك لا تتوقفان عن المسير، ولو تعثرت، وهو النور الذي يبدد ظلمة الخوف واليأس.

يا مريد، لا تظن أنّ الرجاء ضعفٌ، بل هو قوة، ولا تظنه ركوداً، بل هو محركٌ للنفس حتى تستزيد من عمل الخير، لأنّ من رجاى كرم مولاه، أحسن العمل، ومن عَلم أنّ الله غفورٌ رحيم، أقبل بقلبه ويده ولسانه على كل طاعة، طامعاً في القبول، راغباً في الرضا. قال النبي ﷺ: ﴿إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى﴾⁽²⁾، فانظر كيف علمنا أن نُعظم الرجاء، وألا نصغره، فمن كان مولاه عظيماً، رجاى منه العظيم.

يا مريد، إنّ الخوف يَظهر قلبك من الغفلة، ولكن الرجاء هو ما يبعث

1 - [الزمر: 53]

2 - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2،

1423 هـ، ج5 ص13.

فيك الحياة من جديد. إِنَّ المريض إذا عِلِمَ أَنَّ الشفاء قريبٌ، صبر على الدواء، وَإِنَّ العبد إذا علم أَنَّ الرحمة قريبة، صبر على الطاعة، وزاد في الاجتهاد، لا لأن العمل هو المُنَجِّي، ولكن لأنَّ الرجاء علّمه أَنَّ الله يقبل من عبده القليل ويجزيه به الجزيل.

يا مريد، إياك أن تجعل الرجاء غفلة أو تهاوناً، ولا تظنن أَنَّ الرحمة تعني ترك العمل، فَإِنَّ الرجاء الصادق يحثُّ القلب على المجاهدة، لأنك ترجو ربّاً يحبُّ الساعين إليه، ولا يقبل إلّا من جاءه بصدق الطلب، وخشية القلب، وعمل اليد، فإذا فعلت، فالرجاء لك باب مفتوح، لن يُغلق في وجهك أبداً.

يا مريد، طريق الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، بُني على التوازن بين الخوف والرجاء، وكلما عَظُم علمك بالله، عَظُم رجاؤك، كما قال الإمام عليّ عليه السلام: «كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو أَرْجَى مِنْكَ لِمَا تَرْجُو»⁽¹⁾، فحتى لو ظننت أَنَّ الذنب عظيم، فالرجاء بالله أعظم، وإن رأيت في نفسك نقصاً، فرجاءك في الله أكبر من كل نقصان.

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين أَنَّ الرجاء جناح الطائر الثاني، لا يطير إلّا به مع الخوف، فلا ييأس المريد من تأخر الفتح، ولا يظن أَنَّ الحرمان دائم، فَإِنَّ الله يبدّل الحال في لحظة، ويغمر عبده برحمته حين يشاء. ولا تجعلوا أحداً من المريدين يظن أَنَّ الله أغلق دونه الأبواب، فَإِنَّ الأبواب مفتوحة ما دامت القلوب صادقة، والسير ثابتة. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلِّكَ فَارْتَقَى.



1 - محمد بن بابويه الصدوق، الأمالي، كتابجي، طهران، ط 6، 1418 هـ، ص 178.

مسألة (325): الرجاء مقام من مقامات الطريق

الرجاء ليس حالة طارئة تعتري قلب السالك، بل هو مقام من مقامات السير إلى الله تعالى، لا يصله إلّا من عرف ربّه وعِلِمَ سِعة رحمته، فاطمأن قلبه ولم ييأس مهما كثرت ذنوبه أو عظُمت خطاياهُ. فمن تحقق له مقام الرجاء، فقد دخل باب الأمل بالله، وهو مقام يورث السكينة والصبر، لأنّ صاحبه ينتظر في كل لحظة فيض الرحمة والكرم من مولاه.

مسألة (326): الرجاء لا يصح إلا مقرونا بالعمل

لا يكون الرجاء صادقاً إلّا إذا كان بعد عمل وطاعة، فمن رَجَى الله بلا سعي، فهو مغتر، وقد قال أهل المعرفة: العمل هو بذر الرجاء، فإن لم يزرع العبد بعمله، فما الذي يرجو حصاده؟ فمن جدّ في الطاعة، ورجا القبول، فهو راج، ومن ترك العمل وتمنى، فهو مغرور. فالرجاء الصادق يدفع إلى العَمَل، لا إلى التراخي.

مسألة (327): الرجاء الحق دليل حسن الظن بالله

العبد الصادق في رجائه يكون حَسُنَ الظن بربه، يعلم أنّ الله أكرم من أن يرد سائلاً أو يخيب آملاً. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽¹⁾. فالرجاء يُثمر في القلب طمأنينة، ويُضيء فيه نور حُسن الظن، فيظل العبد بين خوفٍ من تقصيره ورجاءٍ في عفو مولاه.

مسألة (328): مقام الرجاء يورث التفاؤل وعدم القنوط

الرجاء يحرر العبد من أسر اليأس، ويمنعه من القنوط مهما أثقلتْه الذنوب، لأنه يعلم أنّ رحمة الله أوسع من خطاياهُ. فإذا استحكم

1 - [يوسف: 87]

الرجاء في قلبه، لم ييأس من الفتح، ولو تأخر، ولم يقنط من العفو، ولو عَظُم الذنب. فالرجاء حياة للروح، وسراج في ظلمة الطريق.

مسألة (329): الجمع بين الرجاء والخوف هو كمال السير العبد لا يصح له السير إلا إذا سار على جناحي الخوف والرجاء. فالرجاء وحده قد يورث الغرور، والخوف وحده قد يورث اليأس. قال الإمام الجنيد (قدس سره): «الرجاء والخوف كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطائر، وإذا نقص أحدهما وقع». فالمرید يمضي في طاعته، راجياً مغفرة الله، خائفاً من رده، فتتضبط خطواته ويستقيم سيره.

مسألة (330): صحة الرجاء تعرف بثمرته إذا أردت أن تعرف صدق رجائك، فانظر إلى عملك، فإن وجدت نفسك محافظاً على الطاعات، مبتعداً عن المعاصي، فاعلم أن رجاءك صادق، وإن وجدت تهاوناً وتقصيراً، فاعلم أن رجاءك وهم وغرور. فالرجاء يدعو إلى العمل، ولا يدعو إلى البطالة، وهو مفتاح الاجتهاد، لا ذريعة الاتكال.

مسألة (331): الرجاء مقام أهل الهمة العالية الرجاء الصادق لا يكون إلا لأولي الهمم من أهل الله، الذين إذا عملوا، عملوا بصدق، وإذا سألوا، سألوا بصدق، فهم راجون لا متمنون، وسالكون لا متواكلون. في طريقتنا العلية القادرية الكسنزانية، الرجاء مقام يُعَلَّم فيه المرید كيف ينظر إلى سعة فضل مولاه، فلا يضيق صدره مهما قسى الطريق، لأنه مؤمن بأن باب مولاه لا يُغلق أبداً لمن جاءه راجياً.

مسألة (332): الإمام علي عليه السلام ومقام الرجاء

قال الإمام علي عليه السلام: «أعظم الذنوب اليأس من روح الله». فهو يعلمنا أنّ من يأس من عفو الله، فقد ضلّ الطريق، لأنّ الرجاء أساس الإيمان برّب غفور ودود. والرجاء عند الإمام علي عليه السلام ليس مجرد تمني، بل هو عمل مقرون بأمل، ودعاء مقرون بيقين، وسيّر لا يتوقف ولو تعثرت الأقدام، فالثقة بالله تجعل الرجاء حياً لا ينطفئ.

مسألة (333): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الرجاء؟

يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الرجاء حين يجد قلبه معلقاً بوعده الله، مطمئناً برحمته، محسناً الظن بمولاه، لا يتكل على عمله، ولا يقنط من تقصيره، بل يرى أنّ فضل الله أوسع من ذنوبه، وأنّ عطاياه لا تحدها حدود. فإذا رأى في قلبه سروراً بوعده الله، واطمئناناً لرحمته، مع دوام الاجتهاد في الطاعة، وسرعة العودة إلى التوبة إذا زلّ أو قصّر، دلّ ذلك على صدق رجائه. وعلامته أن يكون رجاءه مقروناً بالعمل، فلا يكون رجاءه مجرد أمل فارغ، بل هو رجاء يدفعه إلى المسارعة في الخيرات، وترك ما يكرهه الله، وثبات قلبه عند الشدائد لثقتة برحمة الله وفرجه.



رسالة [70]: مقام الرضا.. سكينه القلوب وشوق

المحبوب

يا مريد، يا سالك سبيل القرب، اعلم أنّ مقام الرضا هو تاج المقامات، وغاية من غايات السير إلى حضرة الحق. فمن عرف الرضا، استراح قلبه، واطمأن صدره، وسكنت جوارحه. إنه مقام الأنبياء، وحلية الأصفياء، وسمّة أولياء الله الذين طابت نفوسهم بحُكمه، وانشرحت صدورهم لقضائه، فصاروا لا يرون في أقدار الله إلّا جمالاً، ولا في بلائه إلّا لطفاً، ولا في منعه إلّا عطاء.

يا مريد، إنّ الرضا ليس كلمة تُقال، ولا ادعاء يدّعيه من لم يذق طعمه، بل هو حالٌ يملأ القلب نوراً، حتى لا يبقى فيه موضع لسخطٍ أو اعتراض. فإذا رضي القلب، اطمأن، وإذا اطمأن، سكن، وإذا سكن، فتح الله له باب المشاهدة، فرأى الحكمة في كل شيءٍ حوله، فعَلِمَ أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال الله تعالى: ﴿رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف جعل الرضا متبادلاً، فمن رضي عن الله، رضي الله عنه، وهذا غاية القرب، أن يكون العبد في مقام الرضا، والله راضٍ عنه، فيفوز بالقبول، وينال المقام المحمود.

يا مريد، الرضا لا يتحقق إلّا بعد تمام التسليم، فإذا سلّم العبد أمره لله، رضي، وإذا رضي، سكن قلبه. قال النبي ﷺ: ﴿ذَا قَ طَعَمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا﴾⁽²⁾. فاجعل الرضا شعارك في كل حال، إن أعطاك، فقل: الحمد لله، وإن منعك، فقل:

1 - [المائدة: 119]

2 - مسلم، صحيح مسلم، ج1 ص62.

الحمد لله، وإن ابتلاك، فقل: الحمد لله. فإنك إن قلتها بحق، شرح الله صدرك، وبصرك بنور الفهم، فصار كل ما يأتيك من عنده محبوباً لديك، سواءً في العسر أو اليسر.

يا مريد، الرضا ليس بترك الطلب، بل هو أن تسأل الله ما تحتاج، ثم ترضى بما أعطاك، فإن أعطاك شكرت، وإن منعك رضيت. فإن الرضا بعد الاجتهاد في الدعاء، وبعد الصدق في الطلب، وبعد البذل في الأسباب. فإذا فعلت كل ذلك، ثم جاءك أمر الله على غير ما تريد، علمت أن ما اختاره الله لك، خير مما اخترته لنفسك.

يا مريد، من لم يرض بالله، بقي في تعب السخط، فكلما جاءه أمرٌ يخالف هواه، اعترض واحتج، فيضيق صدره، ويقسو قلبه، وتكثر شكواه، فيعيش في همٍّ دائم. أمّا الراضي، فهو الذي يرى البلاء عين الكرم، ويرى المنع عين العطاء، ويرى المصيبة باباً من أبواب التزكية، فتهدأ روحه، وتشرق نفسه، وتصير الدنيا عنده كأنها زهرٌ يزول، فلا يحزن على ما فاتته، ولا يفرح بما أتاه.

يا مريد، اعلم أن مقام الرضا هو مفتاح السعادة، فإن رضيت عن الله، رضي عنك، وإن رضي عنك، ألبسك لباس المحبة، فلا ترى إلا الجميل، ولا تسمع إلا الخير، ولا تعيش إلا بنور اليقين. إن طريق الرضا هو طريق العارفين، وسر من أسرار المحبوبين، لا يعرفه إلا من ذاقه، ولا يثبت عليه إلا من أخلص.

يا خلفاء الطريقة، إن بين أيديكم مريدين، فيهم من إذا ابتلي جزع، وإذا منع سخط، وفيهم من يظنون أن الرضا هو ترك الدعاء وترك السعي، فكونوا لهم مرشدين، علّموهم أن الرضا لا ينافي الطلب، بل هو التسليم بعد السعي، وهو الاطمئنان بعد بذل الجهد، فاجعلوهم يرون الرضا مقام القوة، لا مقام العجز.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الرضا لا يكون في الرخاء فقط، بل هو في الشدة أعظم، فإن وجدت مريداً راضياً وهو في البلاء، فاعلم أنه قد ثبت قدمه في الطريق، وإن وجدت مريداً يرضى فقط في العطاء، فاعلم أنه لا يزال على باب الطريق.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَكَ فَارْتَقَى.



مسألة (334): لماذا كان الرضا غاية السالكين في الطريق إلى الله؟

الرضا يا مريد، هو نهاية مقامات الصبر والتسليم، وهو تاج المقربين الذين تطمئن قلوبهم لما اختاره الله لهم. فمن بلغ مقام الرضا، فقد أسلم قلبه لله في جميع أحواله، وصار لا يرى سوى الحكمة في المنع كما في العطاء. والرضا ليس مجرد قبول ظاهر، بل سكينة تملأ القلب بأنّ ما أرادته الله خير، سواء وافق رغبة العبد أو خالفها. قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "كن لِمَا لم تُرزق أَرَجى منك لِمَا رُزقت، فإنّ الذي منعك هو الذي أعطاك".

مسألة (335): ما الفرق بين الصبر والرضا؟

يا مريد، إن الصبر هو حبس النفس على احتمال ما تكره مع الشعور بالألم، أمّا الرضا فهو سكون النفس واطمئننانها، حتى وإن اشتد البلاء. الصبر مع المجاهدة، أمّا الرضا مع المحبة. فالصابر ينتظر الفرج، أمّا الراضي فقد رضي بالبلاء كما يرضى بالعطاء، لأن قلبه قد صفا عن الاعتراض، وذابت إرادته في إرادة مولاه.

مسألة (336): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الرضا؟

يا مريد، إذا رأيت نفسك في السراء لا تفرح فرحاً يطغيك، وفي الضراء لا تحزن حزناً يزلك، فقد بُشّرت بالرضا. إذا لم تعد تفرّق في قلبك

بين المنع والعطاء، وصار رضاك بالله أعظم من رضاك بما يعطيك، فهذا نور الرضا. قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾⁽¹⁾. فمن رضي بالله ربّاً، رضي الله عنه عبداً.

مسألة (337): هل الرضا ينافي الدعاء وطلب الفرج؟

يا مريد، الرضا لا ينافي الدعاء، بل يجعل الدعاء تضرعاً بحب، لا شكوى بتضجر. الراضي يسأل الله حاجته، ولكنه لا يضطرب إن تأخرت الإجابة، بل يرضى بما قسمه الله له، ويدعو بقلب سليم من الاعتراض، ولسان يتذلل لا يتأفف.

مسألة (338): لماذا مقام الرضا من أعظم مقامات التوكل؟

لأن الراضي قد أسلم قلبه كله لله، فهو واثق بتدبير مولاه، لا ينازع قدرّاً، ولا يضيق صدره بما قُضي عليه. وقد قيل: «من رضي لم يسخط، ومن رضي عاش في الجنة قبل أن يدخلها»، فهو يرى رحمة الله جارية في كل شيء. ولهذا كان الرضا ثمرة التوكل الصادق.

مسألة (339): كيف يزرع المريد مقام الرضا في قلبه؟

يا مريد، لا طريق إلى الرضا إلا بكثرة الذكر، ومداومة الشكر، والنظر في نعم الله التي لا تعد ولا تحصى. إذا علمت أنّ فضل الله عليك دائم، وأنّ بلاءه لك تطهير، ازددت قرباً ورضيت، واطمأن قلبك لما قدّره الله عليك.



رسالة [71]: مقام الشكر.. عبودية المحبين ومرتقى

العارفين

يا مريد، إنّ الشكر مقامٌ عظيمٌ من مقامات العبودية، لا يبلغه إلّا من عرف نعمة الله عليه في كل حال، واستشعر فضله في كل نفس، ورأى أنّ كل ما فيه، وما حوله، هو منة من مولاه. فالشكر ليس كلمة تُقال، بل حالٌ يملأ القلب، وسلوكٌ يظهر على الجوارح، وعملٌ يترجم صدق العبد في معرفة المنعم.

يا مريد، إنّ الله جلّ وعلا خلقك من عدم، ووهبك من النعم ما لا تحصيه العقول، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾⁽¹⁾. فمن رأى في نفسه نعمة البصر، ونعمة السمع، ونعمة القلب السليم، ونعمة الهداية إلى الطريق، ثم لم يشكر، فهو من الغافلين. والشكر لا يكون باللسان وحده، بل بالشكر ثلاث مراتب: شُكْرٌ بالقلب، وهو الاعتراف بأنّ كل فضل من الله، وشُكْرٌ باللسان، وهو الثناء عليه ودوام ذكره، وشُكْرٌ بالجوارح، وهو استعمال النعمة فيما يُرضيه.

يا مريد، إنّ الشكر مفتاحٌ للزيادة، فمن شكر استحق المزيد، كما وعد الحق سبحانه بقوله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾⁽²⁾. ومن جحد النعمة، أو استعملها في معصيته، كان كمن كفر النعمة. فاحذر أن تكون ممن يُحرمون بركة النعم، لأنهم لم يحفظوها بالشكر.

يا مريد، إنّ الشكر يورث المحبة، فإنك إذا شكرت الله، رأيت نور عطائه في قلبك، وشهدت من جماله ما يقربك منه. يقول بعض العارفين بالله: "الشكر قيد النعم، به تدوم، وزيادة النعم بالشكر"،

1 - [إبراهيم: 34]

2 - [إبراهيم: 7]

فكلما شكر العبد، ازداد نوراً، واتسع رزقاً، وثبت قدمه في الطريق.
يا مريد، الشاكرون هم خواص العارفين، فقد قال الله عن قلة
الشاكرين: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾⁽¹⁾. فاسع أن تكون من ذلك
القليل، واحذر الغفلة التي تجعل العبد يرى النعمة عادة، لا عطاء،
ويرى المنحة استحقاقاً، لا تفضلاً. فإن القلب الذي يرى النعمة
تفضلاً، يخشع، ويخضع، ويخجل من تقصيره.

يا مريد، إن النبي كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فقل له: لِمَ
تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ:
﴿أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟﴾⁽²⁾. فانظر كيف أن الشكر لا يقتصر على
القول، بل هو فعلٌ دائمٌ، ومجاهدةٌ في الطاعة، وشكرٌ على النعم.

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين أن الشكر لا يكون فقط في السراء،
بل هو في الضراء أبلغ، فمن رضي بالمحنة، وأحسن الظن بالله فيها،
فقد شكر، ومن علم أن البلاء تطهير، فحمد الله عليه، فهو من
الشاكرين. واغرسوا في قلوبهم أن الشكر سبيل إلى الرضا، والرضا
مقام السالكين الصادقين.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَكَ فَارْتَقَى.



مسألة (340): لماذا الشكر مقام من مقامات السالكين؟

الشكر مقام رفيع لأنه يعكس إدراك العبد لنعم الله عليه، ظاهرها
وباطنها. فمن كان شاكرًا، عرف أن كل ما عنده من فضل، فهو من

1 - [سبأ: 13]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [4556]، ج4 ص1830.

الله تعالى وحده، فلا يرى لنفسه فضلاً ولا للخلق، بل ينسب الفضل كله لله. ومتى استقر هذا الشعور في قلب العبد، صار قلبه عامراً بمحبة المنعم، وكان ذلك مفتاحاً لمقامات أعظم من المعرفة والقرب.

مسألة (341): ما العلاقة بين الشكر والزيادة في الفتح؟

من شكر النعمة، استحق دوامها وزيادتها، كما قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾⁽¹⁾. والزيادة لا تقتصر على المال أو الصحة، بل تشمل نور القلب، وبصيرة الروح، وسعة الفهم، ودوام الذكر، وترقي الأحوال. فالشكر مفتاح لزيادة النعم الظاهرة والباطنة، والعارفون بالله يكثر من الشكر، لا طمعاً في الزيادة، بل محبة للمنعم.

مسألة (342): هل الشكر باللسان يكفي؟

الشكر باللسان جميل، ولكنه لا يكفي وحده، فالشكر الحق يكون بالقلب، علماً ويقيناً، وباللسان، ثناءً وحمداً، وبالجوارح، عملاً وطاعة، كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾⁽²⁾. فمن شكر الله حق الشكر، صرف نعمه فيما يرضيه، لا فيما يغضبه، وكان شكره عملاً خالصاً لله، لا رياء ولا عادة.

مسألة (343): ما أثر مقام الشكر على سلوك المريد؟

المريد الشاكر يكون قلبه دائم الرضا، ولسانه رطباً بالحمد، وجوارحه منصرفة في الطاعة. لا ينظر إلى ما فاته، بل ينظر إلى ما أُعطي، فلا يعرف الحسد ولا السخط. ومن ثبت في مقام الشكر، صار من أهل

1 - [إبراهيم: 7]

2 - [سبأ: 13]

الرضا والقناعة، وألبس لباس القرب، وصار من المحبوبين عند الله، لأنَّ الشُّكر دليل على المحبة، والمحِب لا يرى إلَّا الجميل فيما يُعطى أو يُمنع.

مسألة (344): ما الفرق بين الشُّكر عند العوام والشكر عند العارفين؟
العوام يشكرون على النعمة الظاهرة، والعارفون يشكرون على كل حال، حتى في البلاء، لأنهم يرون فيه لطفًا خفيًا، ورحمة ظاهرة أو باطنة. العوام يشكرون إذا أُعطوا، والعارفون يشكرون إذا أُعطوا أو مُنعوا، لأنهم يرون المنع عطاء من نوع آخر، فصار شُكرهم على الحاليين، وسرهم بالله وحده.

مسألة (345): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الشكر؟
يا مريد، إنَّ بلوغ مقام الشُّكر ليس بالادعاء، ولا بكثرة القول، ولكن بثمراتٍ تظهر على القلب والجوارح، وبنورٍ يُشرق في النفس، وسكينةٍ تملأ القلب. فإذا أردت أن تعرف أين أنت من مقام الشُّكر، فانظر إلى علامات أهل هذا المقام، فهي ميزانٌ لِمَن صدق مع الله.
أولاً: أن تجد قلبك حاضراً مع الله في كل حال، ترى نعمه عليك لا تنقطع، ولو سلبك ما كنت تحب، أيقنت أنَّ في المنع لطفًا، كما في العطاء فضلاً. فإذا كنت ترى البلاء نعمة، والفقد رحمة، وتحمد الله على ما فهمت وما جهلت، فهذا من دلائل الشاكرين.
ثانياً: أن تتحول نعم الله عليك إلى طاعات، فتسخر صحتك في العبادة، ومالك في الصدقة، ووقتكَ في الذكر والعلم، ولسانك في الدعوة إلى الله. فإذا وجدت أنَّ كل ما أعطاك الله به صار وسيلة إلى القرب، فقد دخلت من أبواب الشكر إلى ساحاته.
ثالثاً: أن يقل نظرك إلى النعمة، ويعظم نظرك إلى المنعم، فلا تتعلق

بقلبك بالنعمة، ولا تفرح بها إلا من حيث إنها علامة على لطف الله بك، فإذا زالت النعمة لم يضطرب قلبك، وإذا ثبتت لم تأمن مكر الله، بل كنت بين خوف ورجاء، شاكرًا لله في الحالين.

رابعاً: أن يدوم حمدك لله في السرّاء والضراء، فلا يثنيك بلاءٌ عن الثناء، ولا يشغلك همٌّ عن الحمد، ولا يوقفك عسرٌ عن الطاعة. فإن كنت تحمد الله في الضيق كما تحمده في السعة، فاعلم أنك قد اقتربت من مقام الشكر.

خامساً: أن ترى الخلق من حولك، وتحمل في قلبك رحمة بهم، وتحب أن تصلهم بما وهبك الله، فإنّ المريد إذا بلغ الشكر الحق، أحب أن يكون سبباً في إيصال فضل الله إلى عباده، فيكون سخيّاً بماله، وكريماً بوقته، ورقيقاً في نصحه، كأنما هو ظلُّ رحمةٍ يمشي بين الخلق.

يا مريد، إذا وجدت هذه العلامات فيك، أو بعضها، فاحمد الله، واسأله الثبات، وإن لم تجدها، فلا تيأس، بل جاهد نفسك على دوام الحمد، ودوام الطاعة، ودوام حُسن الظن بالله، فإنّ المداومة باب الوصول، وما دام العبد يحمد، فهو مرجوٌّ أن يُحشر في زمرة الشاكرين.



رسالة [72]: مقام الإخلاص.. سر القرب وصدق السير

يا مريد، اعلم أنّ الإخلاص هو لبُّ السير، وروح العمل، وسرُّ القبول، فلا مقام أعلى منه بعد الإيمان، ولا عمل يُرفع بلا صدق النية فيه. الإخلاص أن تكون أعمالك كلها لله، لا يشوبها رياء، ولا تطلب بها مدحاً ولا ثناء، ولا تنتظر جزاء إلا من وجه ربك الكريم. هو أن تعمل، ولو لم يرك أحد، وأن تبذل، ولو لم يشكرك أحد، وأن تبقى ثابتاً على الخير، ولو نُسييت في أرض الناس.

يا مريد، إنّ الإخلاص مقام لا يُدرك بكثرة الحديث عنه، بل بحال يعيشه القلب، فإن رأيت عملك متقناً في السر كما في العلن، فاحمد الله على نور الإخلاص. وإن وجدت قلبك فرحاً برضا الله دون انتظار لثناء الخلق، فقد نلت منه نصيباً. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁽¹⁾. فلا عبادة تُرفع، ولا ذكر يُسمع، إلا بما وافق هذا الأمر. قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ﴾⁽²⁾. فانظر إلى قلبك، فإن وجدته خالياً من التفاتٍ لغير الله، فقد شملت من عطر الإخلاص نفحة، وإن وجدته مشغولاً بحفظ النفس، فاستغفر، فإنّ الإخلاص جهاد العمر كله.

يا مريد، لست مطالباً بأن تُقسم أنك مخلص، بل أن تطلب من الله أن يجعل عملك له، ثم تفتش في قلبك دائماً، فإنّ الإخلاص مثل الماء الصافي، أقل ما يكدره يظهر عليه. قال بعض العارفين: "الإخلاص أن تستوي أعمالك في الخلوة والجلوة". فهل عملك في السر كعملك في

1 - [البينة: 5]

2 - مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم [2564]، ج4 ص1987.

العلن؟ وهل إذا مدحك الناس أو ذموك، وجدت نفسك على حال واحدة؟ إن كان كذلك، فقد فُتحت لك أبواب الإخلاص.

يا مريد، إنّ علامات الإخلاص كثيرة، وأهمها:

- ألا تنتظر شكراً على عمل، بل ترى النعمة أن وفقك الله له.
- ألا تتوقف عن الخير إن جهل الناس فضلك، أو قَصّروا في تقديرِكَ.
- ألا ترى لنفسك مقاماً على غيرك، بل ترى الفضل كله لله وحده.
- أن تسعد إن نُسب الخير إلى غيرك، كما تسعد إن قيل لك.
- أن تحزن لذنبك، أكثر مما تفرح بطاعتك.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من يظن أنه مخلص لأنه لم يُظهر عمله للناس، لكنه لم يُخلص لأنه أحب أن يُقال عنه "مُخلص". وفيهم من ينتظر القبول من الخلق قبل أن ينتظره من الحق. فكونوا لهم مرشدين، علّموهم أنّ الإخلاص هو أن تكون أعمالهم سرّاً وعلانية سواء، وأن لا يطلبوا إلّا وجه الله تعالى، فإنّ الإخلاص لا يُمنح لمن أراد الدنيا بعمل الآخرة.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الإخلاص مقامٌ صدقي لا يناله إلّا من تجرّد لله، ونسي نفسه، وأراد الله وحده، فإن أخلصوا، جعل الله أعمالهم نوراً في الأرض، ورفعهم إليه في الآخرة.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (346): معنى مقام الإخلاص

مقام الإخلاص هو أن يعمل العبد عمله خالصاً لله تعالى، لا يلتفت فيه إلى مدح الناس أو ذمهم، ولا ينتظر جزاء ولا سُكراً من الخلق، بل يرجو وجه الله وحده. وهو مقامٌ قلَّ من يبلغه إلا من طهر الله قلبه، وصرفه عن حظوظ النفس. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁽¹⁾.

مسألة (347): الفرق بين العمل الصالح والإخلاص

العمل الصالح قد يكون ظاهراً، يراه الناس ويشنون عليه، لكن الإخلاص هو ما يجعل هذا العمل مقبولاً عند الله. فكم من عملٍ عظيمٍ في أعين الناس لا وزن له عند الله، وكم من عملٍ يسيرٍ ارتفع بصاحبه لأنَّه أخلص فيه لله. قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَّا نَوَى﴾⁽²⁾.

مسألة (348): كيف يعرف المرید أنه بلغ مقام الإخلاص؟

يعرف المرید أنه اقترب من مقام الإخلاص إذا استوى عنده مدح الناس وذمهم، وإذا عمل الخير في السر كما يعمل في العلن، وإذا وجد راحته في رضا الله لا في رضا الناس. فإن فرح قلبه بذكر الله أكثر من فرحه بمدح الخلق، فهو على سبيل الإخلاص. وإن وجد في نفسه محاسبة دقيقة على نيته قبل عمله، فذلك علامة الصدق.

مسألة (349): خطر الرياء على السالك

الرياء آفةٌ خطيرةٌ تُفسد العمل، وتذهب بثواب العبد، وتبعده عن

1 - [البينة: 5]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [1]، ج1 ص3..

الله. فهو دائماً خفي يتسلل إلى القلب دون أن يشعر العبد به، ويجعله يعمل من أجل أن يُقال عنه كذا وكذا، لا ابتغاء وجه الله. ولهذا كان السلف يخشونه أشد من الذنوب الظاهرة، وكانوا يقولون: «ما جاهدت نفسي على شيءٍ مثل الإخلاص».

مسألة (350): المجاهدة في تحصيل الإخلاص

الإخلاص لا يأتي دفعة واحدة، بل يحتاج إلى مجاهدةٍ مستمرة، ومراقبةٍ دائمة للنية، وتفقدٍ لحال القلب مع الله. والمريد مطالبٌ بأن يجدد نيته في كل عمل، وأن يسأل الله الإعانة على الإخلاص. وكان بعض العارفين يقول: «الإخلاص سرٌّ بين العبد وربّه، لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبه، ولا عدوّ فيفسده، ولا هوى فيميله».

مسألة (351): الإخلاص سر قبول الأعمال

الإخلاص هو الميزان الذي تُوزن به الأعمال، فإن كان العمل كثيراً بلا إخلاص، فهو هباء، وإن كان العمل قليلاً مع إخلاص، فهو عند الله عظيم. ولهذا قال الإمام علي عليه السلام: «كونوا لأعمالكم من الهَمِّ بالإخلاص أكثر من همكم بالأعمال، فإنّه قد يُتقبل العمل القليل مع الإخلاص».

مسألة (352): الإخلاص والولاية

من أراد أن يكون لله ولياً، فعليه أن يكون مخلصاً، لأن الولاية لا تُنال إلّا لمن صَحّت نيته وخلص قلبه من كل شائبة. ولهذا قيل: «من أخلص لله أربعين صباحاً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». فالإخلاص مفتاح الفتح والولاية، وهو باب القرب إلى الله سبحانه وتعالى.

رسالة [73]: مقام الصدق.. أساس السير وشرط القرب

يا مريد، اعلم أنَّ مقام الصدق هو أساس الطريق، وهو الجسر الذي تعبر عليه الأرواح إلى حضرة الحق. فالصدق ليس مجرد كلام يُقال، بل هو حالٌ يُعاش، وصفةٌ تتجلى في كل لحظةٍ من لحظات السالك. فمن صدق مع الله في طلبه، صدق معه الله في عطائه، ومن كان صادقاً في سيره، بلغه الله منازل القرب، ولو كان ضعيفاً في ظاهر عمله.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾⁽¹⁾. فالصادقون هم رفقة السالكين، وهم أوائل الركب إلى دار القرب، وما سار في ركابهم أحدٌ إلّا وأوصله الله إلى برِّ الأمان.

يا مريد، الصدق هو مطابقة الباطن للظاهر، والقلب للسان، والعمل للنية. فمن قال بلسانه ما ليس في قلبه، فهو من أهل الدعوى، لا من أهل الطريق. ومن عمل عملاً لغير الله، فقد خان صدقه، وإن ظنَّ أنه ماضٍ في السبيل. ولهذا قال النبي ﷺ: ﴿عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا﴾⁽²⁾.

يا مريد، الصدق نورٌ إذا استقر في القلب، كشف الله به كل حجاب، وأظهر به للعبد حقائق الطريق، ورزقه التمييز بين ما لله وما للنفس. فالسالك الصادق لا يرضى إلّا بالحق، ولا يقنع إلّا بالوفاء بالعهد، ولا يسكن إلّا إذا شعر أنه بين يدي الله قائماً، سواء كان بين الناس أو في خلوته .

يا مريد، إنَّ مقام الصدق لا يُنال إلّا بمجاهدةٍ دائمة، وتفقدٍ مستمر

1 - [التوبة: 119]

2 - البخاري، صحيح البخاري، ج5 ص2368.

للنية، ومحاسبة دقيقة للنفس. فمن أراد أن يكون صادقاً، فليبدأ بصدق التوبة، ثم صدق الطلب، ثم صدق العمل، ثم صدق الوفاء، حتى يبلغ مقام الصديقين.

يا مريد، اعلم أنّ الصادق مع الله لا يعبأ بكثرة العمل، بل يطلب صفاء القصد، فإن وجد النية صافية، عمل مهما قلّ العمل، وإذا شعر بتشويشها، وقف حتى ينقي قلبه. ولهذا قال أحد العارفين: «الصدق هو ألا يكون في السر غير ما يكون في العلن، ولا يكون في القلب غير الله».

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين أنّ الصدق ليس مقاماً يتزين به العبد في الأقوال، بل هو حقيقة تجري في الدم والروح، فإن كان صادقاً، لم يرض بالتلون، ولم يبحث عن المديح، بل همه أن يرضى الله عنه، ولو سخط عليه كل من في الأرض.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (353): معنى مقام الصدق

يا مريد، مقام الصدق هو أن يكون ظاهر العبد كباطنه، وسره كعلانيته، وقوله كفعله. وهو أساس السير إلى الله، فلا طريق لمن ليس صادقاً، ولا فتح لقلبٍ اختلط فيه الصدق بالهوى. قال الإمام علي عليه السلام: «الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة». فاجعل الصدق زادك، فإنه مفتاح القبول.

مسألة (354): درجات الصدق في الطريق

يا مريد، اعلم أنّ للصدق درجات، أولها صدق اللسان، ثم صدق النية، ثم صدق العزيمة، ثم صدق الوفاء بالعهد، ثم صدق الحال.

وكلما ترقى السالك، صار صدقه نوراً يجعله صادقاً مع الله في كل لحظة، حتى يصير من الصديقين الذين مدحهم الله بقوله: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾⁽¹⁾.

مسألة (355): كيف يعرف المريد أنه في مقام الصدق؟

يا مريد، اعرف صدقك بمطابقة أعمالك لنياتك، ونياتك لطلب رضا الله. فإن رأيت نفسك تعمل العمل لله لا تطلب به جزاء من أحد، ولا شهرة عند الخلق، فقد صدقت. وإن وجدت قلبك ساكناً عند مدح الناس وذمهم، فأنت على باب الصدق، وإن لم تزد طاعة إلا لأنك تريد القرب من الله، فأنت صادق بإذن الله.

مسألة (356): أثر الصدق على سلوك المريد

يا مريد، الصدق يُثمر الإخلاص، ويورث الهيبة والقبول عند الله والخلق. فمن صدق، استراح من التكلف، وسكنت نفسه، واطمأن قلبه. والصدق يقود إلى مقام اليقين، فإنّ الصادق لا يتلون، ولا يخشى الخلق، بل يمضي في طريقه بثبات، لأنّ الله معه. ولهذا قيل: «الصادق لا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا الله».

مسألة (357): خطورة ادعاء الصدق دون تحقيقه

يا مريد، احذر من أن تدّعي الصدق ولسانك يخالف قلبك، أو تعمل عملاً تطلب به رضا الناس. فإنّ الدعوى بلا حقيقة تردي بصاحبها، وتحرمه فتح الطريق. وقد قال حضرة السلطان محمد المحمد الكسنزان "قدست أسرارهِ المباركة": «الصدق باب الحقيقة، ولا يدخل الحضرة من لم يكن صادقاً في سعيهِ». فتفقّد نيتك، ولا تغتر بنفسك.

مسألة (358): الصدق وعلاقته بمراتب الأولياء

يا مريد، الصّديقون هم أعلى مراتب الأولياء بعد الأنبياء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ﴾⁽¹⁾. فمن أراد المقام الرفيع، فليصدق في قوله وعمله، ولينق قلبه من الرياء وحب الظهور، وليجعل قصده وجه الله وحده.

مسألة (359): الصدق وشفافية القلب

يا مريد، الصدق يورث صفاء في القلب، فتشرق فيه أنوار الفتح، ويتلقى الإلهام من حضرة الغيب. ومن لم يصدق، حُجب قلبه عن أسرار الطريق، وظلّ يتخبط في الظنون. والصدق يمحو الحجب بين العبد وربّه، فإذا صدّق، قَرَّبَ، وإذا قَرَّبَ، عَرَفَ، وإذا عَرَفَ، أَحَبَّ، وإذا أَحَبَّ، فني عمّا سواه.

مسألة (360): وصية للمريدين في مقام الصدق

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين أنّ الصدق ليس صفة يتزين بها العبد أمام الخلق، بل هو أصل العبودية، فلا يثبت في الطريق إلّا الصادقون. وكونوا أنتم قدوة في الصدق، حتى تُصدّقوا في السماء كما صدّقتُم في الأرض، فإنّ الصدق يرفع أهله إلى مقام المحبوبين.



رسالة [74]: في مقام الزهد.. أن تملك ولا تملكك

يا مريد، إنّ الزهد في طريقتنا العلية القادرية الكسنزانية ليس أن تترك الدنيا وتفر منها، بل أن تحملها في يدك ولا تدخلها إلى قلبك. أن تكون مالكا لكل شيء، ولا يملكك شيء. هذا هو الزهد الحق، زهد العارفين، لا زهد المتجردين عن الأسباب.

إنّ الزاهد الحقيقي هو من إذا جاءه المال، لم يفرح به، وإن ذهب عنه، لم يحزن عليه. هو من يرى الدنيا أداة في يد العبد، لا ربا يتسلط على قلبه. قال سيدنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب، باب مدينة علم النبي: «الزهد كله بين كلمتين من القرآن: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾⁽¹⁾، فمن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه».

يا مريد، إنّ الزهد ليس أن تلبس الخشن وتترك الطيب من الرزق، ولكن أن تكون غنياً وليس لمالك سلطاناً على نيتك، ولا جاهك يغيّر إخلاصك، ولا دنياك تلهيك عن ربك. ذلك زهد سلطان العارفين، أن يكون في يده الدنيا ويملكها، ولا تسكن منه في القلب إلا محبة مولاه.

يا مريد، ليس الزهد فقراً ولا حرماناً، بل هو رفعة في نظر النفس إلى الحقيقة، حيث يرى السالك أنّ الدنيا دار عمل لا دار مقام، وأنها مزرعة الآخرة لا مأوى المطمئنين. فإذا جاءت الدنيا، فاعلم أنّ فيها حقاً لله ولعباده، وإن مضت، فاعلم أنّ ما عند الله خير وأبقى.

يا مريد، كم من عبد في الظاهر فقير وهو في الحقيقة مفتون، وكم

من غنيٍّ ظاهراً، لكنه عند الله زاهدٌ صادقٌ، يعمل بماله وينفق مما رزقه الله، ويجعل يده معطاة لا تمسك، وقلبه مرفوعاً إلى مولاه لا يلتفت إلى ما في يده.

قال الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى عَنْ النَّفْسِ﴾⁽¹⁾. فانظر أين قلبك، هل هو غني بالله، أم مشغول بما في أيدي الناس؟!

يا مريد، الزهد مقامٌ لا يُبلغ إلا من عرف الدنيا على حقيقتها، فهي ظلٌّ زائل، وسرابٌ خادع، فلا تغتر بزخرفها، ولكن اعمل فيها بما أمرك الله، تكن من الزاهدين وأنت في قلب الدنيا، واصبر عليها صبر العارفين، تكن من أهل الفتح المبين.

يا خلفاء الطريقة، علّموا المريدين أنّ الزهد ليس هجرًا للدنيا، بل هو استعمالها فيما يرضي الله. ربوا قلوبهم على الفقر إلى الله ولو ملكوا خزائن الأرض، وزينوا أعمالهم بالإنفاق ولو شحت نفوسهم، واغرسوا فيهم أنّ الغنى غنى القلب، وأنّ العبد إن لم يملك نفسه، ملكته شهواته ولو كان صائماً قائماً.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (361): معنى الزهد في طريقتنا العلية القادرية الكسنزانية

الزهد في الكسنزانية ليس ترك المال، ولا اعتزال الدنيا، بل هو سلوك القلب في ألا يعلّق نفسه بشيءٍ من الخلق، ولا يُفتن بمظاهر الحياة. هو أن تملك ولا تُملك، أن تعمل في الدنيا بيدك وقلبك معلق بالحق. كما قال سيدنا ومولانا السلطان محمد المحمد الكسنزان (قدس الله سره): «الزهد الحقيقي أن تمتلك الدنيا، ولا تمتلكك».

1 - البخاري، صحيح البخاري، ج5 ص2368.

مسألة (362): الفرق بين زهد العارفين وزهد العابدين
زهد العابدين في غالب الأحوال يكون زهداً حسيّاً، بترك المال
والزينة والجاه، خشية الوقوع في الفتنة، أمّا زهد العارفين، فهو زهد
الملوك، الذين يعرفون حقيقة الدنيا، فيأخذون منها ما يعينهم على
السير إلى الله، ولا يركنون إليها. زهد العابد تخوّف، وزهد العارف
إدراك ويقين.

مسألة (363): كيف يتعلم المريد الزهد العملي لا النظري
الزهد لا يكون بالكلام ولا بالتنظير، بل بالمجاهدة الدائمة للنفس.
يبدأ المريد بتعويد قلبه ألا يفرح بزيادة المال، ولا يحزن لفقدانه.
يقتصد في الإنفاق، لكن يوسّع يده في الصدقة. يجلس مع الأغنياء
فلا يتمنى ما عندهم، ويجالس الفقراء فيرحمهم ولا يتعالى عليهم.
هذا هو التمرين العملي على الزهد.

مسألة (364): متى يعلم المريد أنه بلغ مقام الزهد
إذا سكن قلب المريد حينما تأتي الدنيا أو حينما تذهب، إذا أصبح
يرى في الغنى والفقير ابتلاء سواء، لا يتغير حاله، ولا يضعف عزمه،
عرف أنه بلغ بداية مقام الزهد. أمّا كماله، فهو أن يُعطيه الله فلا
يُفتن، ويحرمه فلا يتغير قلبه.

مسألة (365): العلاقة بين الزهد والتوكل
الزهد شرط في كمال التوكل، فمن لم يزهد في الدنيا، بقي قلبه
معلقاً بها. الزاهد يثق أن الله هو المعطي المانع، فيتجرد قلبه من
الخوف على رزقه، ويطمئن إلى أن خزائن ربه لا تنفذ، فيطمئن قلبه
ويقوى توكله.

مسألة (366): لماذا كان الإمام علي باب الزهد

الإمام علي عليه السلام كان أعلم الناس بمقام الزهد، لأنه عرف حقيقة الدنيا، فزهد فيها وهو الخليفة والحاكم، يملك الخلافة ولا يملك منها شيئاً في قلبه. لبس الخشن وهو يستطيع لبس الفاخر، وآوى اليتيم وهو قادرٌ أن يُشيد القصور، فصار باب الزهد ومرجعه لكل العارفين.

مسألة (367): أثر الزهد في الدعوة إلى الله

الزاهد هو أكثر الناس تأثيراً في قلوب الخلق، لأنهم يرون فيه القدوة الصادقة، التي لا تطلب دنياهم، ولا ترجو منهم جزاء ولا شكورا. فإذا تكلم دخل كلامه القلب بلا استئذان، وإذا دعا استجاب له الناس لأنه صادق لا يرجو إلا وجه الله.

مسألة (368): عاقبة من لم يزهد في الدنيا

من تعلقت نفسه بالدنيا، فُتِنَ بها، فإن أخذها فُتِنَ بحبها، وإن فقدتها فُتِنَ بالحزن عليها. فهو عبدٌ للدنيا في الحالتين، مقيد القلب، لا يستطيع أن يسير في الطريق إلى الله، لأنَّ حب الدنيا رأس كل خطيئة، كما قالوا. والطريق لا يسير فيه إلا القلوب الحرة من كل قيدٍ سوى محبة الله.



رسالة (75): مقام الورع... حراسة القلب من الشبهات

قبل المحرمات

يا مريد، إذا عرفت أنّ طريق السالكين محفوفٌ بالمخاوف، وقلوبهم بين يدي الله تُفَتَّش وتُتَبَّلَى، عَلِمْتَ أنّ الورع هو أول حارِسٍ على باب قلبك، يمنع عنك ظلمة الغفلة، ويبعدك عن مواطن الزلل. فإنّ الورع ليس ترك الحرام فقط، بل هو اجتناب كل ما يريب القلب، وكل ما يخدش صفاءه، ولو كان مباحاً في ظاهر الشريعة.

يا مريد، إنّ الورع هو سياج التقوى، وهو حفظ النفس من الوقوع فيما يبعدها عن نور القرب، وقد قال النبي ﷺ: ﴿دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ﴾⁽¹⁾. فالورع ألاّ تقف عند الحلال والحرام، بل أن تسأل نفسك: هل هذا مما يقربني إلى الله أم مما يشغلني عنه؟ فإن كان يشغلك عنه، فدعه، ولو كان مباحاً، فإنّ القلوب لا تنال النور إلّا بصفاء الورع.

يا مريد، إنّ أهل الورع لا يأخذون من الدنيا إلّا ما هو زادٌ لهم في الآخرة، ولا يخطون خطوة حتى ينظروا أين موقعها في سُلّم القرب. فمن أكل، سأل: هل هو طيبٌ حلالٌ؟ ومن نطق، سأل: هل هذا الكلام يرضي الله؟ ومن عمل، نظر: هل هذا العمل يُرضي مولاي؟ فإنّ الورع أن تعيش على عين المراقبة، لا على حدود الفتوى فقط، فإنّ الفتوى للناس، وأما الورع فهو مقام أهل الله.

يا مريد، الورع مقام العارفين بالله، وأمّا الزاهد في الدنيا فقد يكون تاركاً للمحرم، ولكن الورع يترك الشبهة خوفاً من أن يتلوث قلبه. روى الحسن البصري (رحمه الله) أنه كان يقول: «ما زال الورعون

1 - الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم [2518]، ج4 ص286.

يَقْلُون حَتَّى صَارُوا غُرَبَاء بَيْن النَّاسِ». فَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ لَمْ يَخَالُطْ قُلُوبَهُمْ إِلَّا النُّورُ، وَلَمْ تَتَعَلَّقْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا بِمَا يَقْرَبُ إِلَى الْحَبِيبِ.

يَا مُرِيدُ، الْوَرَعَ لَيْسَ أَنْ تَحْرِمَ نَفْسَكَ مِنَ الدُّنْيَا، بَلْ أَنْ تَتْرَكَ مِنْهَا مَا يَشْغَلُكَ عَنِ اللَّهِ. وَرُبَّ لَقْمَةٍ حَلَالٍ تُثْقِلُ الْقَلْبَ، وَرُبَّ كَلِمَةٍ مَبَاحَةٍ تَغْلِقُ بَابَ التَّوْفِيقِ. فَكَيْفَ إِذَا اخْتَلَطَ الْحَلَالُ بِالشُّبْهَةِ، وَكَيْفَ إِذَا وَقَعَتِ النَّفْسُ فِيمَا يَشْكُ الْعَبْدُ فِيهِ؟ لِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِزِّهِ﴾⁽¹⁾.

يَا مُرِيدُ، احْفَظْ قَلْبَكَ بِالْوَرَعِ، فَإِنَّهُ جَنَّةُ السَّالِكِ، فَإِذَا زَلَّ قَلْبُكَ فِي شُبْهَةٍ، كَانَ ذَلِكَ بَدَايَةَ الْغَفْلَةِ، ثُمَّ الذَّنْبِ، ثُمَّ الْحِجَابِ، ثُمَّ الْحَرَمَانِ. فَالْوَرَعَ أَنْ تَقِفَ بِبَابِ الْحَلَالِ، وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى بَابِ الْقُرْبِ، فَإِنْ وَجَدْتَ فِيهِ شُبْهَةً أَوْ رِيبةً، فَدَعِهِ، وَلَئِنْ تَتْرَكَ مَا لَكَ فِيهِ شُبْهَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْدُمَ عَلَى مَا لَا يَنْفَعُكَ.

يَا خُلَفَاءَ الطَّرِيقَةِ، عَلِّمُوا الْمُرِيدِينَ أَنَّ الْوَرَعَ لَا يَكُونُ بِالتَّشَدُّدِ عَلَى الْجَوَارِحِ، بَلْ بِرَقَابَةِ الْقُلُوبِ، فَإِذَا صَفَا الْقَلْبُ، اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ، وَإِذَا رَأَى اللَّهُ صَافِيًا، أَعْطَاهُ مِنْ أَنْوَارِ الْقُرْبِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ. وَقُولُوا لَهُمْ: الْوَرَعَ حِفْظٌ لِلْوَقْتِ، وَصَوْنٌ لِلرِّزْقِ، وَحِرَاسَةٌ لِلْهَمَةِ، وَهُوَ مِفْتَاحُ الْفَتْحِ.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



1 - مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم [1599]، ج3 ص1219.

مسألة (369): لماذا يُعد الورع مقاماً في الطريق إلى الله؟

الورع مقامٌ ، لأن من تحقق به صار قلبه حاضراً مع الله على الدوام. وهو ترك لكل ما يُخشى منه أن يبعد العبد عن الحق، ولو كان من المباحات. فمن بلغ الورع، صار حريصاً ألا يدخل قلبه شيء يشغله عن مولاه، فهو مقامٌ لا يثبت فيه إلا أهل المراقبة والخوف من الله.

مسألة (370): الفرق بين الورع والتقوى

التقوى أن تجعل بينك وبين الحرام وقاية، فتجتنب ما نهاك الله عنه وتلتزم بما أمرك به. أما الورع، فهو أن تجعل بينك وبين الشبهة وقاية، فتترك المباح الذي يُخشى أن يؤدي بك إلى الحرام. فالتقوى حفظ للجوارح، والورع حفظ للقلوب من التلوث.

مسألة (371): السر في أن الورع يحفظ القلب من الظلمة

الورع يحفظ القلب من أن يتلخخ بالكدورات، لأنّ الشبهة تُعكّر صفو النفس، والشهوة تُظلم البصيرة، فإذا كان العبد ورِعاً، كان قلبه صافياً للنور الإلهي، فتجلّت فيه الأنوار، ورُزق البصيرة، واطمأن قلبه لذكر الله.

مسألة (372): متى يُقال عن المريد إنه من أهل الورع؟

إذا أصبح المريد يتحرّى في كل أمر من أمور دنياه ودينه، فلا يأكل إلاّ من حلالٍ بيّن، ولا يقول إلاّ صدقاً، ولا يسكن قلبه إلى شبهة، ولا يقدم على أمرٍ إلاّ وقد نظر في عاقبته، وعلم هل هو مما يُقرّبه إلى الله أم لا، حينها يُقال إنه من أهل الورع.

مسألة (373): كيف يكون الورع سبباً للفتح الروحي؟

لأنّ الورع يُنقي النفس من كل تعلّقٍ بغير الله، ويُصفي القلب من

التعلقات الدنيوية، فيُفتح للعبد من الأنوار والعلوم ما لم يخطر له على بال. فمن جاهد نفسه بالورع، رزقه الله الفهم والحكمة، وصار أهلاً للفتح، لأنّ قلبه أصبح وعاءً صالحاً لاستقبال الفيض.

مسألة (374): ما أثر الورع على السلوك اليومي للمريد؟

المريد الورع يعيش في حذرٍ دائم، لا يغتاب أحداً، ولا ينظر إلى ما حرّم الله، ولا يمد يده إلى ما ليس له، يعيش وقوراً، متواضعاً، صادقاً، يأكل من الحلال، ويتجنب مواطن الريبة، فيكون مثلاً للصدق والاستقامة بين الخلق.





الفصل الثاني عشر

الخلفاء والمريدون روابط المحبة وأسرار التربية

رسالة [76]: كيف يُصلح السالك قلبه عند وقوع الخلاف

بين الاخوان؟

يا مريد، إنّ الناس لا يسировن في دربٍ واحدٍ بنفس الخطى، ولا ينظرون إلى الأمور من زاويةٍ واحدة، فلا بد أن يقع بينهم خلافٌ في الفهم، أو تفاوتٌ في الرؤية، أو حتى تقاطعٌ في المصالح. ولكن الخلاف ليس مشكلة في ذاته، بل المشكلة في طريقة التعامل معه، فإن كان القلب نقياً، صار الخلاف سبباً للفهم والتقارب، وإن كان القلب معكراً، صار الخلاف بداية للعداوة والفرقة. قال الله تعالى ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽¹⁾، فدلّ على أنّ النزاع إذا لم يُحسن التعامل معه، كان سبباً في الفشل، وذهاب البركة.

يا مريد، احذر أن يكون قلبك سريع الغضب عند الخلاف، فإنّ الغضب يعمي البصيرة، ويدفع صاحبه إلى تصرفاتٍ يندم عليها بعد زوال الغضب. قال النبي ﷺ لرجلٍ جاءه يطلب الوصية: ﴿لا تغضب﴾⁽²⁾، لأنّه إذا ملك العبد غضبه، ملك قراره، وإذا استسلم له، صار أسيراً لنزواته. فإذا وجدت في نفسك ضيقاً بسبب خلافٍ، فامهل قلبك، فإنّ القلوب لا ترى بوضوحٍ وهي في حالة اضطراب.

يا مريد، إنّ كثيراً من الخلافات ليست حقيقية، ولكنها سوء فهم، أو تأويلٌ خاطئ، أو كلمةٌ خرجت بغير قصدٍ فأثارت جرحاً لم يكن في الحسبان. فاحذر أن تحكم على أخيك بنيةٍ لم يقصدها، أو أن تسيء الظنّ به دون بينة، فإنّ الله أمرنا بالتثبت، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى

1 - [الأنفال: 46]

2 - البخاري، صحيح البخاري، ج5 ص2267.

مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ⁽¹⁾، فمن التسرع أن نحكم على الناس قبل أن نسمع منهم، ومن الظلم أن نحاسبهم على ظنوننا لا على حقيقتهم. يروى أنّ الإمام الشافعي اختلف يوماً مع أحد أصحابه في مسألة علمية، فاشتد بينهما النقاش، حتى قال له صاحبه: «إذن لن نتفق أبداً»، فقال له الشافعي: «أما ألا نتفق، فلا، ولكن أما أن نبقى إخوة، فنعم». فكان يعلم أنّ الخلاف لا يعني القطيعة، وأنّ الرأي قد يختلف، لكن القلوب يجب أن تبقى متصلة بالمودّة.

يا مريد، إذا وقع بينك وبين أخيك خلاف، فابحث أولاً في نفسك، هل غضبت لله، أم غضبت لنفسك؟ فإن كنت قد غضبت لله، فاضبط غضبك حتى لا يخرج عن العدل، وإن كنت قد غضبت لنفسك، فاستغفر الله، فإنّ العاقل لا يجعل الخلاف مدخلاً للكبر أو الانتصار للنفس.

يا مريد، لا تجعل الخلاف سبباً في القطيعة، فإنّ القلوب إذا اعتادت أن تفترق عند أول نزاع، فإنّها لن تجد في الحياة صديقاً. قال رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»⁽²⁾. فالعاقل لا يترك الشيطان يستغل الخلاف ليفسد علاقته بإخوانه، بل يسعى للصلح، ويغلب حسن الظن، ويحفظ قلبه من الضغائن.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من يغضب بسرعة إذا خالفه أحد، وفيهم من يحمل في قلبه الضغينة فلا يصفح، وفيهم من إذا اختلف مع أخيه، قاطعه بدل أن يحاوره. فكونوا لهم مرشدين، علموهم أنّ الخلاف لا ينبغي أن يكون سبباً للفرقة، وأنّ الأصل في الأخوة أن تكون قائمة على الصبر والتفاهم، لا على

1 - [الحجرات: 6]

2 - البخاري، صحيح البخاري، ج5 ص2273.

الانسجام المطلق، فإنّ الناس لا بد أن يختلفوا، ولكن القلوب النقية تعرف كيف تتجاوز الخلاف دون أن تنكسر.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ العتاب إذا زاد عن حده، أصبح تجريحاً، وأن الصمت أحياناً يكون أنفع من الرد، وأن الصلح خيرٌ في كل الأحوال، فإنّ العاقل من يسارع إلى الصفح، ولا يجعل الكبرياء حاجزاً بينه وبين إصلاح ما فسد.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (375): الفرق بين الخلاف والعداوة

الخلاف أمر طبيعي بين المريدين، لأنه اختلاف في الرأي أو الفهم، لكنه لا يفسد المحبة ولا يقطع روابط الأخوة. أمّا العداوة فهي مرض في القلب، تظهر إذا حمل المريد الغلّ على أخيه، وترك الخلاف يتحول إلى بغضاء.

مسألة (376): كيف يعرف المريد أن الخلاف في قلبه لا زال نقياً؟
إذا اختلفت مع أخيك، ثم وجدت في قلبك سلاماً تجاهه، واستطعت أن تدعو له كما تدعو لنفسك، فاعلم أنّ قلبك لا يحمل سوى النقاء. أمّا إن وجدت حرجاً أو تمنيت له النقص، فراجع نفسك.

مسألة (377): ما علامة حسن الظن عند وقوع الخلاف؟
حسن الظن يظهر حين تلتمس لأخيك العذر، وتبحث عن نية طيبة وراء كلامه أو فعله، ولا تُسرّع بالحكم عليه، بل تفتح باب الحوار وتنتظر البيان.

مسألة (378): لماذا النزاع يذهب بركة الطريق؟

لأنَّ الطريق إلى الله يقوم على وحدة القلوب وصفائها، فإذا وقع النزاع ولم يُطفأ، غابت السكينة، وتفرقت الأرواح، وضاعت الهيبة، وذهبت بركة الجماعة، كما قال الله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾⁽¹⁾.

مسألة (379): كيف يعود المريد بعد خلاف إلى صفاء القلب؟

يعود بالتواضع والاعتذار إذا أخطأ، وبإسقاط حق النفس إن كانت المصلحة في تجاوز الخلاف، وبتجديد النية، أن ما يجمعه بأخيه هو الله، لا المصالح، فيصير القربان الصادق إلى الله أن يصلح قلبه مع إخوانه.

مسألة (380): ما أثر الصلح في طريق الله؟

الصلح يعيد للقلب طهارته، ويعيد الجماعة إلى وحدتها، ويجعل البركة تعود، فإنَّ الله يحب العافين عن الناس، ويمدهم بنورٍ يشرح الصدور.

مسألة (381): ما دور الخلفاء في إصلاح الخلاف بين المريدين؟

الخلفاء هم صمّام الأمان عند حدوث النزاعات، يطفئون الفتن، ويجمعون القلوب، ويذكرون الجميع أنَّ الهدف هو الله لا الذات، ويؤكدون أنَّ العفو أعظم من الانتصار للنفس، وأنَّ العدل لا يكتمل إلا برحمة.

مسألة (382): متى يكون الصمت أفضل من الجدل؟

إذا رأيت أنَّ الجدل سيزيد النفوس احتقاناً، وأنَّ الكلام سيُستغل في غير حقه، فالصمت أحياناً حكمة، حتى تهدأ القلوب، ويعود الصفاء.



رسالة [77]: الكلام ميزان القلب.. كيف يتعلم المريد

ضبط لسانه؟

يا مريد، إنّ اللسان ميزان القلب، وما يخرج من فمك هو انعكاس لما في داخلك، فإن كان قلبك عامراً بالحكمة، كان كلامك نوراً، وإن كان قلبك معكراً بالهوى، كان كلامك ظلمة على نفسك وعلى من حولك. فاحذر أن تتكلم بكلمة لا تنزهها، أو أن تطلق قولاً لا تُحسب عواقبه، فإنّ اللسان سهمٌ إن خرج لا يعود، وإن أصاب لا يداوى بسهولة. قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾⁽¹⁾، فكل كلمة تُقال تُكتب، وكل حرف ينطق به العبد يُسجل، فكيف بمن أطلق لسانه بلا وعي؟

يا مريد، إنّ العاقل هو من يزن كلماته، فلا يقول إلا ما ينفع، ولا ينطق إلا بما هو حق، وإن كان الصمت خيراً، اختاره على الكلام الذي قد يجرّ إليه الفتنة. قال ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ﴾⁽²⁾، فإما أن يكون كلامك هداية وذكرى، أو فالصمت خيرٌ لك ولِمَن حولك.

يا مريد، إنّ اللسان إذا لم يُضبط، أصبح مصدراً للمهالك، فكم من كلمة قالت لصاحبها: دعني! وكم من قول أطلقه العبد بلا تفكير، فكان سبباً في قطيعة أو عداوة أو حتى هلاكه في الآخرة. وإنّ الإنسان قد يعمل عملاً صالحاً، لكن لسانه يهدمه، فإذا أراد الله به خيراً، ألهمه الحكمة في النطق.

1 - [ق: 18]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [6110]، ج5 ص2376.

فانظر إلى قولك، فإن كان خيراً، فتكلم به، وإن شككت فيه، فامسك لسانك، فإن الصمت في موضع الشك، نجاة من الندم.

يا مريد، ليست الفضيلة في الصمت المطلق، ولا في الكلام الدائم، ولكنها في أن تعرف متى يكون الصمت حكمة، ومتى يكون السكوت خذلاً. فالصمت عن الباطل خيرٌ، والكلام في موضع الحق واجبٌ، ومن لم يعرف متى ينطق ومتى يسكت، لم يعرف ميزان الحكمة. يُحكى أنَّ رجلاً جاء إلى أحد العارفين، وقال له: «لماذا لا تكثر من الكلام؟»، فقال له العارف: «إذا كان الكلام من فضة، فالصمت من ذهب، ولكن إن كان الصمت جُبناً، فالكلام من نور»، فكان يعلم أنَّ الصمت قد يكون زينة، ولكن ليس في كل الأحوال.

يا مريد، إنَّ بعض الناس يطلقون ألسنتهم في الغيبة، وبعضهم في الجدل العقيم، وبعضهم في لغو الحديث، فاحذر أن تكون مشغولاً بما لا ينفع، فإنَّك إن ملأت وقتك بالكلام الفارغ، ضاعت منك لحظاتٌ كان يمكن أن تكون ذكراً أو عالماً أو تفكراً. قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾⁽¹⁾، فليكن كلامك بناءً، لا هدمًا، ونافعًا، لا فارغًا.

يا خلفاء الطريقة، إنَّ بين أيديكم مريدين، فيهم من يستعجل بالكلام قبل أن يُفكر، ومنهم من يصمت حيث يجب عليه أن ينطق، فكونوا لهم مرشدين، علِّموهم أنَّ الكلام إذا كان موزوناً، كان رفعة لهم، وإذا كان متسرعاً، كان عليهم وبالا. ذكِّروهم أنَّ الكلمة قد تكون سبباً في دخول الجنة، وقد تكون سبباً في الهلاك، فلا يُطلقوا ألسنتهم إلا حيث ينبغي.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الإنسان يُختَبَر بلسانه أكثر مما يُختَبَر بأعماله، فإنّ اللسان يكشف ما في القلب، ومن ملك لسانه، فقد ملك نفسه. علّموهم أنّ الصمت إذا كان خوفاً من قول الباطل، فهو عبادة، وإذا كان الصمت إخفاء للحق، فهو ذنب، فليتعلموا متى يتكلمون، ومتى يسكتون، وليكن كلامهم نابعاً من قلوبٍ سليمة، وألسنةٍ صادقة.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (383): ضبط اللسان مفتاح تزكية النفس

يا مريد، إنّ ضبط اللسان هو أول مدارج تزكية النفس، فمن لم يضبط قوله، لم يضبط قلبه، ومن أطلق لسانه بلا حساب، أطلق قلبه بلا رقابة. فاللسان إذا طهر، طهر القلب، وإن فسدت الكلمة، فسدت السريرة. ولهذا قال بعض العارفين: «من ملك لسانه، ملك قلبه، ومن ملك قلبه، ملك الطريق إلى ربه».

مسألة (384): علامة الحكمة في الكلام

يا مريد، علامة الحكمة في الكلام أن تقول إذا كان في القول منفعة، وتسكت إذا كان في الصمت سلامة. فليس الشأن أن تتكلم كثيراً، بل أن تقول كلاماً فيه نفع، ويؤدي إلى خير. قال الإمام علي عليه السلام: «قيمة الإنسان ما يحسنه، ولسانه ترجمان عقله»، فإذا كان العقل حكيماً، كان اللسان صادقاً معتدلاً.

مسألة (385): أثر الكلام في بناء القلوب أو هدمها

يا مريد، الكلمة تبني قلباً أو تهدمه، وتُقرّب بين الأرواح أو تزرع العداوة. فاجعل لسانك بلسمًا للقلوب، لا سيفاً مسلطاً عليها. وكن ممن يثون

السلام بكلماتهم، لا ممن يثيرون النزاع بها. فإنّ الكلمة الطيبة صدقة، والكلمة الجارحة سهمٌ مسمومٌ يصيب الروح قبل الجسم.

مسألة (386): الصمت عبادة إذا كان وقاية

يا مريد، الصمت إذا كان عن حكمةٍ وورع، فهو عبادةٌ يتقرب بها العبد إلى الله، لأنه يجنب النفس الزلل، ويجنب القلب الشقاق. وقد قيل: «الصمت نور»، لأنّه يحفظ العبد من سوء العواقب. ولكن لا تجعل صمتك خوفاً من قول الحق، بل اجعل قولك في الحق أمانة وصمتك فيما لا نفع فيه حكمة.

مسألة (387): الفرق بين الصمت الجبان والصمت الحليم

يا مريد، ليس كل صمتٍ محموداً، فالصمت الجبان هو صمتٌ عن نصرة الحق، أمّا الصمت الحليم فهو صمتٌ عن رد الجهل، وضبط النفس عن أن تنزلق في جدالٍ لا طائل منه. فتعلّم متى تتكلم فتقيم الحجة، ومتى تسكت فتُغلق باب الفتنة.

مسألة (388): الصمت والكلام كلاهما أمانة

يا مريد، اعلم أنّ الكلام أمانة، كما أنّ الصمت أمانة، ومن ضيع الأمانة في أحدهما، فقد قصّر في حق نفسه. فاجعل لسانك صادقاً، وصمتك حصيفاً، حتى تكون عند الله من الأمناء الذين يحسنون القول والعمل، ولا تزل بهم الألسنة عن مقامات القرب. فالسالك العارف لا يتكلم إلا حيث يُرجى نفعه، ولا يسكت إلا حيث يُخشى ضرره.



رسالة [78]: كيف يكون السالك عوناً لأخيه في

الطريق؟

يا مريد، إنّ الطريق إلى الله طويل، وليس فيه متسعٌ للأناية، فمن ظنّ أنه قادرٌ على السير وحده، دون حاجةٍ إلى أخٍ يساعده، أو رفيقٍ يُذكره، فقد جهل طبيعة النفس، وضعف عن إدراك سنن الله في السلوك. فإنّما المريدون في هذا الدرب كالجسم الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى. قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁽¹⁾، فكما يُؤمر العبد أن يسلك لنفسه طريق الخير، يُؤمر أن يكون عوناً لأخيه فيه، فإنّما القلوب تتعاضد، والأنفس تتكامل، ولا يُضيء النور إلّا إذا كان مشتركاً بين السالكين.

يا مريد، احذر من أن تجعل نفسك محور الطريق، فتتشغل بذاتك عن إخوانك، فإنّ من نظر إلى نفسه فقط، غفل عن حاجات من حوله، ومن لم يكن لإخوانه معيناً، لم يجد من يعينه عند ضعفه. قال النبي ﷺ: ﴿الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا﴾⁽²⁾، فكما أنّ البناء لا يستقيم إلّا إذا اتصلت أجزاؤه، فكذلك طريق الله، لا يستقيم فيه السالك إذا لم يكن مرتبطاً بإخوانه برابط الحب، والعون، والرحمة.

يا مريد، إنّ التعاون ليس مجرد كلماتٍ تقال، أو مظاهر شكلية، بل هو حقيقةٌ تُثبتها المواقف. فإن رأيت أخاك يحتاج إلى كلمة دعم، فلا تبخل بها، وإن وجدت منه ضعفاً، فلا تشمت به، بل خذ بيده،

1 - [المائدة: 2]

2 - صحيح البخاري، مصدر سابق، حديث رقم [467]، ج1 ص182.

صحيح مسلم، مصدر سابق، حديث رقم [2585]، ج8 ص20.

وادفعه إلى الأمام. فإنّ القلوب إذا أُهملت، تراكم عليها الغبار، وإنّ النفوس إذا تُركت وحدها، وقعت فريسة للضعف، ولكن إذا وجدت من ينهض بها، بقيت مضيئة على الدوام.

يا مريد، إذا أردت أن تزن نفسك، فانظر إلى حالك مع إخوانك، هل أنت ممن يعينهم على الخير، أم ممن ينشغل بنفسه دون أن يلتفت إليهم؟ فإنّ من يُعين الناس، يعينه الله، ومن يُيسر على الناس، يُيسر الله عليه، ومن يُحسن إلى إخوانه، يجد أثر ذلك في نفسه ولو بعد حين.

يا مريد، إنّ بعض الناس إذا رأوا غيرهم يسبقهم في الطريق، امتلأت قلوبهم غيرة، ولو أنهم فهموا سرّ التعاون، لفرحوا بأخيهم، وساعدوه ليصل قبلهم، فإنّ الفضل عند الله لا ينقص إذا أُعطي للآخرين، بل يزيد. فاحذر أن تجعل قلبك ضيقاً، لا يرى الخير إلّا لنفسه، فإنّ هذا من علامات النفس المغلقة، التي لم تتعلم كيف تُحب الخير لغيرها كما تُحبه لنفسها.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يتعلم بعد كيف يكون أخاً حقيقياً، وفيهم من يظن أنّ السير في الطريق أمرٌ فردي، فلا يهتم بمن حوله. فكونوا لهم مرشدين، علّموهم أنّ الروح لا تزهر إلّا إذا امتدت جذورها في قلوب الآخرين، وأنّ الطريق لا يُسلك إلّا بجماعةٍ متماسكة، لا بأفرادٍ متفرقين.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ من أراد أن يكون مباركاً، فليكن نافعاً لإخوانه، ومن أراد أن يُبارك الله في خطواته، فليكن يداً تمتد للضعيف، وقلباً يتسع لكل محتاج، ولساناً لا يقول إلّا خيراً. علّموهم أنّ العاقل من يرى نجاح إخوانه امتداداً لنجاحه، لا تهديداً له، ومن يفرح برفعة غيره، يرفعه الله معه.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (389): سرّ القوة في التعاون بين السالكين

يا مريد، إنّ الطريق إلى الله مليءٌ بالمجاهدات، ولا يثبت فيه إلّا من وجد رفيقاً يعينه إذا ضَعُف، ويذكّره إذا نسي. فالقوة في التعاون أن يجد المريد من يسنده حين تعصف به نفسه، ويواسيه حين تشتد عليه الابتلاءات. فمن مشى وحده، تعثر، ومن وجد صحبة صالحة، ثبت وارتقى.

مسألة (390): كيف يحمي السالك قلبه من الغيرة من إخوانه

إنّ القلب إذا لم يُروّض على حب الخير للناس، وقع في آفة الحسد والغيرة. ودواء ذلك أن تدعو لمن سبقك كما تدعو لنفسك، وأن تعلم أنّ عطاء الله واسعٌ، لا ينقص إذا أعطى غيرك، بل يزيد إذا طابت نفسك لفضل إخوانك، فترتقي معهم في القرب إلى الله.

مسألة (391): التعاون عبادة لا عادة

قد يظن البعض أنّ التعاون بين المريدين أمرٌ اجتماعي، أو مجرد عادةٍ حسنة. والحقيقة أنه عبادةٌ يتقرب بها العبد إلى ربه، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾⁽¹⁾. فكل يد تمتد بالعون، وكل كلمة تشجيع صادقة، وكل وقت يُبذل لنصح أخ، هو عبادةٌ مكتوبةٌ في ميزان العبد.

مسألة (392): الفضل في أن تصل بقلبك

ليس السبق في الطريق إلى الله بمن يصل أولاً، بل بمن يحمل قلباً سليماً، محباً لإخوانه، مسروراً بفضلهم. فمن سبق وحده بلا محبة،

لم يجد عند الله إلّا ما أضر، ومن أحب أن يسبق مع إخوانه،
حملهم فرفعه الله برحمته.

مسألة (393): المحبة بين المريدين سر بقاء الجماعة

إنّ الجماعة التي يجمعها الحب في الله لا تفرّقها العواصف، ولا
تضعفها الفتن. ومن جعل همّه نفع إخوانه، رزقه الله البركة في وقته
وعلمه وعمله. فإن أردت أن تثبت في الطريق، فاجعل محبتك
لإخوانك خالصة، واصبر على أذاهم، وأحب لهم ما تحب لنفسك،
فإنها سُنّة العارفين بالله.



رسالة [79]: آفة الانتقاد بين المريدين.. كيف يحفظ

السالك لسانه من الطعن في إخوانه؟

يا مرید، إنّ الطريق إلى الله ليس طريق البحث عن الأخطاء، ولا ميداناً للتفتيش في عيوب الآخرين، ولكنه مسارٌ يُطلب فيه الصفاء، ويُجْتَهد فيه في تزكية النفس، فما بال كثيرٍ من المريدين قد تركوا أنفسهم، وانشغلوا بالحكم على غيرهم؟ ترى الواحد منهم ينظر إلى إخوانه بعين الفاحص، فلا يكاد يرى فيهم إلاّ النقص، ولا يذكر عنهم إلاّ العيوب، كأنما كُلف بمحاسبتهم، ونُزعت عنه فريضة محاسبة نفسه! قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾⁽¹⁾، فكيف يجروا العبد على احتقار غيره، وهو لا يعلم أيهم أقرب إلى الله؟

يا مرید، إنّ الانتقاد المستمر يُميت القلب، فمن راقب الناس نسي نفسه، ومن انشغل بعيوب غيره، غفل عن تزكية ذاته. فمن كان دأبه أن يرى السوء في الناس، فليراجع قلبه، فإنه إن كان سليماً، رأى الخير قبل الشر، وإن كان مريضاً، لم ير إلاّ ما وافق ظنونه. قال النبي ﷺ: ﴿يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ الْقَدَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِدْعَ فِي عَيْنِهِ﴾⁽²⁾، فالعاقل ينشغل بما في نفسه قبل أن يتفرغ للحديث عن الآخرين.

يا مرید، إياك أن تظن أن كثرة الحديث عن أخطاء الناس علامة علم أو بصيرة، فقد يكون العكس هو الصحيح، فإن من شغلته العيوب

1 - [الحجرات: 11]

2 - ابن المبارك، الزهد والرقائق، تحقيق: حبيب الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،

1419 هـ، ص70.

عن رؤية الخير، فإنّما يعكس ما في داخله لا ما في الواقع. يُحكى أنّ أحد العارفين سُئل: «كيف ترى الناس؟» فقال: «إن كنتُ بخيرٍ، رأيَتهم بخير، وإن كنتُ مشوشاً، رأيَتهم عيباً فوق عيب». فهكذا حال القلب، إذا صفا، رأى النور في كل مكان، وإذا تكدّر، لم يرَ إلّا الظلام. يا مريد، إنّ النّقد إذا خرج عن حدّه، صار باباً للكبر، فإنّ العبد قد ينتقد غيره لا لحرصه عليه، ولكن ليُشعر نفسه بالتفوق، وكأنّه يقول بلسان الحال: "أنا خيرٌ منه"، وهذا هو داء إبليس الذي أهلكه، حين قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾⁽¹⁾، فمن انتقد الناس بنية التعالي، فقد وقع في البلاء الأكبر.

يا مريد، إذا رأيَيت عيباً في أخيك، فلا تتسرع إلى كشفه أمام الناس، ولا تجعل لسانك سيفاً مسلواً عليه، بل اسلك طريق الناصحين الصادقين، الذين لا يريدون فضيحة، ولا يشمتون بزلات غيرهم. قال النبي ﷺ: ﴿مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾⁽²⁾، فكيف بمن كشف أخاه، وجعل من عيوبه حديث المجالس؟!

يا مريد، إنّ بعض المريدين إذا رأى غيره يقع في خطأ، لم يسارع إلى نصيحته، وإنما وجد في ذلك فرصة للكلام عنه، فيزيد الطين بلة، ويجعل الضعف ضعفاً مضاعفاً، وكأنّما مهمته ليست إصلاح أخيه، بل التشهير به. فاحذر من أن تكون ممن يفرحون بعثرات الناس، ولا تكن من الذين يتحدثون عن العيوب بدل أن يعالجونها.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يتعلم بعد كيف يكون ناصحاً أميناً، وفيهم من يخلط بين النقد البناء والانتقاد

1 - [ص: 76]

2 - ابن ماجه، سنن ابن ماجه، حديث رقم [2544]، ج2 ص850.

الذي يهدم القلوب، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ الكلمة قد تكون دواءً أو داء، وأن النصيحة إذا لم تُعطَ بحكمة، فقد تُغلق القلب بدل أن تُصلحه، وأنّ من كان قلبه نقياً، كان لسانه رحمة، لا سيفاً مسلطاً.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الطريق إلى الله لا يقوم على تحطيم بعضهم لبعض، ولا على رفع أنفسهم بانتقاد إخوانهم، بل يقوم على التكامل، والتزكية، والتعاون على البر والتقوى. علّموهم أنّ العاقل هو من يُصلح نفسه، ثم يُعين غيره، لا من يجعل أخطاء غيره سلماً ليرتفع عليه.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (394): ما علاقة ستر الإخوان بنقاء القلب ؟

إذا رأيت قلبك يميل إلى ستر إخوانك لا فضحهم، ويميل إلى نصحهم لا انتقادهم، ويشفق عليهم إذا أخطأوا بدل أن يشمت بهم، فاعلم أنّ قلبك بدأ يصحو في طريق النقاء، وإن وجدت نفسك تفرح بعثرة غيرك، أو تأنس بكشف زلاتهم، فاعلم أنّ في قلبك مرضاً يحتاج إلى علاج التزكية والمجاهدة.

مسألة (395): الحذر من الكبر الخفي

قد يظن العبد أنّه ناصح أمين، وهو في الحقيقة يتكلم بدافع العجب بنفسه، فيرى أنّه أفضل من غيره، فيوقعه ذلك في داء الكبر الخفي. فمن علامات هذا المرض أنّ العبد لا يتألم إذا وقع أخوه في الخطأ، بل يجد في نفسه ارتياحاً، وكأن زلة غيره ترفعه، وهذه آفة خطيرة لا ينجو منها إلّا من رحم الله.

مسألة (396): ميزان النقد في قلب السالك

النقد الذي يريده الله من عباده هو النقد الذي يصدر عن قلب مشفق، وعن نية الإصلاح، لا عن رغبة في التشهير أو إثبات النفس. فإذا أردت أن تتنقد، فاسأل نفسك: هل أريد وجه الله بهذه الكلمة؟ هل أنا صادق في حبي لأخي، أم أبحث عن عيبٍ يريح نفسي الأمانة بالسوء؟

مسألة (397): أثر ستر العيوب في تطهير النفس

من تعود ستر عيوب الناس، ستر الله عيبه، ومن تتبّع عورات الناس، فضحه الله. فكلما نظرت إلى نقص غيرك، فتذكر نقصك، وكلما رأيت زلة أخيك، فاذكر زلاتك، تكن أقرب إلى الرحمة، وأبعد عن القسوة.

مسألة (398): التعاون في التزكية لا الهدم

السالك في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية ليس غريباً عن إخوانه، بل هو قطعة منهم، فإن وجد فيهم ضعفاً، ستره، وإن وجد فيهم حاجة، أعانهم، وإن رأى منهم زلة، دعا لهم، وأرشدهم بلطف، فلا يفرح بفشلهم، بل يسأل الله لهم الثبات، لأنّه يعلم أنّ الطريق لا يقوم إلا على تعاون الأرواح وسلامة القلوب.



رسالة [80]: آفة التساهل في الوعود واخلاف العهود

يا مريد، إنّ الكلمة التي تخرج من فمك ليست مجرد صوتٍ عابر، بل هي أمانةٌ تشهد عليك يوم القيامة، فإن وعدت، فقد التزمت، وإن عاهدت، فقد وجب عليك الوفاء، وإن أعطيت كلمة لأخيك، فقد أصبحت مسؤولاً عنها أمام الله. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾⁽¹⁾. فليس المؤمن من يعد ثم يخلف، وليس الصادق من يطمئن الناس بكلامه ثم يخذلهم بأفعاله.

يا مريد، إنّ كثيرا من الناس يستهينون بالوعد، فيتكلمون بلا تفكير، ويعطون العهود دون إدراكٍ لثقلها، ثم يتراجعون أو ينسون، كأنما لم يكن الأمر إلّا كلماتٍ عابرة. ولكن اعلم أنّ الكلمة التي تُقال، إذا لم يُوفَّ بها، تصبح ديناً في رقبة صاحبها، يُسأل عنها يوم القيامة. قال النبي ﷺ: ﴿آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ﴾⁽²⁾، فالمسلم الصادق هو من يزن كلماته، فلا يقول إلّا ما يستطيع الوفاء به، ولا يعد إلّا بما يقدر عليه، فإنّ العبد يُعرف بصدقه، لا بكثرة كلامه.

يا مريد، إياك أن تعتاد التسويف، فإنّ من بدأ بالتأجيل، انتهى إلى الكذب. فإن وعدت أخاك بأمرٍ فلا تؤجله حتى ينساه، ولا تتهرب منه إذا حان وقته، فإنّ هذا من علامات ضعف النفس، ومن دلائل القلب غير المستقيم. يُروى أنّ أحد العارفين سُئل: «ما علامة الصادق؟» فقال: «أن يكون وعده كالعهد، وكلمته كالوثيقة، إن قال، فعل، وإن لم يستطع، اعتذر ولم يبرر».

1 - [المائدة: 1]

2 - البخاري، شرح صحيح البخاري، حديث رقم [33]، ج1 ص21.

يا مريد، إنّ إخلاف العهد ليس مجرد خللٍ في السلوك، بل هو مرضٌ يُضعف ثقة الناس بك، ويُفسد قلوبهم عليك. فإن كنت ممن يُكثر الوعود، ثم لا يفي بها، فسيأتي يومٌ لا يُؤخذ لك قولٌ على محمل الجد، وتصبح كلماتك كهواءٍ لا وزن له. فلا تكن من الذين يملؤون المجالس بالوعود، ثم يختفون عند وقت التنفيذ، فإنهم سرعان ما يسقطون من أعين الناس، ويفقدون هيبتهم واحترامهم دون أن يشعروا.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من يُكثر الوعد دون إدراكٍ لمسؤوليته، وفيهم من يُهمّل العهود وكأنّها لا وزن لها، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ الرجل يُعرف بوفائه، وأنّ الصادق لا يُكثر الكلام، بل يُثبت صدقه بفعله، وأنّ العهد دينٌ لا يُستهان به، فإنّ الوعد الذي لا يُنفذ يُصبح كذبة مؤجلة.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ حفظ الكلمة هو حفظُ لكرامتهم، وأنّ الإنسان إن لم يكن موثقاً في قوله، فقد فقد كثيراً من قيمته. علّموهم أنّ لا ينطقوا إلّا بما يستطيعون، وأن لا يعدوا إلّا بما يقدرون عليه، فإنّ العاقل هو من يحاسب نفسه قبل أن يحاسب.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (399): إخلاف الوعد يُذهب نور الطريق

يا مريد، إنّ السالك الذي يعتاد الوعد والإخلاف، يُظلم قلبه شيئاً فشيئاً، حتى يُغلق عنه باب الفتوح، فإنّ نور الطريق مبنيٌّ على الصدق، والصدق أساسه الوفاء بالوعد. قال العارفون: لا يُثبت العبد في الطريق حتى يصير وعده ديناً، فإذا وعد، لم يرتح حتى يقضيه. فمن كان في وعده متهاوناً، لم يُثبت له قدمٌ في السير.

مسألة (400): الوفاء بالوعد مقياس الرجولة الروحية

يا مريد، إنّ الرجل في طريق الله لا يُعرف بكثرة عبادته فقط، بل بقدر وفائه بما يقول. فمن كان وعده خفيفاً عليه، كان مقامه خفيفاً عند الناس وعند الحق سبحانه، ومن جعل كلمته أثقل من الجبال، رفعه الله، وجعل له وزناً في القلوب. وإنّ أئمة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، إنّما وصلوا لمقاماتهم لأنهم كانوا رجالاً إذا وعدوا، صدقوا، وإذا قالوا، وفوا.

مسألة (401): الفرق بين العذر والتهرب عند المريد

يا مريد، قد يعجز الإنسان عن الوفاء بوعده، وهذا لا يقدر فيه، إن هو أسرع إلى الاعتذار، وبَيّن الحال بصدق، أمّا إن تهرّب وراوغ وأخفى، فقد كذب. فالفرق بين الصادق والعاجز هو صدق البيان عند العذر، لا التستر والتجاهل. فاعلم مقامك، واعتذر بأدب إن لم تستطع، يكن لك في الصدق سترٌ ورحمة.

مسألة (402): ترك العهود يضعف ثقة الإخوان

يا مريد، إنّ الطريقة جماعةٌ متألّفة، لا تقوم إلّا على ثقة القلوب بعضها ببعض، فإذا صار المريد يخلف الوعد، ضَعُفَ حبل المودة، وسقطت الهيبة من عينه وعين إخوانه. وإنّ الخلاف والفرقة ما دخلت على أهل الطريق إلّا من هذا الباب، فاحذر أن تكون سبباً في ضعف الجماعة بإخلافك العهد.

مسألة (403): مقام الوفاء في الطريق العلية القادرية الكسنزانية

يا مريد، لقد بيّن أئمة طريقتنا، أنّ الوفاء بالعهد من شروط الرجولة في الطريق، ومن علامات أهل السلوك المحققين. فإنّ التهاون بالوعد لا يليق بمن يطلب القرب، ولا بمن يرجو نظر حضرة الشيخ، فالوفاء بالعهد مقامٌ، لا يناله إلّا من صدّق مع الله والخلق. فاجعل

كلمتك أمانة، وعهدك ديناً، وسرك طاهراً، تكن من أهل الصدق في
الطريقة.

اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ خُلَفَاءَنَا وَمُرِيْدِيْنَا، رِجَالًا وَنِسَاءً، مِنْ الصّٰدِقِيْنَ
فِيْ اَقْوَالِهِمْ، اَلْمُوْفِيْنَ بِعُهُودِهِمْ، وَلَا تَجْعَلْهُمْ مِّمَّنْ يُهْمِلُوْنَ اَمَانَةَ
اَلْكَلِمَةِ، وَلَا مِمَّنْ يُعْطُوْنَ اَلْعُهُودَ وَهُمْ لَا يَنْوُوْنَ اَلْوَفَاءَ بِهَا،
وَاهْدِهِمْ اِلَى الْحَقِّ فِيْ كُلِّ مَا يَقُوْلُوْنَ وَيَفْعَلُوْنَ، بِرَحْمَتِكَ يَا
اَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

رسالة [81]: آفة سوء الظن بين المريدين

يا مريد، إنّ القلب إذا امتلأ بالظنون، ضاقت عليه الدنيا، وضاق عليه الطريق، فصار يرى الشر حيث لا شر، ويرى العداوة حيث لا عدو، ويشعر بالغدر ممن لم يغدر به، فكيف يصفو مثل هذا القلب؟

إنّ من أخطر الآفات التي تصيب أهل السلوك أن يسكن سوء الظن بينهم، فتفسد روابطهم، ويتفرق جمعهم، ويغدو كل واحد منهم حارساً على عيوب غيره، بدل أن يكون حارساً على نقاء نفسه. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾⁽¹⁾، فدلّ على أنّ سوء الظن ليس مجرد خطأ في التفكير، بل هو إثم يفسد على العبد دينه ودنياه.

يا مريد، إنّ الأصل في الطريق إلى الله أن تُبنى القلوب على حسن الظن، فإنّما الأعمال بالنيات، فمن اعتاد أن يظن بإخوانه خيراً، وجد الخير، ومن اعتاد أن يظن بهم سوءاً، لم يرَ منهم إلّا ما يتخيله في ذهنه. فاحذر أن تكون ممن يسيئون الظن ثم يجعلون من وساوسهم حقائق، فيبنون عليها أحكاماً، ثم يعاملون الناس بناء على هذه الأوهام، فيفسد عليهم الطريق، وتضيق عليهم أخوتهم، ويصبحون غرباء بين أهلهم.

يا مريد، الفرق بين الحذر المشروع وسوء الظن كبير، فاحذر أن تكون يقظاً فلا يخدعك أحد، ولكن دون أن تتهم أحداً بغير دليل. أما سوء الظن فهو أن تظن الشر بمن حولك بلا سبب واضح، ثم تتصرف بناء على ذلك، فتبتعد عمّن كان محباً لك، وتُعادي من كان ناصحاً لك، وتخسر من كان يمكن أن يكون لك عوناً في الطريق. فإن

1 - [الحجرات: 12]

كان الحذر درعاً يحفظك، فإنّ سوء الظن قيدٌ يمنعك من المضي قدماً، ويحبسك في دائرةٍ من القلق والتوجس.

يا مريد، إنّ سوء الظن يُحوّل الصداقات إلى عداوات، ويجعل المحبة ريبة، والهدوء مؤامرة، والنية الحسنة خديعة. فاحذر أن تكون ممن يُفسدون علاقاتهم بأوهامٍ لا أصل لها، فإنّ المرء إن لم يتعلم كيف يُحسن الظن، عاش وحيداً، حتى وهو بين الناس، فإنّ سوء الظن يجعل صاحبه في عزلةٍ نفسية، وإن كان بين إخوانه.

يا مريد، إنّ القلب إذا تّعود على الظنون، لم يعد يرى الصفاء، فكل كلمة تُقال له، يُحمّلها أكثر مما تحتمل، وكل موقف يحدث، يُفسره على أسوأ وجهٍ ممكن. فإن كنت ممن يتشككون في كل شيء، فتوقف لحظة واسأل نفسك: هل هذا سوء ظنٌ حقيقي، أم أنّه وهمٌ زرعه الشيطان؟ فإنّ القلوب التي تتعلق بالأوهام، لا ترى الحقائق بصفائها، بل تراها مشوهة كما يعكسها ظنّها السيئ.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يتعلم بعد كيف يُحسن الظن، وفيهم من يسارع إلى تفسير كل حدثٍ تفسيراً سلبياً، فينفر من إخوانه، دون أن يكون لذلك سببٌ واضح. فكونوا لهم مرشدين، علّموهم أنّ القلب إذا لم يكن نقيّاً، لم يكن صالحاً للسير في الطريق، وأنّ سوء الظن لا يعكس حقيقة الناس، بل يعكس ضعف الثقة، واضطراب النفس.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الصفاء لا يكون في صلاةٍ أو ذكرٍ فقط، بل هو أولاً في حسن الظن بالناس، وفي البحث عن الخير بدلاً من الشر، فإنّ الذي يتوقع الشر، يجده، والذي يتوقع الخير، يجده أيضاً. علّموهم أن لا يتسرعوا في اتهام غيرهم، ولا يبنوا أحكامهم على شائعاتٍ أو تحليلاتٍ نفسيةٍ خاطئة، بل على حقائق

واضحة، فإنّ العاقل لا يحكم حتى يتبين، ولا يظن حتى يرى الدليل.
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (404): الفرق بين الحذر وسوء الظن

يا مريد، الحذر هو نورٌ بصيرةٍ يجعلك واعياً يقظاً دون أن تسيء الظن بأحد، تحفظ به نفسك ولا تظلم به غيرك. أمّا سوء الظن، فهو ظلمةٌ في القلب تجعلك تتخيل الشر دون دليل، وتبني عليه حكماً يُفسد العلاقات. فالحذر يدفعك للتبين، وسوء الظن يدفعك للاتهام. قال الله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾⁽¹⁾، فتبين حتى لا تظلم، ولا تتعجل بالحكم.

مسألة (405): ما أثر سوء الظن على المودة ؟

يا مريد، إذا سكن سوء الظن في القلب، انقطعت المودة بينك وبين اخوتك، وضاعت روح الجماعة. فإن ظننت بأخيك شراً بغير بينة، أعرضت عنه، ونزعت من قلبك الرحمة التي أمرنا بها. وبهذا تضيق الدائرة من حولك حتى لا يبقى إلّا وحدتك ووساوسك. فمن أراد أن يحافظ على محبة إخوانه، فليظهر قلبه من هذا الداء.

مسألة (406): سوء الظن من مداخل الشيطان

يا مريد، إنّ الشيطان يدخل على السالك من باب الوسواس والظنون، فيوهمه أنّ الناس له أعداء، وأنهم يتآمرون عليه، فيوقع بين الإخوان العداوة والبغضاء. فإذا سمعت وسوسة تسيء بها الظن بأخيك، فاستعذ بالله، وقل: "رب اغفر لي ولإخواني". فإنّ من ترك وساوس الظن عاش آمن القلب، موصولاً بإخوانه في النور.

مسألة (407): من حسن ظنه بالناس، حسن الناس به الظن

يا مريد، كما تعامل الناس يعاملك الله. فمن نظر إلى إخوانه بعين الرضا، نظروا إليه بعين الصفاء، ومن ملأ قلبه ظنوناً، عامله الناس بمثلها. فاجعل نيتك طاهرة، ولسانك ذاكراً للخير، فإن صدقت في حسن ظنك، أورثك الله نور البصيرة، وقرب إليك القلوب.

مسألة (408): حُسن الظن يربي القلب على التسليم

يا مريد، إذا أحسنت الظن بإخوانك، تعود قلبك حسن الظن بربك، وإذا أسأت الظن بالناس، وقع في قلبك سوء الظن بالله، تعالى الله عن ذلك. فكما تحب أن يغفر الله لك، فاغفر لإخوانك، وكما تريد أن يفتح الله عليك أبواب رحمته، فافتح لإخوانك باب حُسن الظن، ففيه تزكيةٌ للنفس وتطهيرٌ للقلب.

مسألة (409): حُسن الظن لا يلغي النصح والمحاسبة

يا مريد، حُسن الظن لا يعني أن تُهمل نصيحة أخيك أو تغفل عن أمره بالمعروف، ولكن يعني أن تنصحه بقلبٍ نقي، وقصدٍ صالح، وتظن به الخير وإن وقع في زلةٍ أو خطأ. فإنَّ النصيحة التي تأتي من قلبٍ صادقٍ محبٍ تفتح القلوب، أمَّا النصيحة التي تُبنى على سوء الظن، فلا تزيد إلا العداوة.



رسالة [82]: كيف يحفظ السالك قلبه من الكبر؟

يا مريد، إنّ الكبر داءٌ خفيٌّ يُفسد القلب دون أن يشعر صاحبه، وإنّ أخطر ما فيه أنه يتسلل إلى النفس تحت غطاء الطاعة والعلم والعمل الصالح، فيظن العبد أنّه قد سبق غيره، فيُعجب بعبادته، أو بعلمه، أو بمكاته بين الناس، حتى يرى نفسه فوق إخوانه، وكأنّه في مرتبة أعلى من غيره. قال الله تعالى ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾⁽¹⁾، فانظر كيف جعل الله الكبر علامة على المختال الفخور، وجعل بغضه له دلالة على سوء عاقبته.

يا مريد، إنّ التواضع ليس أن تتحدث عنه، بل أن تحياه، فإنك قد تقول للناس: "أنا عبدٌ لله، ولا فضل لي"، ولكن إن جئت في موقف اختبارٍ وجدت في نفسك ميلاً لأن تكون مقدّماً على غيرك، أو رغبة في أن يُثني الناس عليك، أو إحساساً بأنك تستحق التكريم أكثر من غيرك. فإن وجدت في قلبك شيئاً من ذلك، فاعلم أنّ الكبر قد أصابك وإن لم تشعر. قال النبي ﷺ: ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ﴾⁽²⁾. فانظر كيف أنّ ذرة واحدة من الكبر قد تحجب العبد عن الجنة، فكيف بمن حمل منه جبلاً؟

يا مريد، احذر أن يكون تواضعك مصطنعاً، فإنّ التواضع المزيّف أشد خطراً من الكبر الظاهر، فإنّ من تكلف التواضع أمام الناس، ثم شعر في قلبه أنه أفضل منهم، فقد جمع بين الكبر والنفاق. فإن كنت تريد أن تعرف صدق تواضعك، فانظر إلى نفسك حين تكون

1 - [لقمان: 18]

2 - مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم [91]، ج1 ص93.

بين الناس وحين تكون وحدك، فإن كان قلبك يستوي، ولم تشعر أنك أعلى من أحدٍ، فاعلم أنك قد سلكت طريق الصدق.

يا مريد، اعلم أن الكبر لا يكون في المال فقط، بل قد يكون في العلم، وقد يكون في الزهد، وقد يكون في العبادة، فإن رأيت نفسك تستصغر غيرك، أو رأيت أنك قد وصلت إلى مقام أعلى منهم، فاعلم أنك قد وقعت فيما وقع فيه إبليس، فإنه لم يكن من أهل المعاصي، ولكنه رأى نفسه خيراً من آدم، فكان ذلك سبب هلاكه.

يا مريد، لا تقل "أنا متواضع"، بل دع تواضعك يشهد لك، فإن التواضع لا يكون بالكلام، بل في القلب، فإن كنت تحب أن تكون خادماً لإخوانك، وتفرح إذا سبقك أحدٌ إلى الخير، ولا تحزن إذا لم يكن لك مكانٌ في المقدمة، فاعلم أنك على خير. أما إن كنت لا تُحب إلا أن تكون في الصدارة، أو تنتظر الثناء على أعمالك، فاعلم أن نفسك لا تزال تحتاج إلى تهذيب.

يا خلفاء الطريقة، إن بين أيديكم مريدين، فيهم من يطلب العلم، وفيهم من يسلك في الطاعة، وفيهم من يجتهد في العبادة، ولكن فيهم أيضاً من لم يدرك بعد أن الكبر قد يُصيب أهل الطريق كما يُصيب أهل الدنيا، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أن التواضع هو تاج العارفين، وأنه لا رفعة في الطريق إلا لمن لم يرَ لنفسه رفعة، فإن أعظم الناس عند الله، هو من لا يرى في نفسه فضلاً، ويرى كل ما عنده من الله.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أن من ظن أنه قد ارتفع، فقد سقط، ومن شعر أنه قد وصل، فقد ضل، وأن الطريق إلى الله لا يُقطع بالكبر، بل بالانكسار لله، والرحمة للخلق، فإن من رفع نفسه، وضعه الله، ومن تواضع لله، رفعه الله.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.

مسألة (410): كيف يعرف المريد أنه متواضع؟

يا مريد، إنّ علامة التواضع الصادق ألا يجد العبد في قلبه فرقاً بينه وبين غيره، ولا يفرح إذا مُدح، ولا يغتم إذا ذُم، لأنّ قلبه متعلّق برضا الله لا برضا الناس. فإن كنت ترى نفسك في منزلة الخادم لإخوانك، تسعى في خدمتهم ولو سبقوك، وتفرح بسبقهم كما لو كان لك، فأنت على طريق التواضع.

مسألة (411): التواضع لا يناقض الكرامة

يا مريد، إنّ التواضع لا يعني أن تذلل نفسك للناس ولا أن تهين كرامتك، بل هو أن تعرف قدرك عبداً بين يدي الله، فلا ترى لك فضلاً إلاّ بما أكرمك الله به. فالعارف بالله يتواضع لله، ولكنه لا يسمح لنفسه أن تُهان، لأنه يعلم أنه مكرّم بكرامة العبودية لله.

مسألة (412): مقام التواضع مقام الأنبياء والأولياء

يا مريد، تذكر أنّ التواضع كان خُلق الأنبياء عليهم السلام، فمن أراد أن يسلك طريقهم، فليلبس جلباب التواضع، فإنّ الله يحب المتواضعين.



رسالة [83]: كيف يكون المريد أخاً حقيقياً لإخوانه؟

يا مريد، إنَّك لم تُخلَق لتسير وحدك، وإنَّ الطريق إلى الله ليس مساراً فردياً، بل هو سفينة تحتاج إلى رفاقٍ صالحين، يحملون عنك حين تثقل خطاك، ويدفعونك للأمام حين تتباطأ، ويرشدونك إن ضللت الطريق. قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾⁽¹⁾ فإن كان الله يأمر نبيه بصحبة الأخيار، فكيف يستغني عنها من هو دونه؟

يا مريد، لا تختَر صحبتك بعاطفةٍ عابرةٍ، فإنَّ الصحبة ليست مجرد جلساتٍ، ولا كلماتٍ متبادلةٍ، بل هي رباطٌ قد يكون نعمة ترفعك، أو بلاء يُعيقك. فإن أردت أن تعرف إن كنت في صحبةٍ صالحةٍ، فانظر: هل تدفعك إلى الخير؟ هل تعينك على الصبر؟ هل تُذكرك بالله حين تغفل؟ فإن كانت كذلك، فتمسك بها، وإن لم تكن، فاحذر، فإنَّ المرء على دين خليله.

يا مريد، الصحبة الحقيقية ليست في كثرة المجالس، ولا في الأحاديث الطويلة، ولكنها في القلوب التي تلتقي على النقاء، في النصيح الذي يُقال برفق، وفي العون الذي يُقدم بلا منّة. فإن أردت أن تكون أخاً صادقاً لإخوانك، فلا تجعل مودتك مشروطةً بالمواقف، ولا تنتظر منهم الكمال، فإنَّهم بشرٌ مثلك، يُخطئون كما تُخطئ، ويضعفون كما تضعف، وإن كنت تنتظر صحبة بلا عيب، فقد طلبت المحال.

يا مريد، احذر من أن تتحول الصحبة إلى ميدانٍ للتنافس المذموم، أو ساحةٍ للمقارنات التي تُفسد القلوب. فإنَّ بعض المريدين قد يُصابون بآفاتٍ خفية، كأن يغار أحدهم من فضل أخيه، أو يُقارن نفسه به فيحزن إن وجده متقدماً. فإن كنت صادقاً في محبتك لإخوانك، فافرح لهم كما تفرح لنفسك، وادعُ لهم كما تدعو لنفسك،

فَإِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا اِمْتَلَأَتْ بِالْحَسَدِ، انطفأ نورها، وإن امتلأت بالمحبة، أشرقت وزادت بركتها.

يا مريد، إِنَّ النصيحة في الصحبة حقٌّ، ولكن بين النصيح والتدخل شعرةٌ لا يدركها إِلَّا الحكيم. فالنصيحة تُقال برفقٍ، وتُقدّم بحب، فإن رأيت أخاك على خطأ، فلا تكشف عيوبه أمام الناس، بل خذ بيده سرّاً، وحدثه بما يُصلحه لا بما يُخرجه، فَإِنَّ بعض الكلام يُقفل القلوب بدل أن يفتحها.

يا مريد، احذر من أن تكون ممن يُكثر الحديث عن الإخلاص، ثم لا يُظهره في أفعاله، فَإِنَّ الأخوة ليست شعاراً، بل هي مواقف، وإن كنت تريد أن تعرف نفسك، فانظر: هل أنت ممن يثبت مع إخوانه وقت الشدة، أم ممن يرحل حين يحتاجون إليه؟ فَإِنَّ الأخوة تُختبر في المصاعب، لا في الأيام الهانئة.

يا خلفاء الطريقة، إِنَّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يتعلم بعد كيف يكون أخاً حقيقياً، وفيهم من يظن أن الصحبة مجرد لقاءاتٍ لا مسؤولية فيها. فكونوا لهم مرشدين، علّموهم أَنَّ الأخوة الصادقة تبدأ من القلب، وأنها تقوم على الصدق، والصبر، والتسامح، وأنها ليست علاقة قائمة على المصالح، بل على المحبة الخالصة لوجه الله.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أَنَّ الصحبة الصالحة كنزٌ لا يُباع ولا يُشتري، وأنَّ من وهب إخواناً صادقين، فقد أُعطي نعمة لا تُقدّر بثمن. علّموهم أن يُحافظوا على هذه النعمة، وألا يفرطوا فيها بسوء الظن، أو بالتقصير، أو بالتعلق بالمظاهر دون الجوهر، فَإِنَّ الصحبة ليست صورة، ولكنها روحٌ تسند الروح، وقلبٌ يحفظ قلباً .

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة(413): معنى الصحبة في الطريق إلى الله

الصحبة في السير إلى الله ليست رفقة عابرة ولا علاقة سطحية، بل هي عهدٌ بين الأرواح على التعاون في مجاهدة النفس، وعلى التناصح في الحق، وعلى الثبات عند الابتلاء. فمن لم يجد في إخوانه من يرفع همته حين تضعف، ومن ينصحه حين يغفل، فهو في حاجة إلى أن يراجع صحبته.

مسألة (414): كيف يختار المريد صحبته

يا مريد، إذا أردت أن تختار من تصحب، فانظر إلى دينه، وخلق، وحاله في الطريق، لا إلى مظهره أو حديثه. فإن كان ممن يذكرك بالله رؤيته، ويزيدك في عملك قرب، ويعينك على الطاعة فعله، فهو أخٌ صالح. أما من كثرت مجالسه وضاعت فيها الأنوار، أو كثرت كلماته وضعفت فيها الأسرار، فابتعد عنه، فإن الصحبة تصنع أثرها في قلبك، شاء العبد أم أبى.

مسألة (415): علامات الصحبة الصالحة

الصحبة علامتها أنك تجد فيها نوراً يسري إلى قلبك بلا تكلف، وأنت إذا غبت عنهم افتقدتهم لفضلهم، لا لمصلحة يرجوها قلبك. وأنت إذا جالسهم تذكرت الآخرة، لا الدنيا، وإذا صحبتهم وجدت نفسك أصلح حالاً بعد اللقاء منهم قبله.

مسألة (416): آفة المقارنة بين الإخوان

يا مريد، من الآفات الخفية أن تقارن نفسك بإخوانك في الطريق. فإن الشيطان قد يوسوس لك أن هذا سبقك، أو ذاك تفوق عليك، فتضيق نفسك وينطفئ نورها. والحقيقة أن السير إلى الله ليس

سباقاً بين النفوس، بل هو سباقٌ كلِّ عبدٍ إلى ربه، على قدر ما فُتح له. فمن فرح بتقدم أخيه، فرح الله بقلبه، ومن حزن لحسدٍ أو كِبَر، حُجبت عنه الأنوار.

مسألة (417): النصح بين الإخوان

النصيحة في الصحبة ميزانها الرحمة والرفق. فلا يكون الناصح مُؤنباً، ولا مُعاتباً بقسوة، بل يكون كالمُسعف للروح المتعبة، يحنو على الألم، ويدل على العلاج، دون فضح أو إذلال. وإنَّ النصيحة إذا خلت من الرحمة، كانت توبيخاً لا إصلاحاً.

مسألة (418): دوام الصحبة رغم الخلاف

يا مرید، ليس الإخاء ألاَّ يختلف الإخوان، بل الإخاء الحق أن يظل الحب قائماً رغم الخلاف. فمن ترك أخاه عند أول خلاف، فما عرف الصحبة، ومن صبر وصافح، واعتذر واعتبر، فهو من أهل المودة الصافية.

مسألة (419): أثر الصحبة على السير

يا مرید، إنَّ الصحبة الصالحة تعين القلب على المجاهدة، فإذا ضُعفت همتك، رفعتك عزيمتهم، وإذا فترت عن الذكر، أيقظتك أنوارهم، وإن ضللت عن الطريق، ذكرك سلوكهم. فمن سار بلا صحبة، كان أقرب للزلل، ومن سار في جماعةٍ صالحة، كان أقرب للثبات.

مسألة (420): خطورة التهاون في حفظ الصحبة

الصحبة نعمة عظيمة، إذا لم يصنها العبد بحسن الظن، وغفران الزلات، وحمل النفس على الصبر، ضاعت منه، وإن فُقدت الصحبة الصالحة، فُقد معها مدد عظيم في الطريق. فإياك أن تهمل قلبك تجاه إخوتك، أو تفرط في محبتهم بسبب نزغات النفس أو وساوس الشيطان.

مسألة (421): الصّحبة في طريقة العلية القادرية الكسنزانية

في طريقنا العلية القادرية الكسنزانية، الصّحبة ليست اختياراً، بل فريضة الطريق، إذ لا يسلك السالك وحده، بل مع رفقة تربطه بهم رابطة الروح قبل الجسم، ويعضدهم بها أدب الطريق الذي ورثناه عن الإمام علي عليه السلام، باب مدينة العلم، وعن مشايخنا الكرام، قدست أسرارهم المباركة.





الفصل الثالث عشر

لقاء الآخرة

سفر الأرواح من دار

العمل إلى دار الجزاء

رسالة [84]: كيف يرى المريـد دار البقاء؟

يا مريد، إنّ المريـد الصادق لا ينظر إلى الدنيا إلّا بعين العبور، ولا يرى نفسه فيها إلّا كضيفٍ يوشك أن يرحل، فإن كان قلبك متشوقاً إلى دار البقاء، فاعلم أنّك بدأت تفهم الطريق، وإن كنت لا تزال مشغولاً بزخارف الدنيا، فاعلم أنّ قلبك لم يتحرر بعد. قال الله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁽¹⁾، فانظر كيف أنّ الله جعل الآخرة هي الخير الحقيقي، فإن كنت تريد أن تكون من أهل الله، فاجعل همك فيما يبقى، لا فيما يزول.

يا مريد، إنّ أهل الطريقة لا ينظرون إلى الآخرة كما ينظر إليها أهل الغفلة، فإنّ الغافل يخاف من الآخرة لأنه لا يريد أن يترك الدنيا، أما السالك، فيرى الآخرة دار اللقاء، ومحلّ الرضا، ومستقرّ الأرواح الطاهرة، فإن كنت ترى في نفسك خوفاً من الآخرة، فاسأل نفسك: هل هو خوفٌ من الحساب، أم خوفٌ من فراق الدنيا؟ فإن كان قلبك متعلقاً بالدنيا، فاجتهد في فطامه، فإنّ القلب الذي تعلّق بما يفنى، لا يشتاق إلى ما يبقى.

قال النبي ﷺ: ﴿الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ﴾⁽²⁾. فانظر كيف أنّ العاقل هو من يعمل لآخـرته، فإن كنت تريد أن تكون من أهل الفطنة، فلا تجعل الدنيا تأخذك حتى تنسى أنك راحلٌ، فإنّ العبد لا يكون من أهل الله حتى يجعل قلبه مهياً للقاءه. فإن كنت تستعد للسفر، فكيف لا تستعد للدار الباقية؟

1 - [الأعلى: 17]

2 - الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم [2627]، ج4 ص450.

يا مريد، إنّ من علامات صدق السالك أن يرى الآخرة أقرب إليه من نفسه، فإن كنت ترى الموت بعيداً، فاعلم أنّ الدنيا لا تزال تغرّك، وإن كنت ترى الآخرة حاضرة في قلبك، فاعلم أنّك على طريق النجاة. فإنّ النفس لا تحب أن تفكر في الفناء، لكن العارف لا يرى في الفناء إلا انتقالاً إلى لقاء الله، فإن كنت تحب الله تعالى، فكيف لا تشتاق إلى لقائه؟

يا مريد، إنّ أهل الطريق لا يخافون الموت، بل يخافون أن يصلوا إلى الآخرة وليس معهم زادٌ كاف، فإن كنت تريد أن يكون قلبك مطمئناً، فاجعل لنفسك أعمالاً لا تزول، فإن كنت تتصدق، فاجعل صدقتك خفية، وإن كنت تذكر الله، فاجعل ذكرك نابضاً بالحياة، فإن الآخرة ليست لمن يعبد بجسده، بل لمن يعبد بقلبه.

يروى عن أحد العارفين أنه قال: «من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه»، فانظر كيف أنّ الحب الحقيقي لله يجعل القلب مطمئناً بلقاء الآخرة، فإن كنت ترى نفسك لا تزال متردداً، فاجتهد في أن تجعل قلبك عامراً بذكر الآخرة، فإن من عاش للآخرة، كانت الدنيا في يده لا في قلبه.

يا مريد، لا تكن ممن يذكرون الموت بالكلام فقط، بل اجعل قلبك يستعدّ له، فإن كنت تستعد لكل رحلة في الدنيا، فكيف لا تستعدّ لرحلة لا عودة منها؟ فإن كنت صادقاً، فاجعل كل عملك لوجه الله، فإنك سترحل عنه قريباً، فإن كنت تعمل لغيره، فماذا تأخذ معك؟ وإن كنت تريد أن تملأ كتابك بالنور، فاجعل كل لحظة في حياتك لله. يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ الآخرة ليست فقط دار الحساب، بل هي دار القرب، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ الدنيا ليست الغاية، بل هي طريقٌ إلى

البقاء، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ الآخرة ليست أمراً بعيداً، بل هي أقرب إليهم من لحظتهم هذه، فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا من أهل الله، فاجعلوهم يعيشون في الدنيا بقلوبٍ تتعلق بالآخرة، فإنّ القلب الذي تعود على الذكر، لا يخاف الرحيل، بل يشّاق إلى اللقاء.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الآخرة ليست نهاية، بل هي بداية، فإن كنت ترى مريداً متعلّقاً بالدنيا، فذكّره أنّ الدنيا ظلٌّ زائلٌ، وإن رأيت مريداً يخاف من الموت، فبشّره أنّ من كان مع الله، فلا خوفٌ عليه ولا حزن، فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى قلبك، فإن كنت تشّاق إلى لقاء الله، فأنت في النور، وإن كنت تخشى أن تترك الدنيا، فاجتهد حتى تجعل قلبك عامراً بحبّ الباقي. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (422): الآخرة دار اللقاء لا دار الحساب فقط

أهل الطريق يرون الآخرة دار اللقاء مع الحبيب، لا مجرد مقام الحساب والجزاء. فإنّ القلب إذا طهر، اشتاق إلى ساعة الوقوف بين يدي الله، ووجد في ذكر الآخرة أنساً وسكينة. أمّا من ثقل عليه ذكر الموت والدار الآخرة، فهو بعد لم يتحرر من حب الدنيا. المريد إذا تحقّق بهذا المعنى، لم يعد يخاف الموت نفسه، بل يخشى أن يلقى الله بلا زاد يرضيه، ويستعد بالعمل الصالح والنية الخالصة حتى يكون أهلاً للقرب.

مسألة (423): علامة صدق السالك في حب دار البقاء

من علامات صدق السالك أن يرى الآخرة أقرب إليه من نفسه، وأن يستشعر أنه على جناح سفر لا يعرف متى يحين مواعده. فإن كان

قلب العبد يستحضر الموت كساعة لا مهرب منها، جعل عمله متجهاً لما بعده. وكلما ازداد في قلبه يقين الرحيل، قويت همته، وصفى ذكره، واستقام عمله، حتى يصير قلبه حاضراً مع الله في كل لحظة، لا يشغله عنها شيء من الدنيا.

مسألة (424): خوف السالك من نقص الزاد لا من الموت

السالك لا يخشى الموت كما يخشاه الغافلون، وإنّما يخشى أن يصل إلى الدار الباقية وقد قصّر في زاده. فالموت عنده انتقال إلى لقاء الله، لكن هيبة الموقف أن يأتي بلا عمل يليق بالوقوف بين يدي مولاه. لذلك هو دائم المحاسبة، دائم الذكر، يسأل الله أن يجعل عمله مقبولاً، ونيته صافية، حتى تكون خاتمته رضاء، ويكون قلبه مطمئناً حين يدعو الله إلى لقائه.

مسألة (425): واجب الخلفاء في تربية المريدين على حب الآخرة

الخلفاء أمناء على قلوب المريدين، وعليهم أن يذكّروا مَنْ تحت أيديهم بأنّ الدنيا معبر، وأنّ الآخرة هي المستقر الحقيقي. عليهم أن يغرسوا في قلوب المريدين أنّ الآخرة ليست نهاية حياة، بل بداية لقاء. فمن وجد مريداً متعلّقاً بالدنيا، ذكره بفنائها، ومن رأى في قلبه خوفاً من الموت، بشّره أنّ من أحب الله أحبه الله. فإنّهم إن أحسنوا التوجيه، جعلوا القلوب تهوى إلى ربها، وتأنس بذكره، وتستعد للقاء بلا وجل.



رسالة [85]: كيف يعيش المرید على بصيرةٍ من دار

البقاء؟

يا مرید، إنّ الآخرة ليست حدثاً مؤجلاً، بل هي حقيقة قائمة، فإن كنتَ تظن أنها شيءٌ بعيدٌ، فاعلم أنّ الدنيا غرَّتكَ، وإن كنتَ تراها أقرب إليك من يومك، فأنت في النور.

يا مرید، إنّ أهل الطريقة لا ينظرون إلى الآخرة كما ينظر إليها أهل الغفلة، فإنّ الغافل يخافها لأنّه لا يريد أن يترك دنياه، أمّا السالك، فيراها لقاء المحبوب، ومستقرّ الأرواح الطاهرة، فإن كنتَ ترى في نفسك خوفاً من الآخرة، فاسأل نفسك: هل هو خوفٌ من الحساب، أم خوفٌ من فراق الدنيا؟ فإن كان قلبك لا يزال متشبثاً بزينة الحياة الدنيا، فاجتهد في فطامه، فإنّ القلب الذي تعلّق بما يفنى، لا يشتاق إلى ما يبقى.

قال النبي ﷺ: ﴿الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف أنّ العاقل هو من يعمل لآخريته، فإن كنتَ تريد أن تكون من أهل الفطنة، فلا تجعل الدنيا تأخذك حتى تنسى أنّك راحلٌ، فإنّ العبد لا يكون من أهل الله حتى يجعل قلبه مهيباً للقاء، فإن كنتَ تستعد للسفر، فكيف لا تستعد للدار الباقية؟

يا مرید، إنّ الآخرة ليست فقط دار الجزاء، بل هي دار الكشف، حيث تنكشف الحقائق، وتظهر النيات على حقيقتها، فإن كنتَ تخشى أن يُكشف سرك، فاعلم أنّ سيرك يحتاج إلى تصحيح، وإن كنتَ تجد في قلبك راحة لأنك تسير بإخلاص، فابشر، فإنّ الآخرة لن تأتي إلّا

1 - الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم [2627]، ج4 ص450.

لُتُظهر ما خبأته القلوب، فإن كنتَ تعمل لله، فستجد ما عملت، وإن كنتَ تعمل للناس، فلن تجد شيئاً إلا الحسرة.

يا مريد، إنّ القلب الذي تعود على ذكر الآخرة، لا يصيبه الغفلة، فإن كنتَ تريد أن يكون قلبك عامراً بالنور، فاجعل فكرك دائماً في البقاء، لا في الفناء، فإن كنتَ تحب الله، فكيف لا تشتاق إلى لقائه؟ فإنّ النفس لا تحب أن تفكر في الفناء، لكن العارف لا يرى في الفناء إلا انتقالاً إلى لقاء الله، فإن كنتَ تحب الله، فكيف لا تشتاق إليه؟

يا مريد، لا تجعل الموت يفاجئك وأنت غافلٌ، بل اجعله في قلبك حياً، فإن كنتَ ترى نفسك تتناقل عن العمل، فاذا ذكر الآخرة، وإن كنتَ ترى نفسك مشغولاً بالدنيا، فتذكر أنّك سترحل، فإنّ النفس لا تحب أن تُذكر بالموت، لكن القلب الذي عرف الله، لا يخاف إلا أن يأتيه الموت وهو لم يستعدّ، فإن كنتَ في طريق الله، فاجعل كل لحظة من حياتك زاداً لما بعد الرحيل.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ الآخرة ليست فقط دار الحساب، بل هي دار القرب، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ الدنيا ليست الغاية، بل هي طريقٌ إلى البقاء، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ الآخرة ليست أمراً بعيداً، بل هي أقرب إليهم من لحظتهم هذه. فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا من أهل الله، فاجعلوهم يعيشون في الدنيا بقلوبٍ تتعلق بالآخرة، فإنّ القلب الذي تعود على الذكر، لا يخاف الرحيل، بل يشتاق إلى اللقاء.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الآخرة ليست نهاية، بل هي بداية، فإن كنتَ ترى مريداً متعلّقاً بالدنيا، فذكره أنّ الدنيا ظلٌّ زائلٌ، وإن رأيتَ مريداً يخاف من الموت، فبشّره أنّ من كان مع

الله، فلا خوفٌ عليه ولا حَزَن، فإن كنتَ تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى قلبك، فإن كنتَ تشفق إلى لقاء الله، فأنت في النور، وإن كنتَ تخشى أن تترك الدنيا، فاجتهد حتى تجعل قلبك عامراً بحبِّ الباقي.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (426): الفرق بين خوف السالك وخوف الغافل من الآخرة
الغافل عن الله يخشى الآخرة لأنه لا يريد مفارقة دنيا ألفها، ويخاف من الحساب لأنه لم يستعد له. أمّا السالك الصادق، فإنَّ خوفه ليس من الموت ذاته، بل من أن يقف بين يدي الله بقلب خاوٍ من الزاد، وعملٍ يخجل من عرضه. فهو يخشى أن توافيه المنية قبل أن يتهياً للقاء ربه. ولهذا فإنَّ خوف السالك يقوده إلى الاجتهاد والمجاهدة، بينما خوف الغافل لا يزيده إلا غفلة وفراراً من الحقيقة.

مسألة (427): الاستعداد لدار البقاء هو زاد السالكين
من فطنة السالك أن يرى الآخرة سفراً لا بد له من استعداد، وأن ينظر إلى دنياه كزاد يُحمَل للدار الآخرة. قال النبي ﷺ: ﴿الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ﴾⁽¹⁾، فالعاقل لا يغفل عن لحظته، بل يجعلها خطوة في طريقه إلى دار البقاء. إذا استعد للسفر القصير في الدنيا بتخطيطٍ وتأهب، فكيف لا يستعد للسفر الأبدي، الذي لا رجعة بعده؟ هذه هي بصيرة السالك، ألا تغره الدنيا عن يوم اللقاء.

1 - الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم [2627]، ج4 ص450.

مسألة (428): الآخرة دار الكشف لا دار الجزاء وحدها

الآخرة ليست فقط مقام الجزاء والثواب أو العقاب، بل هي مقام الكشف، حيث تنجلي الحقائق، وتظهر مكنونات الصدور. ما خُفي في الدنيا يعلنه الله في الآخرة، وتنكشف النيات على حقيقتها. فإن كان القلب صادقاً في عمله لله، اطمأن صاحبه، وأبشر بما وعد الله به عباده الصالحين. وإن كان العمل رياء للناس، ندم صاحبه يوم لا ينفع ندم. السالك الصادق هو من يراقب قلبه الآن، ليكون مطمئناً عند كشف الستار هناك.

مسألة (429): غرس حب الآخرة في قلوب المريدين

يا خلفاء الطريقة، إنّ من أعظم الأمانات التي حملتموها هي أن تزرعوا في قلوب المريدين حقيقة البقاء، وتنتزعوا من أفئدتهم التعلق بالفناء. علّموهم أنّ الدنيا زائلة لا محالة، وأنّ الآخرة ليست أمراً بعيداً، بل هي أقرب مما يتصورون. إنّ من استعد للقاء الله، عاش مطمئناً، وإذا دعا الموتُ أجله، أجابه بوجهٍ طليقٍ، وقلبٍ مستبشر. فكونوا رفقاء في تذكيرهم، واغرسوا فيهم هذا الفهم، حتى يكونوا من المشتاقين، لا من الغافلين.



رسالة (86): كيف يتأمل المريد دار البقاء؟

يا مريد، إنّ الدنيا دار عملٍ، والآخرة دار جزاءٍ، فمن انشغل بزينه الدنيا، غفل عن الاستعداد ليوم اللقاء، ومن عاش في الدنيا بروح الموقن بحقيقة الآخرة، استعدّ لها قبل أن تفاجئه. فإن كنت ترى الدنيا دائمة، فاعلم أنّ بصيرتك لم تنكشف بعد، وإن كنت تراها زائلة، فابشر، فإنّ الله قد فتح لك باب الفهم. قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾⁽¹⁾ فانظر كيف أنّ الفوز الحقيقي ليس في امتلاك الدنيا، بل في النجاة في الآخرة.

يا مريد، إنّ أحوال الآخرة ليست مجهولة لمن أشرق الله في قلبه نور البصيرة، فإن كنت لا تزال غافلاً عن يوم العرض، فذكر نفسك أنّ الموت أقرب إليك مما تظن، فإنّ كل يوم يمر، يقربك خطوة إلى الدار التي لا تزول، وإن كنت منشغلاً بالدنيا، فاعلم أنك قد تخسر الآخرة، فإنّ القلب الذي تعلّق بما يفنى، لا يتهيأ لما يبقى. قال النبي ﷺ: ﴿مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ﴾⁽²⁾. فانظر كيف أنّ حبّ الآخرة دليل صدق المريد، فإن كنت تريد أن ترى مقامك، فانظر كم تشاق إلى لقاء الله.

يا مريد، إنّ أهوال يوم القيامة ليست لمن استعدّ لها، فإنّ العبد إذا طهر قلبه، وأصلح عمله، كان في أمان، أما من عاش غافلاً، فإنّه سيفاجأ حين لا ينفع الندم. فإن كنت تريد أن تكون من أهل النجاة، فحاسب نفسك قبل أن تُحاسب، فإنّ الحساب ليس فقط في الدار الآخرة، بل

1 - [آل عمران: 185]

2 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم [6142]، ج5 ص2386.

هو يبدأ هنا، فإن كنت تفكر في أفعالك، وتتوب عن زلاتك، فأنت في خير، وإن كنت تعيش بلا تفكير، فخف على نفسك، فإن القلب الذي لا يتفكر في لقاء الله، لا يستعد له. فإن كنت تريد النجاة، فاجعل كل عملك لله، فإن القلب إذا كان معلقاً بالله، لم يُفزع يوم العرض.

يا مريد، إن الجنة ليست بعيدة عن سلك الطريق إليها، وإن النار ليست بعيدة عن أغلق قلبه عن ذكر الله، فإن كنت تريد الجنة، فاجعل كل عملك لله، وإن كنت تخشى النار، فاجعل نفسك تفرّ منها قبل أن تُدركك، فإن النفس قد تستهين بالذنوب، لكن العبد إذا وقف بين يدي الله، رأى صغائره كبائر، فإن كنت تخشى موقف الحساب، فاجعل كل يوم يمرّ عليك محطة للمراجعة، فإن القلب إذا بقي نقياً، لم يفزعه يوم اللقاء، وإن كنت تريد أن يكون حسابك يسيراً، فاجعل ذكرك لله دائماً، وعملك صالحاً، فإن العبد إذا ذكر الله، لم يخش يوم الحساب، وإن غفل، وقع في الخسران.

يا مريد، لا تكن ممن يذكرون الآخرة بالسنتهم، ولكنهم يعملون للدنيا بقلوبهم، فإن كنت تريد أن تكون من أهل الله، فاجعل تفكيرك في الآخرة أكبر من تفكيرك في الدنيا، فإن من يعيش للآخرة، كانت الدنيا تأتيه رغباً عنها، أما من يعيش للدنيا، فإنه يخسرهما معاً، فإن كنت تريد الفوز، فاجعل قلبك عامراً بذكر الآخرة، فإن القلب الذي تذكّره الآخرة، لا يغفل، فإن كنت تخاف من الرحيل، فاجعل رحيلك خفيفاً، بأن تجعل قلبك متعلقاً بالله، فإن كنت تريد أن تكون من أهل النور، فاجعل همك في الآخرة، فإن القلب إذا صلح، صلح كل شيء.

يروى عن أحد العارفين أنه قال: «اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها، واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها»، فانظر كيف أنّ من نظر إلى الدنيا على حقيقتها، لم يغفل عن الآخرة، فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في

الطريق، فانظر إلى قلبك، فإن كنت تشّاق إلى الدار الباقية، فأنت في النور، وإن كنت لا تزال متشبّثاً بالدنيا، فاجتهد حتى تُحرر قلبك، فإنّ القلب الذي لم يتحرر من حب الدنيا، لن يعرف حقيقة الآخرة، فإن كنت تريد أن تعيش في نور الله، فاجعل الآخرة أمام عينيك في كل لحظة، فإنّ القلب الذي يفكر في الموت، يعمل بلا رياءٍ، ويسير بلا خوفٍ.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ الآخرة ليست بعيدة، بل هي أقرب إليهم من يومهم هذا، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ الموت ليس نهاية، بل هو بداية، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ الآخرة لا تُخيف إلّا من لم يستعدّ لها، فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا من أهل الله، فاجعلوهم يتفكرون في يوم العرض، فإنّ القلب إذا استعدّ للقاء الله، وجد في حياته بركة، واطمئنناً، وسكينة.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الآخرة ليست نهاية، بل هي الرجوع إلى الحق، فإن كنت ترى مريداً مشغولاً بزينة الحياة، فذكّره أنّ الدنيا ظلٌّ زائلٌ، وإن رأيت مريداً يذكر الموت، لكنه لا يعمل له، فاجعله يفهم أنّ الذكر بلا عملٍ لا ينفع، فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى همّك، فإن كان في الآخرة، فأنت من السائرين، وإن كان في الدنيا، فاجتهد حتى يكون قلبك في الباقية، لا في الفانية.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (430): حقيقة الدنيا وواجب السالك تجاهها

الدنيا دار عملٍ وزرعٍ لا مقامٍ وخلود، ومن لم يرها كذلك، انشغل بزخارفها، وغفل عن يوم الرحيل. فإذا رأى المريد الدنيا دار قرار، لم يستعدّ للآخرة، ووقع في الغفلة عن لقاء الله. أمّا إذا عرف أنها متاع زائل وظلّ عابر، استعدّ للسفر وعمّر قلبه بذكر الله، وسعى في إصلاح عمله، لأنه علم أنّ الفوز الحقيقي هو في النجاة يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾⁽¹⁾.

مسألة (431): علامة حب لقاء الله عند المريد الصادق

المريد الصادق يعرف مقامه من شوقه إلى لقاء الله، فإن أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، كما قال النبي ﷺ. هذا الحب لا يكون بالأمنيات، بل بالاستعداد الصادق، والعمل المتواصل، وتزكية النفس. فإن وجدت قلبك مشتاقاً إلى لقاء الحبيب، لا يخشى الموت لأنه انتقال إلى الرحمة، فابشر. أمّا إذا وجدت قلبك مشغولاً بفراق الدنيا، فاجتهد حتى يتحرر قلبك من التعلق بما يفنى.

مسألة (432): محاسبة النفس طريق النجاة يوم العرض

العبد إذا لم يحاسب نفسه اليوم، حوسب غداً حساباً عسيراً. والسالك الصادق يجعل من كل يوم محطة للمراجعة، فيتفكر في عمله، ويزن أقواله وأفعاله، فإن وجد فيها نقصاً، أسرع إلى التوبة، وإن وجد خيراً، حمد الله وسأله الثبات. لأن القلب الذي تعود على المحاسبة في الدنيا، لا يخشى كشف السرائر يوم القيامة، بل يكون من أهل السكينة والرضا.

مسألة (433): العمل للآخرة مفتاح الفلاح في الدارين

من عمّر قلبه بذكر الآخرة، عمّر دنياه بنور العمل الصالح، فالدنيا لا تملك من أمره شيئاً، بل تأتيه خاضعة، لأنّه لم يجعلها غاية، بل وسيلة للقاء مولاه. العارف يعمل لدنياه بقدر مقامه فيها، ولآخرفته بقدر بقائه فيها، كما قال أحد العارفين. فإن رأيت همك منصرفاً إلى الآخرة، فاعلم أنّ نور الفهم قد تجلّى على قلبك، وإن وجدت نفسك متشبّثاً بزينة الدنيا، فاجتهد حتى تحرر قلبك وتصفّي نيتك.

مسألة (434): واجب الخلفاء في التربية على التأمل في دار البقاء

الخلفاء هم الأبواب التي يدخل منها المریدون إلى عالم النور، وعليهم أن يُذكّروا المریدين دوماً أنّ الآخرة ليست نهاية بل رجوع إلى الحق. عليهم أن يُعلّموا السالکين أن من غفل عن الموت، ضاعت عليه فرصة الاستعداد، وأنّ من عاش بقلبه للآخرة، وجد في حياته بركة وسكينة. فإن رأوا مریداً يتكلم عن الآخرة دون عمل، وجب عليهم توجيهه، لأن الذكر بلا عملٍ لا ينفع، والعمل بلا صدقٍ لا يثمر.



رسالة [87]: دار البقاء والميزان الحق

يا مريد، إنّ الآخرة ليست خيالاً ولا وهمًا، بل هي الحق المطلق، فمن جعلها نصب عينيه، لم يغرّه متاع الدنيا، وإن كنت ترى أهل الغفلة يلهون، فلا تغترّ، فإنهم سيُسألون، وإن كنت تراهم يجمعون، فلا تحزن، فإنهم سيتركون كل ما جمعوا، فإن كنت تريد الآخرة، فاجعلها مقصد قلبك، ولا تلتفت إلى شيءٍ سواها، فإنّ القلب إذا امتلأ بحب البقاء، زهد في الفناء، فإن كنت تريد أن تعرف نفسك، فانظر إلى ما يشغلك، فإن كنت مشغولاً بالله، فأنت من أهل البقاء، وإن كنت مشغولاً بالدنيا، فاجتهد حتى تتخلص منها.

يا مريد، إنّ الجنة ليست لمن يتمنى، ولكنها لمن سعى، فإن كنت تريد أن تكون من أهل النعيم، فاجعل حياتك كلها لله، وإن كنت تخاف من النار، فاجعل نفسك تهرب منها بالأعمال الصالحة، فإنّ العبد إذا عمل لله، لم يخش لقاءه، وإن عمل لنفسه، خاف من يوم الحساب، فإن كنت تريد أن يكون حسابك يسيراً، فحاسب نفسك اليوم، فإنّ من حاسب نفسه في الدنيا، وجد الحساب هيناً، ومن أهمل، ندم حين لا ينفع الندم.

يروى عن أحد العارفين أنّه قال: «الدنيا ساعة، فاجعلها طاعة، والنفس طماعة، فعوّدها القناعة»، فانظر كيف أنّ الدنيا مهما طالّت، فهي لحظة زائلة، فإن كنت تراها طويلة، فاعلم أنك لم تبصر الحقيقة بعد، وإن كنت تراها قصيرة، فاجتهد في أن تملأها بما يكون لك، لا بما يكون عليك، فإن كنت تريد أن تكون من أهل الله، فاجعل الآخرة في قلبك دائماً، فإنّ القلب الذي ينسى يوم العرض، يغرق في الدنيا، فإن كنت تريد أن تنجو، فاجعل كل يوم يمرّ عليك قرباً من الله، لا بعداً عنه.

يا خلفاء الطريقة، إنّ بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أنّ الآخرة ليست بعيدة، بل هي أقرب إليهم من يومهم هذا، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أنّ الموت ليس نهاية، بل هو بداية، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أنّ الآخرة لا تُخيف إلّا من لم يستعدّ لها، فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا من أهل الله، فاجعلوهم يتفكرون في يوم العرض، فإنّ القلب إذا استعدّ للقاء الله، وجد في حياته بركة، واطمئنّاناً، وسكينة.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أنّ الآخرة ليست نهاية، بل هي الرجوع إلى الحق، فإن كنت ترى مريداً مشغولاً بزينة الحياة، فذكّره أنّ الدنيا ظلّ زائل، وإن رأيت مريداً يذكر الموت، لكنه لا يعمل له، فاجعله يفهم أنّ الذكر بلا عمل لا ينفع، فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في الطريق، فانظر إلى همك، فإن كان في الآخرة، فأنت من السائرين، وإن كان في الدنيا، فاجتهد حتى يكون قلبك في الباقية، لا في الفانية.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (435): وظيفة الخلفاء في تربية المريدين على وعي الآخرة

يا خلفاء الطريقة، إنّ في أعناقكم أمانة عظيمة تجاه المريدين، فإنّ منهم من لا يدرك بعد قرب الآخرة، ومنهم من يرى الموت نهاية لا بداية. فذكّروهم أنّ الآخرة دار الرجوع إلى الله، وأنّها لا تُخيف إلّا من قصّر ولم يستعد. علّموهم أنّ القلب إذا عمّر بذكر الآخرة، وجد في الدنيا بركة وراحة لا يعرفها أهل الغفلة. وإن رأيت مريداً يذكر الموت بلسانه دون عمل، فأرشدوه أنّ الذكر لا يغني عن العمل، وأن النجاة لمن سبق قلبه جوارحه إلى الطاعة.

مسألة (436): معرفة حال القلب بمقدار همّه

المريد يعرف مقامه بالنظر إلى ما يشغل قلبه، فإن كان همّه في الآخرة، فهو في طريق أهل البقاء، وإن كان في الدنيا، فليعلم أنّه بعدُ لم يدخل في أنوار السالكين. فمن كان يرجو الله والدار الآخرة، لم يجعل الدنيا أكبر همّه، ولا مبلغ علمه. فإذا اشتغل المريد بالفاني، فليجتهد في الفطام، حتى يستقيم قلبه على حب الله، وطلب ما عنده من النعيم المقيم، فإنّ القلب لا يسكن إلّا إذا وُجّه إلى ما خُلق له.



رسالة [88]: في الاستعداد ليوم الانتقال

يا مريد، إِنَّ الحياةَ ظُلٌّ زائلٌ، وَإِنَّ النفسَ مهما استرسلت في الغفلة، فستجد نفسها يوماً أمام الحقيقة التي لا مهرب منها: الموت. فَإِنْ كُنْتَ ترى نفسك في الدنيا مقيماً، فقد غرتك الأوهام، وَإِنْ كُنْتَ تراها مرحلة تعبرها، فقد فُتِحَ لك باب الفهم. قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾⁽¹⁾. فانظر كيف أَنَّ كل شيءٍ يزول، إِلَّا من تعلّق قلبه بالباقي.

يا مريد، إِنَّ ذكر الموت ليس لإثقال القلوب بالحزن، بل لتذكيرها بالحقيقة الكبرى، فَإِنْ كُنْتَ تريد أن يكون يومك آمناً، فاجعل قلبك دائماً مستعداً، فَإِنَّ النفس التي تفكر في الرحيل، تعمل بلا رياءٍ، وتتوب بلا تأخيرٍ، وتسير في الطريق بصدقٍ. فَإِنَّ العبد الذي يغفل عن الموت، يعيش لنفسه، ومن يذكره، يعيش لله. قال النبي ﷺ: ﴿أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللِّذَاتِ - يَعْنِي الْمَوْتَ - فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ فِي ضَيْقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ﴾⁽²⁾، فانظر كيف أَنَّ ذكر الموت يفتح القلب، فَإِنْ كُنْتَ في ضيقٍ، وسَّعَ عليك، وَإِنْ كُنْتَ في غفلةٍ، أفاقك.

يا مريد، إِنَّ العاقل لا يخاف من الموت نفسه، بل يخاف أن يأتيه وهو غير مستعدٍ، فَإِنْ كُنْتَ تسأل نفسك: كيف أستعد؟ فالجواب أن تجعل كل عملك لله، فَإِنْ كُنْتَ في حياتك تقصد وجه الله، فالموت لك بدايةٌ، لا نهايةٌ، وَإِنْ كُنْتَ تعيش لنفسك، فالموت لك خسارةٌ، لا لقاءً، فَإِنْ كُنْتَ تحب لقاء الله، فاعمل لما بعد الموت، فَإِنَّ

1 - [الرحمن: 26-27]

2 - الطبراني، المعجم الأوسط للطبراني، ج1 ص214.

القبر لا يكون وحشة لمن كان قلبه عامراً بالله.

يا مريد، لا تجعل الدنيا تخذلك، فإنها زينةٌ عابرةٌ، وإن كنت تراها طويلة، فاعلم أنك لم تفهم حقيقتها، فإن كل يومٍ يمضي، يطوي صفحة من عمرك، فإن كنت تجمع المال، فهل تجمع الحسنات؟ وإن كنت تبني لبيتك، فهل تبني لآخرتك؟ فإن كنت تحب الحياة، فاجعلها وسيلة للطاعة، لا غاية بحد ذاتها، فإن القلب الذي يتذكر الموت، لا يغفل عن العمل، وإن كنت تريد أن ترى مقامك، فانظر إلى خوفك من الرحيل، فإن كنت تخافه لأنك لم تستعد، فاجتهد، وإن كنت تستبشر به لأنه لقاء الحبيب، فابشر.

يُروى عن أحد العارفين أنه قال: «من عرف حقيقة الدنيا، لم يفرح بها، ولم يحزن عليها، فإنها ظلٌّ لا يبقى»، فانظر كيف أن القلب الذي يتيقن من الموت، لا يتعلق بالفناء، فإن كنت تريد أن تكون من أهل الله، فاجعل قلبك مستعداً للرحيل، فإن كنت تسير في طريق الله، فلا تنظر إلى الوراء، ولا تغترّ بالدنيا، فإن العبد إذا عرف أنه راحلٌ، لم ينسَ زاده.

يا خلفاء الطريقة، إن بين أيديكم مريدين، فيهم من لم يدرك بعد أن الموت ليس فاجعة، بل هو انتقالٌ، وفيهم من يحتاج إلى من يعلمه أن الحياة لا تُقاس بطولها، بل ببركتها، فكونوا لهم مرشدين. علّموهم أن العبد لا يُسأل يوم القيامة كم عاش؟ بل كيف عاش؟ فإن كنتم تريدون لهم أن يكونوا من أهل الله، فاجعلوهم يستعدّون للقاءه، فإن القلب الذي يستعدّ، لا يخاف، والذي يغفل، يُفاجأ.

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا المريدين يفهمون أن ذكر الموت ليس ضعفاً، بل هو حكمةٌ، فإن كنت ترى مريداً يخشى ذكره، فذكره أنه لقاء مع الله، وإن رأيت مريداً يتحدث عنه بلا عملٍ، فاجعله يفهم أن الحديث بلا استعدادٍ لا ينفع، فإن كنت تريد أن تعرف أين أنت في

الطريق، فانظر إلى قلبك، فإن كان مستعداً للرحيل، فأنت من العارفين، وإن كان متشبثاً بالدنيا، فاجتهد حتى يكون قلبك لله وحده. اللهم اجعل خلفاءنا ومريديننا، رجالاً ونساءً، من الذين يذكرونك في حياتهم، فلا يفاجؤون يوم لقائك، وامنحهم الحكمة، والبصيرة، والنور، وأعنهم على أن يكونوا من الذين يسرون إليك بقلوبٍ مطمئنةٍ، وأرواحٍ تشتاق إلى لقائك الكريم. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ وَعَى، وَسَلَّكَ فَارْتَقَى.



مسألة (437): الاستعداد للموت بالعمل الصادق

العاقل لا يخاف الموت ذاته، بل يخاف أن يبغته الموت قبل أن يكون عمله لله خالصاً. فإن كان كل عملك لله، صار الموت لك لقاء لا فراقاً، وبداية لا نهاية. والمريد الذي يهيئ قلبه للقاء الله، يجعل من حياته مزرعة للآخرة، فلا يُفَرِّط في وقت، ولا يُضَيِّع لحظة، لأنَّ القبر لا يكون ظلمة لمن كان نور الله في قلبه، ولا يكون وحشة لمن عمَّر أيامه بذكر ربه.

مسألة (438): الاستعداد للانتقال من زمن الجسم إلى مقام الروح

يا مريد، الموت ليس نقلةً في المكان، بل تحوُّل في المقام. هو عبور من زمنٍ يُقاس بالساعات، إلى أبدٍ يُقاس بالنور. فليكن استعدادك له على قدر هذا التحوُّل: لا تُعَدِّ الثواني، بل اجعل كل ثانية مستودعَ عملٍ، ووعاءَ سرٍّ. إنَّ الروح لا تُفاجأ بالموت إن كانت قد ذاقَت مقام "الرجوع" وهي في الجسد، فمَنْ رجع بقلبه إلى الله في الدنيا، لن يضيع إذا رجعت روحه إليه في الآخرة. فاجعل من يقظتك اليوم دليلاً على فوزك غداً، فإنَّ الطريق إلى الله لا يُقطع بالرجل، بل بالبصيرة.

مسألة (439): وظيفة الخلفاء في التعليم على الاستعداد للانتقال
يا خلفاء الطريقة، إنّ من واجبكم تربية المريدين على أنّ الموت
ليس فاجعة، بل انتقال إلى الحضرة الإلهية. فعرفوهم أنّ بركة الحياة
لا تُقاس بطول العمر، بل بحسن العمل. وعلموهم أنّ ذكر الموت
حكمة للمؤمن، ووعي للسالك، لا ضعفاً أو خوفاً. فإن وجدتُم مريداً
يتهرب من ذكر الموت، فذكّروه أنّ لقاء الله هو الغاية الكبرى، وإن
وجدتُم من يتحدث عن الموت دون عمل، فأرشدوه أنّ الذكر بلا
استعدادٍ لا يغني شيئاً، فإنّ القلب إذا استعدّ للقاءه، اطمأن، وإن
غفل، فُجع يوم لا ينفع الندم.

مسألة (440): حضرة السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان
• «انتقال الأولياء الى الآخرة مثل طرفة عين، يغمض عينه هنا
ويفتحها هناك، فهو حي يرزق في الدارين».
• «الدنيا دار مرر، لا دار مستقر».
• «الدنيا دار المحنة، والآخرة دار الرحمة».



[89] رِسَالَةُ خَاصَّةٍ لِخُلَفَاءِ وَمُرْشِدِي الطَّرِيقَةِ

يا خلفاء الطريقة ومرشديها، يا حملة الأمانة، يا منابر النور في درب السالكين... السلام عليكم ورحمة الله تغشاكم في كل حين. أمّا بعد: اعلّموا، أنكم موضع فخري واعتزازي، وأبلغكم أنكم موضع فخر مشايخ الطريقة واعتزازهم من قبلي اجمعهم.

يا إخوتي وأخواتي، يا أبنائي وبناتي، نحن على بينة وشهود من أنكم قد اصطفيتم لهذا المقام العالي، لما تأهلتم به لحمل الأمانة: أمانة الهداية، وأمانة خدمة السالكين، وأمانة صيانة هذا الطريق الأعظم. فاثبتوا، رعاكم الله، على هذا العهد، وكونوا كما أرادكم الله أن تكونوا، شموساً تهدي، وقلوباً تسقي، وأيدياً تُعمر قلوب السالكين بالنور.

أنتم الذين شرفكم الله بحمل راية الطريقة العلية القادرة الكسنزانية، فحملتموها، متمسكين بعروتها الوثقى، مهما عصفت الفتن، واشتدت المحن، وضافت الصدور، وادلهمت الأمور، فصرتم، بفضل الله، باب الرحمة المفتوح، وموطن الحكمة المأمون، لكل مريد صادق، وكل قلب حائر يطلب النور.

يا خلفاء الطريقة، إنكم موضع نظري وموضع دعائي، أنظر إليكم فأرى ثمرة التربية، وأرى أثر حضرة السلطان (قدست أسرارهِ المباركة) فيكم، وألمس في قلوبكم الصدق الذي به يُفتح للناس أبواب القرب. لقد جعلكم الله مفاتيح الخير، وسداً منيعاً دون الانحراف، فأروا الله من أنفسكم ما يليق بهذا المقام.

إنّ المريدين أمانة بين أيديكم، والقلوب التي قصدتكم تريد النور والهداية، لا تطلب دنياً ولا جاهاً، فلا تخذلوها. كونوا رحماء بهم، كما كان النبي رحيماً بأُمَّته. قال عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ﴾⁽¹⁾. فكونوا لهم آباء وكنّ أمهات في التربية، وكونوا

1 - ابن ماجه، سنن ابن ماجه، حديث رقم [312]، ج1 ص208.

قدوة في الصدق، وفي الذكر، وفي العمل.

يا خليفاتي الكريمات، إنَّكن موضع فخر الطريقة وزينة هذا الطريق المبارك، فكما للرجال دورٌ في الثبات، لكنَّ الدور الأكبر في بناء السالكات، وفي تثبيت أقدام المريديات، وفي احتضان الأرواح التي تعبت من ضجيج هذا العالم، ولم تجد إلاَّ صدوركن مأوى وراحة. اجعلن سيرتكن طاهرة كقلوبكن، وزكّين النفوس بالحكمة والرحمة، ولا تستصغرن ما وهبكن الله من عطاء، فهو أمل كبير لهذه الأمة.

يا خلفاء وخليفات الطريقة، إنني أراكم سارية هذا الطريق، وأثق بكم، وأضع يدي في أيديكم، فكونوا على قدر هذه الثقة، وكونوا دعاة للحق بأحوالكم قبل أقوالكم، وانشروا راية المحبة والذكر، وكونوا أمناء على نور السلسلة المباركة، فلا يدخل إليكم ضعف، ولا يتسلل إلى قلوبكم يأس، فإنَّ ما تحملونه أعظم مما تظنون، وأثمن مما تدركون.

قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾⁽¹⁾. وأنتم أنصار هذا النور في الأرض، فاستعينوا بالله، وأخلصوا النية، ولا تلتفتوا إلى ما يقوله جهلاء الناس، بل انظروا إلى ما ينظر الله إليه في قلوبكم.



الخاتمة

الحمد لله الذي جعل لنا في ذكره حياة القلوب، وفي طريقه نور الأرواح،
وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة تملأ الصدر يقيناً، وتثير القلب سكينه،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام السالكين، وقدوة العارفين،
وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

يا مريد، وقد طويت بين يديك صفحات هذا الكتاب، فأوصيك أن
تجعله رفيق مسيرتك، وقرين خلوتك، لا تقرأه قراءة الغافل، بل
تدبره تدبر العارف، واقرأه بقلب تائب، وعقل منيب، وروح متشوقة
إلى النور. فليس المقصود أن تجمع العلوم، بل أن تنال من هذا
الكتاب ما يكون لك قرباً وزاداً وسراجاً في ليل الطريق.

واعلم، يا مريد، أن الطريق طويل، لكنه ممتلئ بالرحمة لمن صدق،
واسع لمن ثبت، فلا تعجل السير، ولا تيأس من التعثر، فإن شيخك
ماضٍ أمامك، يمد يده لك كلما تعثرت، فاثبت ولا تنكسر.

وأما أنت، يا من بلغك الله مرتبة الإرشاد، من خلفائنا وأحبائنا،
فإليك وصيتنا الأخيرة: كونوا للناس رحمة، وللمريدين عوناً. كونوا
لهم مثل الغيث حيث وقع نفع، لا تسأل عن الأرض التي تسقيها،
بل انظر إلى ما يثمر فيها من نورٍ وخيرٍ ومحبةٍ.



دعاء

اللهم اجعل هذا الكتاب منارة للسائرين، وزاداً للقاصدين، ونوراً في درب المحبين، وبارك لنا فيه، وفيمن قرأه بصدق، وعمل بما فيه من هدى.

اللهم اجعل خلفاءنا ومريديننا، رجالاً ونساءً، ﴿مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾⁽¹⁾ ومن الذين تدوم صلتهم بك، وتثبت أقدامهم على صراطك، وتزداد محبتهم في حضرتك، وتشرق أرواحهم بنور معرفتك، ولا تجعلهم من المحجوبين عن شهودك، ولا من الغافلين عن ذكرك. برحمتك يا أرحم الراحمين، يا واسع الفضل، يا رب العالمين.

وصية أخيرة للمريد

يا مريد، الزم الأدب، فإنه باب كل خير، واحفظ عهدك مع الله تعالى، ومع شيخك، فإنك على طريق من سبقك من الصديقين، فاصبر واحتسب، وتواضع لله يرفعك، واجعل قلبك صافياً لا يحمل إلا النور، ولا يخرج منه إلا الخير.

توصية أخيرة للخلفاء والمرشدين

يا خلفاء الطريقة، اجعلوا مجالسكم موائد رحمةٍ، وقلوبكم أبواب قبولٍ، ولا تجعلوا من أنفسكم قضاة على أحد، بل كونوا كما علّمنا مشايخنا: دعاة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

اغرسوا في قلوب المريدين حبّ الله، لا خوف النار، وعلموهم أنّ

1 - [الزمر: 18]

الطريق لا يُسلك إلا بالمحبة، ولا يُفتح إلا بالأدب. وكونوا أنتم أول العاملين، فإنّ النظر إلى أفعالكم أبلغ من الاستماع إلى أقوالكم، ولا تنسوا أنّ المرید يقتبس من نور شيخه، فكونوا لهم أنواراً، يكن لكم الله نوراً يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

المصادر

- الأمالي، بن بابويه الصدوق، كتابجي، طهران، ط6، 48هـ.
- الترغيب والترهيب، المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 47 هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير القرشي، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 420هـ، م3.
- جامع الأحاديث، السيوطي، تحقيق: د. علي جمعة، ط، 430 هـ.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، ط6، 996م.
- الزهد والرقائق، ابن المبارك، تحقيق: حبيب الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 49 هـ.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، دار الرسالة العالمية، ط، 430 هـ.
- سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ.
- سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م.
- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨ هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003م.
- السنن الكبرى، النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، 42هـ.
- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 423هـ.

- صحيح البخاري، البخاري، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط 5، 44 هـ.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦ - ٢٦١ هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ثم صورته دار إحياء التراث العربي، بيروت، وغيرها، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريعة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط، 953.
- قضاء الحوائج، أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي الأموي المعروف بابن أبي الدنيا ت ٢٨١ هـ، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن - القاهرة.
- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: سعيد السناري، دار الحديث، القاهرة، ط، 434 هـ.
- المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط، 42 هـ.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، لقاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق: د. صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط 4، 2004 م، الخطبة رقم 89.

الفهرس

- 11.....المُقَدِّمَة
- 13.....إرشاد لقراءة الرسائل وميزان للعمل بالمسائل
- 15.....استهلال رسالة [1]: سُفَرَاءُ عَالَمِيُونَ
- 17.....مسألة (1): ما المقصود بعالمية الطريقة الكسنزانية؟
- 17.....مسألة (2): متى يكون المريد حاملاً للرسالة العالمية بحق؟
- 18.....مسألة (3): ما الفضل الأخروي لأصحاب الرسالة العالمية؟
- 18.....مسألة (4): ما عاقبة من انغلق عن الرسالة العالمية؟
- 19.....مسألة (5): كيف ننقل روح الطريقة إلى عصر الذكاء الاصطناعي؟
- 21.....الفصل الأول: المَدِينَةُ وَالْعِلْمُ وَالطَّرِيقُ
- 23.....رسالة [2]: العلم نور بابه السؤال
- 24.....مسألة (6): ما هو المجال العلمي الأنسب للمريد؟
- 24.....مسألة (7): أيهما أفضل الانشغال بالعلم أم بالعبادة؟
- 24.....مسألة (8): كيف نجعل طلب العلم عبادة تقرب إلى الله تعالى؟
- 25.....رسالة [3]: العلم وسنة الزيادة
- 27.....مسألة (9): كيف يعرف المريد توجهه رباني في طلب العلم؟
- 27.....مسألة (10): كيف يكون طلب العلم وسيلة للتزقي الروحي؟
- 28.....مسألة (11): ما الذي ينبغي على طلاب المدارس فعله؟
- 29.....رسالة [4]: العلم.. نظر وعبر
- 30.....مسألة (12): كيف يُعَمِّر السالك عالم نفسه وعالم من حوله؟
- 30.....مسألة (13): كيف يكون مقام السالك في الآخرة مشهوداً؟
- 30.....مسألة (14): لماذا يكون العناد سبباً في حجب النور أو فقدانه؟
- 31.....مسألة (15): ماذا إن كان التوازن على المريد عسيراً؟
- 32.....رسالة [5]: التجديد في تنويع طلب العلوم
- 33.....مسألة (16): كيف تعرف أنك تميل إلى (العقل أو القلب)؟
- 33.....مسألة (17): هل يوجد علمٌ حديثٌ يقطع عن الله تعالى؟
- 34.....مسألة (18): لماذا يميل البعض إلى التصوف أكثر من العلوم الحديثة؟
- 34.....مسألة (19): كيف يستطيع المريد الجمع بين العلم الحديث والمعرفة الروحية في حياته اليومية؟
- 35.....رسالة [6]: الاجتهاد في الدراسة
- 36.....مسألة (20): هل يمكن أن يُعد السعي في الدراسة عبادة؟
- 36.....مسألة (21): لماذا قد لا ينتفع المريد بعلمه رغم كثرة دراسته؟
- 36.....مسألة (22): كيف نميز بين طلب العلم للنجاح وطلبه لذاته؟
- 36.....مسألة (23): لماذا يمل الطالب من الدراسة، وكيف يتجاوز ذلك؟
- 37.....مسألة (24): هل يكون المريد صالحاً في سلوكه مقصراً في طلب العلم؟
- 38.....رسالة [7]: الصبر على مشقة التعلم
- 39.....مسألة (25): كيف يميز المريد بين صعوبة التعلم وعدم أهليته له؟
- 40.....مسألة (26): لماذا لا يشعر المريد بثمرة صبره في التعلم رغم اجتهاده؟
- 40.....مسألة (27): كيف يواجه المريد إحباطه إذا سبقه غيره في الفهم؟
- 40.....مسألة (28): كيف يتجنب المريد الملل أثناء التعلم؟
- 40.....مسألة (29): متى يدل تعب المريد في العلم على الفهم لا العجز؟
- 41.....مسألة (30): كيف يكون صبر المريد على العلم سبباً للفتح لا مجرد الفهم؟
- 42.....رسالة [8]: التوازن بين طلب العلم والعمل
- 43.....مسألة (31): كيف تميز بين طلب العلم لله وبين التهرب من العمل؟
- 44.....مسألة (32): كيف يوازن المريد بين العلم ومشاكل الحياة؟
- 44.....مسألة (33): لماذا يشعر البعض أن طلب العلم يعيقهم عن العمل؟
- 44.....مسألة (34): هل يبلغ المريد مقاماً عالياً بعمله ولو قل علمه؟
- 45.....مسألة (35): كيف تعرف إن كنت تحقق التوازن بين العلم والعمل؟
- 46.....رسالة [9]: تعلم الذكاء الاصطناعي
- 47.....مسألة (36): هل يصدق المريد وهو يرفض تعلم أدوات عصره؟
- 48.....مسألة (37): كيف يكون الذكاء الاصطناعي امتداداً للبصيرة؟

- مسألة (38): هل في رفض الذكاء الاصطناعي نوعٌ من الكبر الخفي؟ 48
- مسألة (39): لماذا التأخر في تعلم أدوات العصر من أسباب فقدان التأثير الروحي؟ 48
- مسألة (40): كيف يكون تعلم الذكاء الاصطناعي عبادة؟ 49
- مسألة (41): كيف يوجّه الخلفاء إلى التعلم دون الوقوع في فتنة الانشغال الزائد؟ 49
- مسألة (42): كيف يوفق المريد بين التكنولوجيا وسيره الروحي؟ 49
- مسألة (43): كيف يواجه المريد خوفه من عدم القدرة على التعلم؟ 50
- مسألة (44): هل يتعارض تعلم التكنولوجيا مع الزهد والتصوف؟ 50
- مسألة (45): كيف يعرف المريد أنه يسير في نور العلم؟ 50
- الفصل الثاني: الشَيْخُ الْمُجَدِّدُ مَعِينُ الْحِكْمَةِ وَمِرَاةُ التَّجْدِيدِ 51**
- رسالة [10]: الشيخ ومراتب الحب في الطريقة 53**
- مسألة (46): ما هو أساس السير إلى الله في الطريقة الكسنزانية؟ 55
- مسألة (47): كيف يعرف المريد صدق محبته لله تعالى، ولرسوله ﷺ، وللشيخ؟ 55
- مسألة (48): ما العلاقة بين مراتب الحب الثلاثة في الطريق الكسنزاني؟ 55
- مسألة (49): لماذا لا يكفي الحب المجرد عن العمل في السير إلى الله؟ 56
- مسألة (50): كيف يعرف المريد أنه قد تحقق بمقام المحبة الصادقة؟ 56
- رسالة [11]: شيخ الطريقة... مرآة الأنوار الإلهية 57**
- مسألة (51): ما وظيفة شيخ الطريقة في سبر المريد إلى الله؟ 58
- مسألة (52): لماذا يُعد شيخ الطريقة حاملاً لسر السلسلة النورانية؟ 59
- مسألة (53): ما معنى أن الشيخ مرآة صافية للأنوار الإلهية؟ 59
- مسألة (54): لماذا يكون حب الشيخ لدلالته لا لشخصه؟ 59
- مسألة (55): ما دور شيخ الطريقة كظل للنبي ﷺ في هذا الزمان؟ 59
- مسألة (56): ما واجب الخلفاء تجاه تعليم المريدين مقام الشيخ؟ 60
- مسألة (57): كيف يعرف المريد أنه صادق في صحبتته وحبّه للشيخ؟ 60
- رسالة [12]: شيخ الطريقة... مربّي المرشدين 61**
- مسألة (58): ما واجب الخليفة تجاه شيخه بعد الإجازة؟ 62
- مسألة (59): كيف يعرف المرشد أنه صادق في حمل أمانة الإرشاد؟ 62
- رسالة [13]: فقهاء بالله والله في الأفق والأنفس 63**
- مسألة (60): ما هو الفقه الذي يربي عليه شيخ الطريقة مريديه؟ 64
- مسألة (61): لماذا يعد كل مريد مشروع فقيه معاصر؟ 64
- مسألة (62): كيف يعرف المريد أنه فقيه بالله على طريقة الشيخ؟ 65
- مسألة (63): ما معنى التفقه في علم الطريقة؟ 65
- مسألة (64): ما الفرق بين فقيه الشريعة وفقيه التصوف؟ 65
- الفصل الثالث: الخِلافةُ الكَسَنَزَانِيَّةُ تَجْدِيدُ الطَّرِيقِ وَحِفْظُ سِرِّ السِّلْسِلَةِ 67**
- رسالة [14]: التجديد سر الخلافة 69**
- مسألة (65): ما العلامة الفارقة بين المجدد الحق والمُدّعي؟ 70
- مسألة (66): لماذا قد يُعارض بعض الناس المجدد؟ 70
- مسألة (67): هل كل من التقى بالمجدد، عرفه؟ 70
- مسألة (68): كيف يعرف المرء أن كان طالب هدى أم هوى؟ 70
- مسألة (69): ما الفرق بين من تعرّف على المجدد ثم أنكره، ومن لم يتعرّف عليه وأنكره؟ 71
- مسألة (70): ما أثر إنكار المجدد، وهل يلحق بالمنكر ضرر؟ 72
- رسالة [15]: الشيخ المُجدد برزخ عوالم الأحياء 73**
- مسألة (71): لماذا يُوصف الشيخ المجدد بأنه حدٌّ فاصل بين إحياء الدنيا وإحياء الآخرة؟ 75
- مسألة (72): كيف يتلقى الشيخ المجدد أنواره من أحياء الآخرة؟ 75
- مسألة (73): لماذا ينتقد الاعتماد على كتب الدين وحدها؟ 75
- مسألة (74): كيف يعرف المريد أنه يأخذ علماً حياً، وليس جامداً؟ 76
- مسألة (75): لماذا لا يعد الشيخ المجدد مؤرخاً للماضي فقط؟ 76
- رسالة [16]: في تجديد عادات الخلفاء 77**
- مسألة (76): كيف أميز بين التجديد الحق والتغيير الخاطي؟ 78
- مسألة (77): هل من الأمانة أن أبقى على ما تعلمته من حضرة السلطان، أم أنفتح على التجديد؟ 78
- مسألة (78): ماذا أفعل إذا شعرت بالخوف من التغيير؟ 79
- مسألة (79): هل يُحاسِبني الله إن كنت لا أرفض التجديد علناً، لكنني أتحمّل عليه في داخلي؟ 79
- رسالة [17]: إلى قدامى الخلفاء والمريدين 80**
- مسألة (80): كيف يعرف الخليفة أو المريد أنه وقع في العناد؟ 82

- مسألة (81): ما بركة تقديم مصلحة الطريقة على مصلحة النفس؟ 82
- مسألة (82): كيف نميز بين مصلحة النفس ومصلحة الطريقة؟ 83
- رسالة [18]: خليفتنا المُجدد باب ليس حجاب** 84
- مسألة (83): لماذا يكون الطريق واسعاً، بينما يضيق به البعض؟ 86
- الفصل الرابع: الإرشاد الكسَنَزاني لِسَانُ الْحِكْمَةِ وَقَلْبُ الْمَحَبَّة** 87
- رسالة [19]: في بركة الإرشاد إلى الطريقة** 89
- مسألة (84): الإرشاد إلى الطريقة باب من أبواب الرحمة 91
- مسألة (85): في أن الطريقة ليست حكراً على أحد 91
- مسألة (86): الدال على الطريق شريك في الأجر 92
- مسألة (87): الدعوة إلى الطريقة تكون بالفدوة قبل الكلمة 92
- مسألة (88): من دل الناس على الله تَبَتَّه الله على الطريق 92
- رسالة [20]: كيف يحفظ المريد نفسه من الجدالات العقيمة؟** 93
- مسألة (89): ضبط اللسان هو أول درجات الحكمة في الطريق 94
- مسألة (90): الجدل المذموم يفسد القلوب ولا يصلحها 95
- مسألة (91): السكوت عن الجاهل حكمة وليس ضعفاً 95
- مسألة (92): على الخلفاء التربية على حكمة القول والصمت 95
- رسالة [21]: منابر النور.. الروح العالمية في الإرشاد** 96
- مسألة (93): المريد يرى الخلق جميعاً عباداً لله 97
- مسألة (94): الإرشاد في الطريقة دعوة إلى النور لا إلى المذهب 97
- مسألة (95): المريد لا يكفر أحداً مهما اختلف عنه 97
- مسألة (96): التتوير في الطريقة يكون بحسب إيمان كل عبد 97
- مسألة (97): سعة القلب والرحمة شرط في المرشد 98
- رسالة [22]: المحبة الجامعة... قلب المريد بين الخلق والخالق** 99
- مسألة (98): محبة الخلق صفة العارفين بالله 100
- مسألة (99): لا فرق في المحبة بين مؤمن وغير مؤمن 100
- مسألة (100): المحبة الجامعة تُحرر القلب من العصبية 100
- مسألة (101): المحبة تجعل المريد موضع أمان للخلق 100
- مسألة (102): دعوة المريد إلى الله تكون بالمحبة لا بالخصام 101
- رسالة [23]: قلب المريد سفير سلام ورحمة بين الخلق** 102
- مسألة (103): كيف يعرف المريد أنه سفير سلام ورحمة؟ 103
- مسألة (104): كيف يكون المريد مصدر أمن وسلام للناس؟ 103
- مسألة (105): ما أثر سلام المريد على سيره إلى الله؟ 103
- رسالة [24]: الإرشاد.. طريق الإيمان العلمي** 105
- مسألة (106): ما هو الإيمان القلبي عند السالك؟ 106
- مسألة (107): ما هو الإيمان العملي في الطريقة الكسَنَزانية؟ 106
- مسألة (108): لماذا يعد الإيمان العملي خاصية أساسية في الإرشاد؟ 107
- مسألة (109): ما أثر الإيمان العملي على سير المريد؟ 107
- مسألة (110): كيف يُربى المريد على تحقيق الإيمان العملي؟ 107
- مسألة (111): ما علاقة مقام الإيمان بتحقيق الإصلاح في المجتمع؟ 107
- مسألة (112): كيف يعرف المريد أنه قد تحقق بالإيمان المتعدي؟ 108
- رسالة [25]: العلم نور الإرشاد في الطريقة الكسَنَزانية** 109
- مسألة (113): لماذا يجب على المريد أن يكون عالماً بزمانه؟ 110
- مسألة (114): هل يقتصر علم المريد على علوم الدين؟ 110
- مسألة (115): ما علاقة العلم بالإيمان العملي؟ 111
- مسألة (116): كيف يكون العلم جزءاً لا يتجزأ من الإرشاد؟ 111
- مسألة (117): ما دور الخلفاء في غرس حب العلم في قلوب المريدين؟ 111
- مسألة (118): كيف تعرف أنك تحقق التوازن بين الإيمان والعلم؟ 111
- الفصل الخامس: الإيمان والعمل الصالح نَبْضُ الرُّوح وَسِرُّ الوُصُول** 113
- رسالة [26]: الإيمان والعمل.. جانبان لا ينفصلان** 115
- مسألة (119): كيف يوازن المريد بين الإيمان والعمل؟ 117
- مسألة (120): كيف يواجه المريد فتور العمل مع قوة إيمانه؟ 117
- مسألة (121): ما أثر الفصل بين الإيمان والعمل على السالكين؟ 117

- رسالة [27]: العمل الصالح بين الإخلاص والرياء 118
- مسألة (122): كيف يحفظ المريد صفاء نيته مع كثرة الثناء؟ 119
- مسألة (123): ما أثر الإخلاص الحقيقي في عمل المريد؟ 119
- رسالة [28]: إتقان العمل.. "إنما الإحسان بالتمام" 120
- مسألة (124): ما معنى إتقان العمل في الطريقة الكسنزانية؟ 123
- مسألة (125): لماذا يُعد العمل المهني عبادة عند أهل الطريق؟ 123
- مسألة (126): ما أثر الإهمال في العمل على سلوك المريد؟ 123
- مسألة (127): كيف يُثمر إتقان العمل في بركة الرزق؟ 123
- مسألة (128): ما واجب المريد إذا أكل إليه عمل دنيوي؟ 124
- مسألة (129): ما الفرق بين من يعمل بنية الرزق فقط، وبين من يعمل بنية القرب؟ 124
- مسألة (130): لماذا على المريد أن يكون قدوة في إتقان العمل؟ 124
- مسألة (131): كيف يُعلم الخلفاء المريدين مقام الإحسان في العمل؟ 124
- الفصل السادس: خدمة الناس في الطريقة ميدان التربية وسر التربية 125
- رسالة [29]: كيف يكون المريد مفتاحاً للخير؟ 127
- مسألة (132): ما هو ميزان المريد في معرفة حظه من هذا المقام؟ 129
- مسألة (133): كيف يتجنب المريد المن والأذى في العطاء والخدمة؟ 129
- مسألة (134): هل تنحصر خدمة الناس في الأعمال الكبيرة؟ 130
- رسالة [30]: خدمة الناس على اختلاف مللهم؟ 131
- مسألة (135): ما هو أثر خدمة الناس على اختلافهم في تركية النفس؟ 133
- مسألة (136): هل يجوز للمريد أن يمنع خيره أو إحسانه عن شخص بسبب خصومة سابقة؟ 133
- مسألة (137): ما أثر خدمة المختلفين دينياً أو مذهبياً في إظهار سماحة الطريقة؟ 134
- رسالة [31]: كيف يكون المريد رحمة للجميع؟ 135
- مسألة (138): ما هو ميزان العطاء عند المريد الصادق؟ 137
- مسألة (139): لماذا يُعد حبس الإحسان عن البعض ظلماً للنفس؟ 137
- مسألة (140): كيف يتحقق المريد بكمال التخلق بالرحمة؟ 137
- رسالة [32]: الإصلاح للأيتام 138
- مسألة (141): ما الخطأ الذي يقع فيه بعض الناس مع اليتيم؟ 140
- مسألة (142): ما هو الأثر الروحي لخدمة الأيتام؟ 140
- مسألة (143): كيف يتحقق المريد من صحة نيته عند خدمة اليتيم، ويتجنب الرياء؟ 140
- رسالة [33]: الحث على إطعام الفقراء والمساكين 142
- مسألة (144): هل العطاء قاصر على من يملك المال الكثير؟ 145
- مسألة (145): ما أثر إطعام الفقراء في تهذيب النفس وإصلاح القلب؟ 145
- مسألة (146): ما هو الخطر على المريد إذا بخل بماله؟ 146
- مسألة (147): كيف يحصن المريد نفسه من الرياء عند العطاء؟ 146
- مسألة (148): هل الإطعام واجب في أوقات معينة، أم باستمرار؟ 146
- مسألة (149): هل يجوز للمريد تأخير العطاء حتى يكثر المال؟ 147
- مسألة (150): ما علاقة إطعام الفقراء بتركية النفس في السلوك؟ 147
- مسألة (151): كيف ينظر المريد إلى الفقير عند الإطعام؟ 148
- مسألة (152): هل يكون الإطعام باللقمة وحدها؟ 148
- مسألة (153): ما أثر التبسم واللطف عند إطعام الفقير؟ 148
- رسالة [34]: فضل الصدقة في تركية النفس 149
- مسألة (154): ما أثر الصدقة على حياة المريد الدنيوية؟ 150
- مسألة (155): كيف يعرف المريد صدق نيته في الصدقة؟ 150
- رسالة [35]: لماذا يحضر الفتور عن خدمة الإطعام؟ 151
- مسألة (156): ما قيمة العمل الصالح إذا خلا من حضور القلب؟ 152
- مسألة (157): كيف يُحضر المريد قلبه أثناء خدمة الإطعام؟ 152
- مسألة (158): ما أثر أداء الخدمة بالجسم دون القلب على سير المريد؟ 152
- مسألة (159): كيف يعرف المريد أنه يعمل بجسمه، دون قلبه؟ 153
- رسالة [36]: كُنْ سَخِيّاً بِلَا مَنْ وَلَا تَرُدُّ؟ 154
- مسألة (160): ما الفرق بين السخي والمبذر؟ 156
- الفصل السابع: المرأة في الطريقة مدرسة الحكمة ومنبع الرحمة 157
- رسالة [37]: كوني شريكة في بناء الطريق 159

- مسألة (161): هل على المريدة أن تختار بين البيت والطريق؟ 161
- مسألة (162): ما حق المريدة في طلب العلم والتربية الروحية؟ 161
- رسالة [38]: كوني معلّمة للأجيال، وناشرة للنور 162
- مسألة (163): كيف تتجنب المريدة أنانية طلب العلم؟ 164
- رسالة [39]: كوني قائدة في السلوك والإصلاح 165
- مسألة (164): كيف تبدأ المريدة طريق القيادة في إصلاح غيرها؟ 166
- مسألة (165): ما هو معيار القيادة الحقيقية عند المريدة؟ 167
- مسألة (166): ما أثر القيادة المريدة الصادقة على المجتمع والطريق؟ 167
- رسالة [40]: كيف تحقق المريدة التوازن بين العبادة والمعاملة؟ 168
- مسألة (167): كيف تزن المريدة أثر سيرها في الطريق؟ 170
- رسالة [41]: كيف تثبت الخليفة في طريقها رغم الصعاب؟ 171
- مسألة (168): الثبات هو معيار صدق الطلب 173
- مسألة (169): البلاء تصفية للنية وتطهير للنفس 173
- مسألة (170): دوام الذكر وقت البلاء يورث السكينة 174
- مسألة (171): صحبة الصالحين زاد الثبات 174
- مسألة (172): الصبر الجميل لا شكوى فيه 174
- مسألة (173): الشكر وقت الشدة رفعة عظيمة 175
- الفصل الثامن: الذكر والأوراد والرياضات الصوفية مفاتيح السير وأسرار التحقق 177
- رسالة [42]: أهمية الوضوء والطهارة 179
- مسألة (174): الطهارة بداية السير إلى الله 182
- مسألة (175): الطهارة الظاهرة لا تكمل إلا بالطهارة الباطنة 182
- مسألة (176): واجب الخلفاء في تعليم المريدين سر الطهارة 183
- رسالة [43]: الصلاة والزكاة والصيام 184
- مسألة (177): الصلاة صلة بين العبد وربّه وليست عادة تؤدي 186
- مسألة (178): الزكاة تطهير للقلب قبل المال 187
- مسألة (179): الصيام عبادة تطهر النفس وتصفى القلب 187
- مسألة (180): أركان تثبت المريد في السير إلى الله 188
- مسألة (181): واجب الخلفاء في تعليم المريدين حقيقة العبادات 188
- رسالة [44]: الفكر في الذكر 189
- مسألة (182): الذكر بلا فكر حركة بلا روح 190
- مسألة (183): التفكير في الذكر باب الفتح والفهم 190
- مسألة (184): حركة الذكر في الجسم، وحركة الفكر في القلب 191
- مسألة (185): البركة في الحركة المستتيرة لا في التكرار المجرد 191
- مسألة (186): وظيفة الخلفاء في تعليم المريدين حقيقة الذكر 191
- مسألة (187): متى يكون التفكير في الذكر؟ 192
- مسألة (188): لماذا البركة كل البركة في الحركة؟ 192
- رسالة [45]: الرياضة الصوفية.. تهذيب النفس وترويض الجسم 194
- مسألة (189): مجاهدة النفس والجسم أساس الثبات في الطريق 197
- مسألة (190): التوازن والوعي في تطبيق الرياضات الصوفية 197
- مسألة (191): قوة الجسم وسيلة لخدمة الطريق إلى الله 198
- مسألة (192): الرياضة الصوفية تحرير للنفس لا تعذيب لها 198
- مسألة (193): واجب الخلفاء في التربية على الرياضة الصوفية 199
- رسالة [46]: أهمية حلقات الذكر في التكية.. مجالس النور والتربية الروحية 200
- مسألة (194): التكية مجالس ذكر لا مجالس راحة 203
- مسألة (195): الذكر الجماعي يفتح أبواب النور 203
- مسألة (196): مجالس الذكر رياض للجنة في الأرض 204
- مسألة (197): الذكر ليس ترديد ألفاظ بل حضور قلب 204
- مسألة (198): واجب الخلفاء إحياء التكايا بذكر الله 204
- رسالة [47]: الأوراد والتسابيح الخاصة في الطريقة.. مفاتيح الإمداد 205
- مسألة (199): الأوراد زاد المريد في سيره إلى الله تعالى 207
- مسألة (200): الورد حياة للقلوب وليس عادة تؤدي 208
- مسألة (201): الأوراد في الطريقة مفاتيح للفتح 208
- مسألة (202): التسابيح ليست ألفاظا بل معارج للقلوب 208

- مسألة (203): واجب الخلفاء في ترسيخ حب الأوراد عند المريدين..... 209
- رسالة [48]: الرابطة القلبية بين المريد والشيخ.. سر الإمداد الروحي..... 210**
- مسألة (204): الرابطة القلبية امتداد لا انفصال فيه..... 213
- مسألة (205): الشيخ هو الوسيلة إلى الفتح، لا الغاية..... 213
- مسألة (206): صحبة الشيخ ليست صحبة جسم، بل صحبة روح..... 213
- مسألة (207): الرابطة القلبية قوة للمريد في الطريق..... 214
- مسألة (208): واجب الخلفاء في ترسيخ معنى الرابطة القلبية عند المريدين..... 214
- رسالة [49]: أهمية الاستمداد من مشايخ الطريقة..... 215**
- مسألة (209): لا سير بلا دليل، ولا وصول بلا شيخ..... 217
- مسألة (210): الاستمداد من الشيخ ليس ضعفا بل هو سر القوة..... 218
- مسألة (211): من لا يقبل التوجيه لا يتأهل للفتح..... 218
- مسألة (212): الصحبة الصادقة مع الشيخ تثمر البركة في العمل..... 218
- مسألة (213): ترسيخ معنى الاستمداد عند المريدين..... 219
- الفصل التاسع: السير والسلوك في الطريقة رحلة القلب من المجاهدة إلى الشهود..... 221**
- رسالة [50]: اجعل نواياك خالصة لوجه الله تعالى..... 223**
- مسألة (214): ما هو الأساس الذي يقوم عليه العمل في الطريق؟..... 225
- مسألة (215): لماذا تُعد النية أصل كل خطوة في سير المريد؟..... 225
- مسألة (216): ما هي علامات النية الصافية؟..... 226
- مسألة (217): كيف يقي المريد نفسه من الرياء؟..... 226
- مسألة (218): ما أثر النية على قلب المريد بعد العمل؟..... 226
- مسألة (219): لماذا يحتاج المريد إلى مراجعة نيته باستمرار؟..... 226
- مسألة (220): ما واجب الخلفاء في التربية على الإخلاص في النية؟..... 227
- مسألة (221): كيف يعرف المريد أنه صادق في نيته لله؟..... 227
- رسالة [51]: حقيقة الفتح.. بين الصبر والعجلة..... 228**
- مسألة (222): لماذا لا يأتي الفتح للمريد بالعجلة واللهفة؟..... 229
- مسألة (223): ما المقصود بالفتح عند أهل الطريقة؟..... 230
- مسألة (224): ما هو السبب في تأخر الفتح؟..... 231
- مسألة (225): ما الفرق بين الاجتهاد والغرور بطلب الفتح؟..... 231
- مسألة (226): كيف يعرف المريد أن الفتح الذي جاءه فتح حقيقي وليس وهما أو فتنة؟..... 231
- رسالة [52]: التجلي بين الإلهام والوهم..... 232**
- مسألة (227): ما الفرق بين الفتح والتجلي؟..... 233
- مسألة (228): الفتح والتجلي، أيهما مقام وأيها حال؟ ولماذا؟..... 234
- مسألة (229): هل يشترط في الفتح أن يكون مصحوبا بالتجلي؟..... 235
- رسالة [53]: الخلوة بين العزلة والتجرد..... 236**
- مسألة (230): ما الفرق بين الخلوة والعزلة والتجرد؟..... 237
- مسألة (231): كيف يعرف السالك حاجته إلى الخلوة أو الصحبة؟..... 239
- رسالة [54]: الخفاء والظهور.. بين صدق التجرد وفتنة التصدر..... 240**
- مسألة (232): كيف يميز المريد بين مقامه في الخفاء أو التصدر؟..... 241
- مسألة (233): معيار القبول عند الله، هل هو في الظهور أو الخفاء؟..... 242
- مسألة (234): ما دور الخلفاء في التوجيه بين الخفاء والتصدر؟..... 242
- رسالة [55]: بين التقصير والغلو.. ميزان الاستقامة في الطريق..... 243**
- مسألة (235): ما معنى الاستقامة في الطريق إلى الله؟..... 244
- مسألة (236): كيف نتحقق بالاعتدال بين التقصير والغلو؟..... 245
- رسالة [56]: القلوب بين القلق والسكينة.. كيف يسكن المريد إلى الله؟..... 246**
- مسألة (237): هل السكينة مقام دائمة للسالك، وكيف تفهم؟..... 247
- مسألة (238): كيف تثبت على الطريق رغم تقلب الأحوال؟..... 248
- مسألة (239): ما هو الميزان الذي ينبغي أن يسير عليه المريد؟..... 248
- المسألة (240): ما الفرق بين السكينة والطمأنينة في السير؟..... 248
- رسالة [57]: كيف يوازن المريد بين الاجتهاد والقناعة؟..... 250**
- مسألة (241): لماذا يجب الموازنة بين الطموح والقناعة؟..... 252
- مسألة (242): متى يكون الطموح عبادة، ومتى يكون حجاباً؟..... 252
- مسألة (243): كيف يعرف المريد بلوغ حد القناعة الصحيح؟..... 252
- مسألة (244): ما العلاقة بين القناعة والزهد؟..... 252

- مسألة (245): ما عاقبة اخلال التوازن بين الطموح والقناعة؟ 253
 مسألة (246): كيف يعرف المريد أنه يوازن بين الطموح والقناعة؟ 253

رسالة [58]: بين التنافس والتحاسد.....

- مسألة (247): ما هو التنافس المشروع في طريق الله؟ 255
 مسألة (248): كيف يعرف المريد أنه يتنافس بصدق؟ 256
 مسألة (249): ما أثر التنافس المحمود في مجالس المريدين؟ 256
 مسألة (250): ما الفرق بين التنافس المحمود والمذموم؟ 256
 مسألة (251): لماذا نحث على التنافس في القرب من الله؟ 256
 مسألة (252): هل التنافس ينافي التواضع؟ 257
 مسألة (253): كيف يكون التنافس في عصر الذكاء الاصطناعي؟ 257
 مسألة (254): ما هو التنافس في ميدان التربية الروحية؟ 257

رسالة [59]: الالتزام بالوقت والانضباط.....

- مسألة (255): لماذا يُعد الوقت رأس مال المريد في طريق الله؟ 260
 مسألة (256): ما أثر التسويف وتأجيل العمل على سير المريد؟ 260
 مسألة (257): لماذا يُعد احترام المواعيد من صدق المريد؟ 260
 مسألة (258): ما العلاقة بين إدارة الوقت وبركة العمر؟ 261
 مسألة (259): كيف يجب تنظيم الوقت في طلب العلم والعمل؟ 261
 مسألة (260): ما أثر الكسل والتهاون في الوقت على الروحانية؟ 261
 مسألة (261): ما واجب الخلفاء في التربية على قيمة الوقت؟ 261
 مسألة (262): كيف يعرف المريد أين يذهب وقته؟ 261

الفصل العاشر: تطهير الباطن وتهذيب الظاهر جوهر التزكية وروح الأخلاق.....

رسالة [60]: في أهمية الأخلاق في الطريق.....

- مسألة (263): لماذا كانت الأخلاق أصل الطريق إلى الله؟ 267
 مسألة (264): هل تكفي العبادات وحدها دون تهذيب الأخلاق؟ 267
 مسألة (265): ما العلاقة بين نقاء السريرة وحسن المعاملة؟ 267
 مسألة (266): هل الأخلاق موهبة أم مجاهدة؟ 268
 مسألة (267): كيف يعرف المريد أنه قد تهذب بأخلاق السالكين؟ 268
 مسألة (268): لماذا شدد أهل الطريقة على أهمية الأخلاق؟ 268
 مسألة (269): ما أثر الأخلاق الحسنة في رفع مقام المريد؟ 269
 مسألة (270): ما أول خلق يجب على المريد المجاهدة فيه؟ 269
 مسألة (271): ما الفرق بين حسن الخلق وبين تصنع الأدب؟ 269

رسالة [61]: الخضوع لله بين الذل والعزة.. كيف تكون عبداً ولا تكون ضعيفاً؟.....

- مسألة (272): ما حقيقة العبودية بين الذل والعزة؟ 271
 مسألة (273): هل الذل لله ضعف وانهازم؟ 271
 مسألة (274): ما الفرق بين الذل المشروع والمذلة المرفوضة؟ 272
 مسألة (275): ما حقيقة التواضع في سلوك المريد؟ 272
 مسألة (276): ما خطورة الكبرياء على قلب المريد؟ 272
 مسألة (277): كيف يحقق المريد التوازن بين العزة والذل؟ 272
 مسألة (278): ما دور الخلفاء في توجيه المريدين في هذا الباب؟ 272
 مسألة (279): كيف يعرف المريد أنه عبدٌ ذليل لله، عزيزٌ بدينه؟ 273

رسالة [62]: حسن الظن بالله بين الرجاء والغرور.....

- مسألة (280): ما الفرق بين حسن الظن بالله وبين الغرور بالله؟ 275
 مسألة (281): متى يكون حسن الظن سبباً في الهلاك؟ 275
 مسألة (282): ما أثر حسن الظن بالله في حياة المريد؟ 275
 مسألة (283): كيف يربي الخليفة مريديه على حسن الظن بالله؟ 275
 مسألة (284): ما علاقة حسن الظن بالله بإحسان الظن بالناس؟ 276

رسالة [63]: التواضع أساس القرب الى الله تعالى.....

- مسألة (285): معنى التواضع الحق عند المريد 279
 مسألة (286): خطر التواضع المصطنع 279
 مسألة (287): الفرق بين التواضع والزهد في النفس 279
 مسألة (288): معرفة المريد لحقيقة تواضعه 279
 مسألة (289): التواضع في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية 280
 مسألة (290): أثر التواضع على تربية المريدين 280
 مسألة (291): التواضع لا يطلب من أجل الخلق 280

- رسالة [64]: الحلم وضبط النفس.. كيف يكون المريد سيداً لنفسه لا عبداً لغضبه؟** 281
- مسألة (292): لماذا يُعد ضبط النفس من صفات أهل القرب؟ 283
- مسألة (293): ما أثر الحلم على السلوك الروحي للمريد؟ 283
- مسألة (294): كيف يختبر المريد صدق حلمه؟ 284
- مسألة (295): لماذا الغضب أخطر على السالك من المعصية؟ 284
- مسألة (296): ما علاقة الحلم بالسيادة على النفس؟ 284
- الفصل الحادي عشر: مقامات أهل الطريقة من الفناء في المجاهدة إلى البقاء في المشاهدة** 285
- رسالة [65]: مقام التوكل.. كيف يسير المريد في درب الاعتماد على الله تعالى؟** 287
- مسألة (297): لماذا التوكل مقام في الطريق؟ 288
- مسألة (298): التوكل لا يُنافي التخطيط والتدبير 289
- مسألة (299): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام التوكل؟ 289
- مسألة (300): التوكل والرضا بعد الاجتهاد 289
- مسألة (301): التوكل يُثمر قوة لا ضعفاً 290
- مسألة (302): التوكل يجمع بين الخوف والرجاء 290
- مسألة (303): التوكل لا يُبطل التعلم ولا اكتساب المهارات 290
- رسالة [66]: مقام التوبة بين الغفران والتسويق.. كيف يعود المريد إلى الله بصدق؟** 291
- مسألة (304): التوبة الدائمة هي صفة العارفين بالله 293
- مسألة (305): التوبة ليست من الذنوب الظاهرة فقط 293
- مسألة (306): التسويق في التوبة من مكر النفس 294
- مسألة (307): من دلائل قبول التوبة 294
- مسألة (308): التوبة مقام يورث نوراً 294
- مسألة (309): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام التوبة؟ 295
- رسالة [67]: مقام الصبر على مجاهدة النفس** 296
- مسألة (310): السر في أن مقام الصبر هو باب الفتح 298
- مسألة (311): ماذا يعني أن الصبر مقام؟ 298
- مسألة (312): متى يتحول صبر المريد إلى لذة روحية 299
- مسألة (313): عاقبة من لم يصبر على مجاهدة النفس 300
- مسألة (314): الصبر مقام الأنبياء وأهل العزم من الأولياء 300
- مسألة (315): ما بصيرتك هو رؤية المقصد لا وعاء الطريق 300
- مسألة (316): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الصبر؟ 300
- رسالة [68]: مقام الخوف.. هيبة الجلال يقظة السالكين** 301
- مسألة (317): لماذا يعد الخوف مقاما من مقامات السالكين؟ 303
- مسألة (318): ما العلاقة بين الخوف والرجاء في تربية النفس؟ 303
- مسألة (319): ما أثر الخوف على سير المريد في الطريق؟ 303
- مسألة (320): متى يكون الخوف محموداً، ومتى يكون مذموماً؟ 304
- مسألة (321): هل مقام الخوف دائم في الطريق، أم يتبدل؟ 304
- مسألة (322): كيف يكون الخوف باعثاً على الحب؟ 304
- مسألة (323): ما هو مقام الخوف عند حضرة الإمام عليّ (عليه السلام)؟ 304
- مسألة (324): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الخوف؟ 305
- رسالة [69]: مقام الرجاء.. مفتاح الأمل وشفاء القلب** 306
- مسألة (325): الرجاء مقام من مقامات الطريق 308
- مسألة (326): الرجاء لا يصح إلا مقروناً بالعمل 308
- مسألة (327): الرجاء الحق دليل حسن الظن بالله 308
- مسألة (328): مقام الرجاء يورث التفاؤل وعدم القنوط 308
- مسألة (329): الجمع بين الرجاء والخوف هو كمال السير 309
- مسألة (330): صحة الرجاء تعرف بثمرته 309
- مسألة (331): الرجاء مقام أهل الهمة العالية 309
- مسألة (332): الإمام عليّ (عليه السلام) ومقام الرجاء 310
- مسألة (333): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الرجاء؟ 310
- رسالة [70]: مقام الرضا.. سكينه القلوب وشوق المحبوب** 311
- مسألة (334): لماذا كان الرضا غاية السالكين في الطريق إلى الله؟ 313
- مسألة (335): ما الفرق بين الصبر والرضا؟ 313

- مسألة (336): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الرضا؟ 313
- مسألة (337): هل الرضا ينافي الدعاء وطلب الفرج؟ 314
- مسألة (338): لماذا مقام الرضا من أعظم مقامات التوكل؟ 314
- مسألة (339): كيف يزرع المريد مقام الرضا في قلبه؟ 314
- رسالة [71]: مقام الشكر.. عبودية المُحبين ومُرتقى العارفين** 315
- مسألة (340): لماذا الشكر مقام من مقامات السالكين؟ 316
- مسألة (341): ما العلاقة بين الشكر والزيادة في الفتح؟ 317
- مسألة (342): هل الشكر باللسان يكفي؟ 317
- مسألة (343): ما أثر مقام الشكر على سلوك المريد؟ 317
- مسألة (344): ما الفرق بين الشكر عند العوام والشكر عند العارفين؟ 318
- مسألة (345): كيف يعرف المريد أنه قد بلغ مقام الشكر؟ 318
- رسالة [72]: مقام الإخلاص.. سر القرب وصدق السير** 320
- مسألة (346): معنى مقام الإخلاص 322
- مسألة (347): الفرق بين العمل الصالح والإخلاص 322
- مسألة (348): كيف يعرف المريد أنه بلغ مقام الإخلاص؟ 322
- مسألة (349): خطر الرياء على السالك 322
- مسألة (350): المجاهدة في تحصيل الإخلاص 323
- مسألة (351): الإخلاص سر قبول الأعمال 323
- مسألة (352): الإخلاص والولاية 323
- رسالة [73]: مقام الصدق.. أساس السير وشرط القرب** 324
- مسألة (353): معنى مقام الصدق 325
- مسألة (354): درجات الصدق في الطريق 325
- مسألة (355): كيف يعرف المريد أنه في مقام الصدق؟ 326
- مسألة (356): أثر الصدق على سلوك المريد 326
- مسألة (357): خطورة ادعاء الصدق دون تحقيقه 326
- مسألة (358): الصدق وعلاقته بمراتب الأولياء 327
- مسألة (359): الصدق وشفافية القلب 327
- مسألة (360): وصية للمريدين في مقام الصدق 327
- رسالة [74]: في مقام الزهد.. أن تملك ولا تملك** 328
- مسألة (361): معنى الزهد في طريقتنا العلية القادرية الكسنزانية 329
- مسألة (362): الفرق بين زهد العارفين وزهد العابدين 330
- مسألة (363): كيف يتعلم المريد الزهد العملي لا النظري 330
- مسألة (364): متى يعلم المريد أنه بلغ مقام الزهد 330
- مسألة (365): العلاقة بين الزهد والتوكل 330
- مسألة (366): لماذا كان الإمام علي باب الزهد 331
- مسألة (367): أثر الزهد في الدعوة إلى الله 331
- مسألة (368): عاقبة من لم يزهد في الدنيا 331
- رسالة (75): مقام الورع... حراسة القلب من الشبهات قبل المحرمات** 332
- مسألة (369): لماذا يُعد الورع مقاماً في الطريق إلى الله؟ 334
- مسألة (370): الفرق بين الورع والتقوى 334
- مسألة (371): السر في أن الورع يحفظ القلب من الظلمة 334
- مسألة (372): متى يُقال عن المريد إنه من أهل الورع؟ 334
- مسألة (373): كيف يكون الورع سبباً للفتح الروحي؟ 334
- مسألة (374): ما أثر الورع على السلوك اليومي للمريد؟ 335
- الفصل الثاني عشر: الخُلَفَاءُ والمُريدُونَ رَوَابِطُ المَحَبَّةِ وَأَسْرَارُ التَّزَيُّنَةِ** 337
- رسالة [76]: كيف يُصلح السالك قلبه عند وقوع الخلاف بين الإخوان؟** 339
- مسألة (375): الفرق بين الخلاف والعداوة 341
- مسألة (376): كيف يعرف المريد أن الخلاف في قلبه لا زال نقياً؟ 341
- مسألة (377): ما علامة حسن الظن عند وقوع الخلاف؟ 341
- مسألة (378): لماذا النزاع يذهب بركة الطريق؟ 342
- مسألة (379): كيف يعود المريد بعد خلاف إلى صفاء القلب؟ 342
- مسألة (380): ما أثر الصلح في طريق الله؟ 342
- مسألة (381): ما دور الخلفاء في إصلاح الخلاف بين المريدين؟ 342
- مسألة (382): متى يكون الصمت أفضل من الجدل؟ 342

رسالة [77]: الكلام ميزان القلب.. كيف يتعلم المريد ضبط لسانه؟..... 343

- مسألة (383): ضبط اللسان مفتاح تركية النفس..... 345
مسألة (384): علامة الحكمة في الكلام..... 345
مسألة (385): أثر الكلام في بناء القلوب أو هدمها..... 345
مسألة (386): الصمت عبادة إذا كان وقاية..... 346
مسألة (387): الفرق بين الصمت الجبان والصمت الحليم..... 346
مسألة (388): الصمت والكلام كلاهما أمانة..... 346

رسالة [78]: كيف يكون السالك عوناً لأخيه في الطريق؟..... 347

- مسألة (389): سرّ القوة في التعاون بين السالكين..... 349
مسألة (390): كيف يحمي السالك قلبه من الغيرة من إخوانه..... 349
مسألة (391): التعاون عبادة لا عادة..... 349
مسألة (392): الفضل في أن تصل بقلبك..... 349
مسألة (393): المحبة بين المريدين سر بقاء الجماعة..... 350

رسالة [79]: آفة الانتقاد بين المريدين.. كيف يحفظ السالك لسانه من الطعن في إخوانه؟..... 351

- مسألة (394): ما علاقة ستر الإخوان بنقاء القلب؟..... 353
مسألة (395): الحذر من الكبر الخفي..... 353
مسألة (396): ميزان النقد في قلب السالك..... 354
مسألة (397): أثر ستر العيوب في تطهير النفس..... 354
مسألة (398): التعاون في التزكية لا الهدم..... 354

رسالة [80]: آفة التساهل في الوعود وإخلاف العهود..... 355

- مسألة (399): إخلاف الوعد يذهب نور الطريق..... 356
مسألة (400): الوفاء بالوعد مقياس الرجولة الروحية..... 356
مسألة (401): الفرق بين العذر والتهرب عند المريد..... 357
مسألة (402): ترك العهود يضعف ثقة الإخوان..... 357
مسألة (403): مقام الوفاء في الطريق العلية القادرية الكسنزانية..... 357

رسالة [81]: آفة سوء الظن بين المريدين..... 359

- مسألة (404): الفرق بين الحذر وسوء الظن..... 361
مسألة (405): ما أثر سوء الظن على المودة؟..... 361
مسألة (406): سوء الظن من مداخل الشيطان..... 361
مسألة (407): من حسن ظنه بالناس، حسن الناس به الظن..... 362
مسألة (408): حسن الظن يربي القلب على التسليم..... 362
مسألة (409): حسن الظن لا يلغي النصيح والمحاسبة..... 362

رسالة [82]: كيف يحفظ السالك قلبه من الكبر؟..... 363

- مسألة (410): كيف يعرف المريد أنه متواضع؟..... 365
مسألة (411): التواضع لا يناقض الكرامة..... 365
مسألة (412): مقام التواضع مقام الأنبياء والأولياء..... 365

رسالة [83]: كيف يكون المريد أخاً حقيقياً لإخوانه؟..... 366

- مسألة (413): معنى الصحبة في الطريق إلى الله..... 368
مسألة (414): كيف يختار المريد صحبته..... 368
مسألة (415): علامات الصحبة الصالحة..... 368
مسألة (416): آفة المقارنة بين الإخوان..... 368
مسألة (417): النصيح بين الإخوان..... 369
مسألة (418): دوام الصحبة رغم الخلاف..... 369
مسألة (419): أثر الصحبة على السير..... 369
مسألة (420): خطورة التهاون في حفظ الصحبة..... 369
مسألة (421): الصحبة في طريقة العلية القادرية الكسنزانية..... 370

الفصل الثالث عشر: لقاء الآخرة سقراً الأزواح من دار العقل إلى دار الجزاء..... 371

رسالة [84]: كيف يرى المريد دار البقاء؟..... 373

- مسألة (422): الآخرة دار اللقاء لا دار الحساب فقط..... 375
مسألة (423): علامة صدق السالك في حب دار البقاء..... 375
مسألة (424): خوف السالك من نقص الزاد لا من الموت..... 376
مسألة (425): واجب الخلفاء في تربية المريدين على حب الآخرة..... 376

رسالة [85]: كيف يعيش المريد على بصيرة من دار البقاء؟.....	377
مسألة (426): الفرق بين خوف السالك وخوف الغافل من الآخرة.....	379
مسألة (427): الاستعداد لدار البقاء هو زاد السالكين.....	379
مسألة (428): الآخرة دار الكشف لا دار الجزاء وحدها.....	380
مسألة (429): غرس حب الآخرة في قلوب المريدين.....	380
رسالة (86): كيف يتأمل المريد دار البقاء؟.....	381
مسألة (430): حقيقة الدنيا وواجب السالك تجاهها.....	384
مسألة (431): علامة حب لقاء الله عند المريد الصادق.....	384
مسألة (432): محاسبة النفس طريق النجاة يوم العرض.....	384
مسألة (433): العمل للآخرة مفتاح الفلاح في الدارين.....	385
مسألة (434): واجب الخلفاء في التربية على التأمل في دار البقاء.....	385
رسالة [87]: دار البقاء والميزان الحق.....	386
مسألة (435): وظيفة الخلفاء في تربية المريدين على وعي الآخرة.....	387
مسألة (436): معرفة حال القلب بمقدار همّه.....	388
رسالة [88]: في الاستعداد ليوم الانتقال.....	389
مسألة (437): الاستعداد للموت بالعمل الصادق.....	391
مسألة (438): الاستعداد للانتقال من زمن الجسم إلى مقام الروح.....	391
مسألة (439): وظيفة الخلفاء في التعليم على الاستعداد للانتقال.....	392
مسألة (440): حضرة السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان.....	392
[89] رسالة خاصة لخلفاء ومرشدي الطريقة.....	393
الخاتمة.....	395
دعاء.....	396
وصية أخيرة للمريد.....	396
توصية أخيرة للخلفاء والمرشدين.....	396
المصادر.....	399
الفهرس.....	401
إصدارات الطريقة الكسنزانية.....	413

إصدارات الطريقة الكسنزانية

- * السيد الشيخ السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان (قدس سره الشريف):
 - الطريقة العلية القادرية الكسنزانية
 - الانوار الرحمانية في الطريقة القادرية الكسنزانية، شركة عشتار للطباعة والنشر، بغداد، 1988.
 - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر (قدس الله سره)، شركة عشتار للطباعة والنشر، بغداد، 1989.
 - موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه اهل التصوف والعرفان، (24 مجلد)، ط1، دار المحبة، دمشق 2005 م.
 - مصطلح الطريقة في الشريعة الإسلامية، ط1، 2006 م.
 - التحلي بالآداب الإسلامية في الطريقة الكسنزانية، دار القادري، دمشق، ط1، 2007 م.
 - الاوراد الكسنزانية، ط1، 2006 م.
- * السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان:
 - خوارق الشفاء الصوفي والطب الحديث، دار القادري للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2007 م.
 - الرؤى والاحلام في المنظور الصوفي، دار القادري للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2007 م.
 - مصطلح الطريقة في الشريعة الإسلامية.
 - مجلة الكسنزان، مجلة فصلية صوفية ثقافية علمية تصدر عن رئاسة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ط1-2006 م.
 - محمد نور بابه علي، دار رائد المعنى للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 2020.